كتاب الهلال

أسرار الثورة المصرية

بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية

تقديم

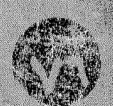
الرئيس جمال عبد الناصر

بقلم

أنور السادات

سلسلة شهرية

تصدر عن دار الهلال





كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٧٦ ـ ذو الحجة ١٣٧٦ ـ يوليه ١٩٥٧

No. 76 — July 1957

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ١٠٠ قرش صاغ ـ سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا ـ السعودية والعراق والاردن وليبيا ١٣٠ قرشا صاغا ـ الامريكتين ٥ر٥ دولارات ـ سائر أنحاء العالم ١٧٠ قرشا صاغا

كتاب الهلال

FROM THE LIBRARY
OF DR. KHALED AZAB

سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

أسرار الثورة المصرية

بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية

تقديم

الرئيس جمال عبد الناصر

بقلم

أنور السادات

دار الهلال

هــذا الكتــاب ولاشك
خلاصة البواعث الخفية والأسباب
السيكولوجية لثورتنا الســلمية
جمال عبد الناصر



الرئيس جمال عبد الناصر

مقدمة
للرئيس جمال عبد الناصر

فرغت من تصفح كتاب القائمقام أنور السادات ، وساءلت نفسى عما دفعنى لهذا الاعجاب به ، فجاءنى الرد المنطقى فورا، انه مضمونه المتحلى بسلامة الاسلوب ، وقوة التعبير ، وطابع البساطة في سرد الحوادث ، وعرض المواقف ، فى الوقت الذى أرى فيه الكاتب قد تجنب الحديث عن نفسه • فنجده لم يعمد لكتابة قصة حياته ، ولم يقم بتحقيقات صحفية كبرى ، بل قدم لنا سلسلة رائعة متصلة من المشاهدات التى مرت تحت بصره وسمعه ، فجاء كتابه مجموعة لصور حية ، جمعتها ريشة رسام ماهر ، وصورتها في صورة واحدة ، أبرزت من مجموعها حقائق وأسانيد ، تتيح لنا دراسة أحوال مصر المعاصرة عن كثب •

لقد استخدم أنور السادات هذه السجايا فى جميع أدوار حياته ، كما أحسن استخدامها فى خدمة القضية الوطنية ، فنجده قد سجن فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ بأمر العدو المستعمر ، ثم أعيد اعتقاله عام ١٩٤٤ لنشاطه الوطنى ، ولكم تحمل من ألوان الحرمان والتعذيب ، فلم تهن عزيمته ، ولم تتزعزع عقيدته، ولا ولم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رسوخا وايمانا ، ولا غرو ، فعلى قدر أهل العزم تؤتى العزائم ، فكان له من سنوات سجنه الطويلة فرصة للتفكير ، والتفكير مليا ،

حتى رجع بتمعنه وتأملاته الى آلاف السنين الحوالى ، وطالع ما صدر خلالها من مطامع العالم التى شخصت وتجمعت حول هذا البلد الطاهر ، فظل الشعب المصرى الابى الكريم رازحا تحت نير الاستعباد ردحا طويلا من الزمان ، متخلفا بذلك عن تقدم سائر البلدان ، فما كاد يفر من معتقله ، حتى صار رمزا حيا للمطالبة بالحرية ، ومعبرا صادقا للشعور الجامح الذى سرى فى شعب وادى النيل أجمع ، من البحر الابيض المتوسط حتى أعالى خط الاستواء ، مطالبا بالتحرر من الظلم والاستعباد والطغيان

هاهو ذا يكافح بهمة لاتعرف الكلل فى سبيل المثل العيا ، فى الوقت الذى نرى فيه الجموع العالمية ، تطالب أيضا بتحقيق العدالة الاجتماعية ، ولا جدوى فى انكار مطالبها

□

لقد عمل الضباط الاحرار جاهدين ، من أجل اذكاء الحماسة فى القلوب التى ابتأست ، واشعال الجذوة فى النفوس التى اتقدت ، حتى يستطيع الشعب الكريم ، مجابهة أعدائه

كان النظام الملكى الرجعى المنوط بأسرة أجنبية ، حائلا دون تقدم البلاد ، فكان أول لزام على الثورة ، أن تهدمه تماما وتقضى عليه ، لتفسح الطريق أمام نهضة البلاد ، ثم أصبح لزاما عليها بعد ذلك أن تقتلع جذور الفساد والمحسوبية والرشوة والرجعية والحزبية المغرضة البغيضة ، حتى تطهر البلاد من الادران ، وأخيرا وليس آخرا كان لزاما على الثورة أن تعبىء الشعور العام ، وتدرب الجموع المتكتلة الحاقدة على عدوها الغاصب لمجابهة ذلك العدو بكل ثقة واطمئنان ... وقد كان

وكم من مرة تأرجحت سفينة الثورة ، فى ذلك اليم المتلاطم

الامواج ، اذ لم يكن من اليسير مقاومة قوى الانحلال الهدامة، وما اليها من تقاعس وتهاون وخيانة • كان الكفاح طويلا مريرا ، ولكن المثابرة لم تذهب سدى ، فظلت السفينة ثابتة عاتية تتكسر الامواج على دروعها القوية الواحدة تلو الاخرى ، ومضت السفينة تشق طريقها قدما ، فقامت مصر الحديثة ، مصر الجمهورية الفتية

والآن ، وقد استرد الشعب عزته ، واستعاد حريته ، وأصبح يشعر بكرامته ، ويدرك حق الادراك مصالحه العليا ، المؤسسة على التحرر من الاستعمار والمساواة المدنية والسياسية ، نجد أن الفوارق الاجتماعية التى كانت شاسعة البين ، قد انهارت مفسحة الطريق أمام القيم الاخلاقية التى تقدمتها،وقد تضافرت فيها الجهود ، وتوجهت بعزيمةلاتعرف الكلل الى الاعمال الناهضة الانشائية ، فالشعار الصريح الواضح لعهدنا الجديد هو التعاون التام للعمل والانتاج

لقد تسلمتالثورة القيم الوطنية وديعة بين يديها،وستسير بالشعب المصرى قدما ، فى طريق الانشاء والتعمير ، المحاط بجو الهدوء والاستقرار ، وستتقدم بالامة فى سبيل الرقى والازدهار

شاهدت مصر فى خلال السنوات العشرين الاخيرة ،أحداثا بدت لاول وهلة ، متشعبة الاطراف ، متعذرة الفهم والادراك، فاذا ماحققنا النظر فيها عن كثب ، راعنا مافيها من خيوط مرتبطة بعضها ببعض ، تقودنا لنتيجةواضحة ، فروح السخط التى سادت الجيش من جراء فساد الحكم ، والتألم المرير الذى شعر به المصريون اثر احتلال أرض الوطن وعزوف المسئولين عن اجراء اصلاحاتأساسية واجبة،وحربفلسطين، الى غير ذلك ••• فاذا ما اقتفينا أثر هذه الخيوط تكشفأمامنا

منطق واضح سليم ، أدى بنا للنتيجة الحتميــة التى حــدثت وجعلت ماكان يبدو غامضا فى بادىء الامر ، واضحا جليا فى نهايته

□

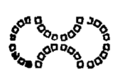
لقد حلل المؤلف فى كتابه الشخصيات والاحــدآث تحليلا دقيقا ، مما جعل الكتاب مرجعا قيما يعتد به ، حاولت جاهدا أن أوضح مضمونه وأن ألخص فصوله المتعددة ، فلم أجد خيرا من هذه الجملة المختصرة :

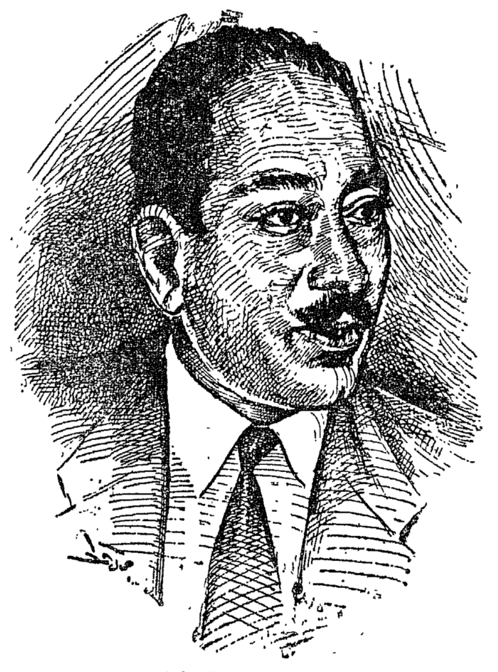
« هذا الكتاب ولا شك خلاصة البواعث الخفية ، والاسباب السيكولوجية ، لثورتنا السلمية »

وقف الكتاب قرب منتصف عام ١٩٥٢ ، ســـنة التحرير والبعث ، التى سجلت أحداثا خطيرة لبلادنا ، اذا ما استعدنا ذكراها ، لرأينا عهدا بائداتغرب‌شمسه ، وعهدا جديداناهضا تشرق أنوآره ·

شـــكرا للمؤلف فقــد أتاح لنا أن نرى فى الحاضر المزدهر الخصيب ما يبشر بالمستقبل آلباسم الزاهر

جمال عبد الناصر





القائمقام انور السادات

مفاجأة مع الفجر

- ذهب الملك .. تحيا القيادة !
- أسلحة جديدة لتضليل الشعب
- هل هم من جماعة الاخوان ؟
- أثنا عشر ملكا بدلا من فاروق
- الانحناء دائما سياسة سادة الموقف
- الثورة الرشيدة لا تقبل وصاية من احد

ان أحدا لم يكن يتوقع شيئا عنـدما نام ليلتـه فى نهاية اليـوم الثانى والعشرين من شهر يوليـو عام ١٩٥٢ ، فلما أصبح الصباح كان الناس فى شبه ذهول.فقد توالت الاحداث منذ الفجر على صورة لم يألفها هذا الشعب ولا كانت تستطيع أن تطوف بخياله ، بعد أن تاهت منه أحلامه وآماله ، فى ظلمة الايام وسواد الليالى ، طيلة أشهر ستة ثقيلة مرة

رأى كفاحه المسلح من أجل حريته ، ينتكس فجأة يوم ٢٦ يناير ... ورأى مدينته العزيزة تشتعل بالنار التى انطفأت فى اليوم نفسه من معسكرات أعدائه ... ورأى أبناءه الذين ذهبوا يذودون عن شرفه وحريته ، يعودون الى المدينة مكبلين بالاغلال ، ليقضـوا أيامهم خلف أسـوار المعتقل .. ثم رأى نفسه ، وقد أصبح فى نظر الحاكمين خطرا داهما على أرضه ، ووطنه ومدينته ، فألزموه البيت كلمـا جاء المساء ، عقابا له على انطلاق آماله ، والزاما له بالتكفير عن خطاياه ...

ورأى الاشـاعات والمخاوف تمـلأ الجو من حوله ، حلقات الخيانة والدسائس تحيط بحياته، وخمسا من الوزارات تتتابع على مقاعد حكمه العرفى ، لم يعرف لماذا أتت ، ولا لماذا ذهبت ولكنه لعنها جميعا فى سره وفى علنه ... وما كان يملك غير هذه اللعنات ، وقد سلب القدرة على العمل ، وسدت فى وجهه منافذ الآمال ...

وفجـأة ، وبدون أية مقـدمات ، تحـرك الجيش وتوالت الاحداث

وفى صباح ٢٣ يوليو ، كان الناس بين مصدق ومكذب.. كانت الفرحة تشملهم،ولكنها فرحة تشوبها المخاوف،وتنتابها

الظنــون والتكهنات لأن البيــان الذى طلع عليهــم لم يشف نفوسهم ، ولم يضىء أمامهم كل المصابيح

وجاء الاصدقاء الى القيادة ، ونفوسهم تحترق على مصيرنا، اذا نحن لم نجهز على الملك ، واذا نحن حصرنا هذه الضربة فى نطاق الجيش وحده ، كما فهموا من البيان ...

واخذوا يذكرون الفساد والاستهتار وما آلت اليه البــلاد من فوضى سياسية وخلقية ومعنوية ... ويطالبوننا بالعمل الكبير الحاسم قبل ان تضيع الفرصة ، وتفلت الآمال ...

وكان هؤلاء جميعا أصدقاء ... مجرد أصدقاء ، شباب ، مخلصين .. ولم يكن بينهم واحد فقط من رجال السياسة وقتذاك ..

ومضى يوم ٢٣

ومضى يوم ٢٤

ومضى يوم ٢٥

مرت هذه الايام الثلاثة ، ولم نسمع فيها كلمة من سياسى واحد ، ولم نر فيها وجها لسياسى واحد ...

لقد لزم فيها جميع السياسيين بيوتهم، واعتصموا بالصمت والحذر : فلم يتحرك منهم الا اولئك النفر الذين ظنوا ان الملك باق على عرشــه ، فهرعوا يقيــدون أســـماءهم فى سجــل التشريفات ... يوم ٢٤

وجاء يوم ٢٦

وما ان وافت الســاعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم ، وكان قد عرف فى دوائر السياسة ان فاروقا قــد وقع التنازل وانه بسبيل مغادرة البلاد فى الساعة السادسة ، حتى وقعت المعجزة ...

وكانت المعجــزة ، هى خروج الســياسيين من جحورهم ، وتقاطرهم علينا

وفود ، وفود من السياسيين ، من جميع الالوان والمذاهب والاتجاهات ، تطرق ابوابنا فى مقر القيادة بثكنات مصطفى باشا ، ابتداء من الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم ...

جاءوا الينا جميعا ، حتى اولئك الذين قيدوا اسماءهم قبل الامس .. ولاء واخلاصا فى سجل تشريفات الملك ...

دور البطل

ولم يضيع السياسيون وقتا بعد ذلك ...

فمنذ الصباح فى يوم ٢٧ ، بدأت كل هيئة سياسية ، بل بدأ كل سياسى فى هذا البلد ، يعد نفسه لمعركة جديدة يحلم فيها بدور البطل ...

لا شىء قد تغير ، فى نظر السياسيين والهيئات السياسية

لا شىء ، الا اختفاء شخص الملك ، وظهور أشخاص رجال القيادة ...

كان لسانهم الناطق يقول : ذهب الملك تحيا القيادة !!

وهذا التغير الشكلى ، قد يستتبع تغييرا فى الاساليب ، وتجديدا فى أسلحة السياسة ، ولكنه لا يستتبع ابدا ، تغييرا فى الهدف .. الهدف الرئيسى لاحتراف السياسة منذ وجد فى مصر محترفوها ...

ومثلما خاض السياسيون المعارك تحت اقدام فاروق فى سبيل الوصول الى أسلاب الحكم ومغانمه بداوا منذ اللحظة الاولى لطرده يخوضون معركة جديدة ، يقسمون فيها هذه الاسلاب والمغانم ...

وكان لا بد أن يختار كل منهم سلاحا جديدا يناسب لون المعركة الجديدة ... وكان لا بد أن يكون السلاح براقا أمام أسلحتهم القديمة ..

وكان هذا البريق ، هو المنطق المعقول الذى يحاولون

الدخول به الى الاذهان . فاذا ما انفتحت عقول الناس لهم ، اكملوا القصة باكاذيب واراجيف تعودوا صياغتها ، لكى يصلوا الى ما يبتغون

وكانت عقول الناس فعلا ، مهياة لقبول اى منطق معقول..

وقد راى الناس اشياء لم يستطيعوا فهمها ، وسمعوا عن اسماء لا يعرفون عن اكثر أصحابها شيئا ، وترددت فى آذانهم اشاعات لا يستطيعون تكذيبها لان الحقائق لا تزال مستورة عن عيونهم

اين الحقيقة

كان الناس يريدون ان يعرفوا من امر هذه الثورة ومن أمر الرجال الذين يقودونها كل شىء .

كانوا يريدون ان يعرفوا من نحن واين كنا وكيف اجتمعنا ومتى اجتمعنا وكيف أعددنا خطتنا وما هى تفاصيل هـذه الخطة وكيف نفذناها وماذا ننوى ... وهل لدينا مشروعات معدة وماذا يدور فى رءوسنا وماذا سوف نصنع ... وكيف نجحنا ... ؟

هل من ورائنا قوة معينة .. وما هى هذه القوة .. ؟

هل فى صدورنا اتجاه معين .. وما هو هذا الاتجاه .. ؟

أسئلة كثيرة كانت تدور برءوس المصريين جميعا ولم يكونوا يجدون لها جوابا منا .. ولكن .. كانت الاشاعات تجيب «» !

وانطلقت أول اشاعة تقول ان هذه الثورة ، ثورة اخوانية يقودها ويوجهها من وراء الستار الاخوان المسلمون

وكانت هذه الاشاعة تطوف بالناس وبين يديها دليل يؤكد صدقها ..

فقد كان أول اجـراء اتخـذته الثورة كجزء من برنامجها الضخم فى ازالة آثار الماضى البغيض ، ومحاسبه المسئولين عنه

بالحق والعدل ، هو الامر الذى صدر باعادة التحقيق فى قضية مقتل المرحوم حسن البنا ، مرشد الاخوان المسلمين ...

ولم يقل الناس أن هذا مصرى قد قتل بليل ، واحاطت بالتحقيق فى مقتله ، ظروف مريبة ، واتخذت فيه اجراءات شاذة ... ثم طوى على سر دفين ، وقاتل مجهول .. لم يقل الناس هذا ولم يقولوا ان من حقهم كمصريين ان يعاد التحقيق فى هذه الجريمة المنكرة وأن يؤخذ جناتها بالقصاص..

ولكن قالوا ، ان خلف الثورة جماعة الاخوان المسلمين ..

وبدأ بعد ذلك تساؤل كثير ...

ان كانت هناك صلة بين هذه الثورة، وبين الاخوان المسلمين ... فمتى بدات !

والى اى مدى وصلت ؟

وماذا كانت اهدافها ؟

وماذا انتجت ؟

وهل استمرت ، أم انقطعت ؟

وفى جملة واحدة : ما هى قصة الثورة مع الاخوان المسلمين ؟

سؤال واحد ، يعود بالذاكرة الى اثنى عشر عاما قبل ظهور هذه الثورة .. الى عام ١٩٤٠ عندما بدأت قصتنا مع الاخوان

وهذه القصة لا يعرفها المصريون ، ولا يعرفها جمهرة الاخوان ولا يعرفها العدد الاكبر من رجال قيادة الاخوان. وكل ما يعرفه المصريون هو ما ذاع من اشاعات بعد ذلك بأيام

ومع ذلك ... فليس هذا هو كل ما لابس هذه الثورة من مظاهر ، ومن اشاعات ... ومن محاولات ...

فقد كان هناك الوفد ايضا ...

وللوفد أيضا قصة مع هذه الثورة قصة لا يعرفها المصريون

... ولا يعرفها ايضا عدد كبير من رجال الوفد أنفسهم

فالناس لا يعرفون ان اتصالنا بالوفد قد بدأ قبل ظهور الثورة بزمن طويل .. ولا يعرفون اننا فى وقت من الاوقات قد وضعنا خطتنا على اساس أن نأتى بالوفد ونفرضه فرضا على فاروق، كشراراة أولى للثورة ، ثم نكمل نحن تنفيذ الخطة

لا يعرف الناس شيئا من كل هذا ، ولا يعرفون كيف تخاذل الوفد عن القيام بدوره فى هذه الخطة ، ولا لماذا ...

ولكن هذا كله يعرفه بعض زعماء الوفد .. الذين حاولوا بعد يوم ٢٧ يوليو أن يفرضوا وصايتهم على الثورة ... وان يمهدوا لهذه الوصاية بسيل كبير من الاشاعات والروايات ، والمظاهر .. وأن يحاولوا خلق أمر واقع يحيطون به الثورة ويلبسونها ثوبا لم تفكر فيه يوما من الايام !

وقد بدأ هذا بمجرد عودة مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين من الخارج فى الاسبوع الذى تلا طرد فاروق

عاد الرجلان .. فعاد النشاط الى أقصاه فى صفوف الوفد الاجتماعات المتتالية تعقد ...

ومندوبوا الصحف يسهرون الليالى فى دار الزعامة ...

واعمـــدة الصحف تمتلىء كل يوم بالاخبـــار والاسرار والتكهنات والقرارات الخطيرة التى يتخذها رجال الوفد .. !

وعاد الشباب الوفدى فورا . يملأ ردهات النادى السعدى، وعاد الهمس وعادت الهتافات وســارت الاشــاعات ، تشكل الوزارة ، وتملأ المناصب الهامة فى الدولة ، وتتكهن بالمستقبل وتحدد تواريخ الاحداث الخطيرة المقبلة

وسمع الناس أيضا هذه الاشاعات .. ثم لم يســأل احد منهم نفسه سؤالا واحدا ، يستطيع أن يقضى عليها ...

لماذا عاد النحاس وسراج الدين من مصيفهما بأوربا عقب الثورة مباشرة ؟!

أيمكن أن يكون الزعيمان الكبيران قد ارتحلا الى أوربا ابان أعنف الازمات السياسية التى وقعت فى تاريخ مصر .. وخلال أحلك الليالى التى مرت بشعب مصر ، منذ احترقت القاهرة، واضطربت كل موازين الحكم فيها ، أيمكن ان يكون الرجلان قد سافرا الى أوربا ليفكرا هناك بهدوء فى امر هذا الشعب الذى يزعمان زعامته، وهذا البلد الذى حطمه الخراب والطغيان

لماذا يتركان البلاد فى محنتها ، فلا يعودان اليها الا يوم يترامى الى اسماعهما حديث الثورة ، فينبه فيهما شهوة جائعة الى الغنيمة ، وقد ظنا انها أصبحت سهلة بلا حراس ؟!

ولكن سؤالا كهذا لم يطف بخاطر احد ممن سمعوا اشاعات الوفد تنطلق فى كل يوم ...

وبينما كان الناس فى دوامة الاشاعات كان سراج الدين يعد خطة الاستيلاء على الغنيمة ...

خطة الوفد

وكانت خطة الوفد فذة فى نوعها ...

فقد بلغ النشاط الوفدى أقصاه ، وملأت الاشاعات جميع الأذان ، اشاعات ان الوفد قد سيطر على الموقف تماما ، وان قادة الثورة قد أيقنوا انه لا سبيل لهم الى تحقيق أى هدف من اهداف الثورة ، الا اذا احتضن الوفد هذه الاهداف ...

وكانت عودة النحاس وسراج الدين من الخارج عقب الثورة مباشرة والزيارة التى قام بها النحاس الى القيادة فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، من الدعائم القوية التى استندت اليها هذه الاشاعات لتصل الى الناس فى صورة الحقائق الثابتة المقررة ...

ولم يبق أمام الوفد الا أن يقنعنا نحن أيضا بصحة هذه الاشاعات التى أطلقها ... عنا !

كان الوفد فى هذه المرة يسير وفق خطة على درجة طيبة من الاحكام ...

فكان ما نسمعه من فؤاد سراج الدين هو نفس ما نسمعه من الشباب الوفدى جميعا على اختلاف ثقافتهم والوانهم ..

وكان الهدف من هذا النشاط والهتافات والاشاعات والتحركات ، هو اشعار البلد أولا بأن الوفد يضع خطة المستقبل بوصفه حزب الاغلبية الذى يمثل الشعب وبوصفه القوة الحقيقية التى تستطيع هذه الثورة ان ترتكز عليها ، ولا تستطيع ان تعمل شيئا بدونها ...

كان الوفد يريد أن يجعل من هذه الدعوى امرا واقعا ، لكى يتسلل الينا بعد ذلك ، ويواجهنا بهذا الامر الواقع : ان القاعدة الشعبية الوحيدة فى البلاد ، هى قاعدة الوفد ، واننا لا نستطيع ان نعمل دون الارتكاز عليها ! ..

وفى صباح يوم من ايام أغسطس ١٩٥٢ ، اى بعد الثورة بأسبوعين تقريبا ، ايقظونى من نومى فى منزلى لكى أقابل ضيفين يطلبان مقابلتى لأمر خطير ...

فدخلت غرفة الاستقبال ، فوجدت زميلين من زملاء المعتقل ...

وكان طبيعيا ان نتذاكر شيئا عن الماضى الذى جمعنا فى معتقل واحد فى عهود الظلم والارهاب ...

ولكننى أحسست أنهما قد أعدا حديثهما ، ورتباه ونمقاه، بحيث يلقى كل منهما حلقة من حلقات الحديث فيتبعها زميله بحلقة أخرى ، تكملها فى نفس الاتجاه وفى صورة الكلام العرضى الذى يجلب بعضه بعضا دون تحضير !

ودخلا فى الموضوع

قال أحدهما :

ـ انت تعلم طبعا تمام العلم أن هذه الثورة ليست ثورة

الجيش ، وانما هى ثورة الشعب ... وكل مصرى حريص أشد الحرص على أن تصل هذه الثورة الى اهدافها كاملة ، فنحن بهذا مسئولون جميعا مسئولية متساوية نحو الثورة..

امنت طبعا على هذا الدخول ... فاستطرد الضيف الوفدى نحو هدفه :

ـ ان الكتلة الشعبية لا تتمثل فى اية هيئة او حزب فى هذا البلد ، الا فى الوفد ... والوفد هو التنظيم الوحيد الذى يستطيع ان يسند هذه الثورة لانه هو الذى مهد لها بل هو الذى بدأها فعلا ...

وأوشك زميله ان يتم الكلام لولا انى استوقفته لحظة أسأله فيها ، كيف بدأ الوفد هذه الثورة ، وكيف مهد لها ..؟ فقد تكون معلوماتى عن قصة الثورة وقصة الوفد معلومات ناقصة ...

قال الضيف الثانى :

ـ الا تعلم ان هجوم الوفد فى الفترة الاخيرة على فاروق هو الذى شجع الجيش على أن يضرب ضربته .. ؟ وألا تعلم انه كان متصلا بكم فعلا فى الجيش ؟!

وقبل ان أحاول الاجابة ... سألنى ضيفى فى حماس..

ـ كيف تولون على ماهر الحكم ، وهو الرجل الذى لا يستند الى الشعب ولا الى أى حزب من الاحزاب ؟!

واكمل صديقه قائلا :

ـ ان على ماهر رجل عاش طول حياته يدبر المؤامرات ، وانه فى سبيل أحقاده وكراهيته لبقية الاحزاب سينحرف بالسلطة وسيستغل هذه الثورة لنفسه ، ولن يظفر بايمان الشعب به فى يوم من الايام ...

وكنت ساكتا ، لأعطى الفرصة للضيفين العزيزين ، فأكمل الثانى :

ـ ان هـذه الثـورة لن تستطيع أن تسير أو تحقق شيئا ما لم تستند الى اكبر قوة سياسية فى البلد وهى الوفد ... ثم ان سراج الدين على أتم الاستعداد للتعاون معكم فى كل شىء ... وانت تعرف انه كان ـ وهو وزيرا للداخلية ـ يوعز لنا نحن الشباب الوفدى بالمظـاهرات التى تهتف بسقوط فاروق ، فى نفس الوقت الذى كان فيه يتظاهر بالولاء للملك ... وتعرف أيضا أنه هو الذى كان يقود معركة القنال لولا أن الملك حرق القاهرة ، لانه تبين ما يدبره له سراج الدين ..!

ولم اكن انا اسمع هذا الكلام لاول مرة فقد كان هذا الكلام شـائعا فى البلاد ، وكان بعض الناس قد بدأ يؤمن به فعلا . ولكنى كنت انتظر النتيجة التى يريد الضيفان ان يصلا اليها

مقابلتى لسراج الدين

ولم تطل الجلسـة أكثر من سـاعة ونصف ... ولم تزد طلبات الصديقين عن طلب واحد فقط هو ان تتم مقابلة بينى وبين فؤاد سراج الدين كى نتفاهم

ولم يكن هناك ما يمنع من هذه المقابلة .. وقد تمت فعلا .. فقابلت سراج الدين ، وقابل هو غيرى أيضا من الزملاء ..

وكانت مقـابلات مثيرة ... رأينا فيها أمورا كثيرة على حقيقتها وفهمنا ما أراده الوفد بنا وبالثورة وبالبلاد كلها .. وأكملنا بها قصة الوفد ...

ولكن الناس لا يزالون يجهلونها ... بل يجهلها الوفديون انفسـهم ..

وكل الذى عرفه الناس فى فجر هذه الثورة ، هو ما أشاعه الوفديون من أنهم « أسياد الموقف، شاءت الثورة أم لم تشأ ! » وما دعموا به اشـاعاتهم من قصص كثيرة وروايات محبوكة عن قيام الثورة بالاتفاق مع الوفد .. وعن مستقبل الثـورة الموضوع بين أيدى رجال الوفد !

كانت اسطوانة واحـدة ، يرددها سراج الدين كما يرددها الضيفان اللذان أشرت اليهما ، وكما رددها كل من لهم بالوفد صلة من الصلات ...

وكنا نسمع هذا الحديث فلا نأبه به ، ونكتفى بالابتسام.. فقد كنا نرى أمام اعيننا مأساة خلقية من مآسى العهد الماضى، تريد أن تتخذ لها مسرحا جديدا نشترك نحن فى بنائه واخراج مسرحياته ...

وكنا نبتسم ايضا ، لأن هؤلاء الذين كانوا يخاطبون الشعب بوصفهم « أسياد الموقف . شاءت الثورة أم لم تشأ » كانوا يتحدثون الينا بلهجة اخرى، بنفس اللهجة التى كانوا يتحدثون بها الى فاروق ... وكانوا يهدفون من وراء هذه اللهجة الى هدف واحد ، هو نفس هدفهم فى أيام فاروق : الحكم ...

الدستور عند الوفد

وكانوا فى الوقت نفسـه يعتقدون أنهم مناورون بارعون ، أمام فئة من العسكريين يجهلون السياسة وفنونها

وبدأ الوفـد يفصح عن نفسـه أكثر أو بدأ يفضح نواياه بنفسه ... بصورة ظاهرة

بدأ يلوح لنا بسلطات فاروق وابهته وصولجانه وهى سلطات تكفى اذا وزعت على أثنى عشر رجـلا ، أن تجعل منهم اثنى عشر ملكا لا ينقص احدهم شىء من مظاهر الملك وسطوته ..

ــ واتركوا لنا بعد ذلك سياسة الحكم ، وكل مسئولية ..

ثم أردف فى أغراء واضح :

ــ ونحن على اتم استعداد لتنفيذ كل ما تشيرون به

وظلت هذه الجملة تتردد فى أذنى وقتا طويلا ...

انها نفس الكلمة التى كانت تقال لفاروق من كل رجل يأتى به ليحكم البلاد باسم الشعب

انها الدستور الفعلى الذى جرى عليه حكم مصر ، منـذ

وجـد فيها دستور وبرلمان ... فقد كان دســتور الشعب صفحـات من الورق ، تغطى بها النواحى الشــكلية للحــكم « الديمقراطى !! » فى البلاد ... اما الدستور القائم المعمول به ، فقد كان دســتور « الانحناء » كان الدستور يتلخص فى هذه الجملة الفذة « ونحن على أتم اســتعداد لتنفيذ كل ما تشيرون به ! »

وهذا هو الدستور الذى اراده الوفد لهذه الثورة أيضا ..!

لماذا ثار الجيش

هل تغير شىء فى نظر السياسيين ؟!

هل ثار الجيش من أجل هذا الشعب ؟!

هل ثار هذا الشعب من أجل حقوقه ورفاهيته ومستقبله ؟!

أبدا .. لم يحـدث أى تغيير ... الا أن شخص فاروق قد غاب ، ليظهر فى مكانه أشخاص رجال القيادة .. يقنعون بالمظهر البراق وصولجان الملك وسطوته .. ويتركون مسئولية الحكم لاسياد الموقف ، يسوسونه ، لا بما تشــير به مصلحة هذا الشعب ، ولكن بما نشير به نحن ... أصحاب الصولجان الجديد

انها ســياسة الوفاق التى بداها سراج الدين مع فاروق ، اراد أن يضطلع بها معنا نحن أيضا

ان رجــال الوفد ، أســياد الموقف ، وأصحاب الاغلبية ، والمسيطرون على القاعدة الشــعبية فى البــلاد ، هم على أتم استعداد لان يفعلوا باسم الشعب كل ما نطلبه نحن منهم ، على الا نتحمل نحن أية مسئولية مباشرة ، وهم بهذه الصفات كلها كفيلون باقناع الشعب ، وتنفيذ رغباتنا .. نحن أصحاب الصولجان الجدد !!

انها سياســة « ذهب الملك تحيا القيــادة ! » التى اعتقــد السياسيون أنهم قادرون على طيننا وفرض وصايتهم علينا ..

والعـودة الى استلاب مغانم الحكم .. الذى لم يكن يعنى فى نظرهم الا الاسلاب والمغانم ...

كانت البلاد فى واد وكان السياسيون الذين تزعموها جيلا كاملا فى واد آخر سحيق ...

كانت البلاد تفكر فى أهدافها التى طال عليها انتظارها ... كانت تفكر فى الوسائل العملية التى تخلصها من آلامها الطويلة وشقائها الكثير .. من الاستعمار الجاثم فوق صدرها . من آثار الملكية البغيضة فى ربوعها وفى نفوس أبنائها من الاقطاع الذى يهـدد كيانها ... ولكن الزعمـاء لم يكونوا يريدون أن يحسوا بشيء من كل هذا كانوا يريدون أن يعـودوا الى كتم أنفاس هـذا الشعب وتكبيله بأغلال العبودية والفقر والمذلة ، ليظلوا مسيطرين على مصيره متحكمين فى ثروته ناهبين ارزاقه وخيرات أرضه ...

تفسـير التخاذل

وكانت هذه الحقائق صدمة مروعة لنا نحن الذين اردنا فى يوم من الايام أن نفرض الوفد على فـاروق كجـزء من خطة كبيرة درسناها فى وقتها بامعان واحكام .. وعنـدما تخاذل الوفد عن تنفيذ دوره فى الخطة ، لم نحاول تفسير هذا التخاذل بأكثر من أنه .. خوف

ولكنه لم يكن خوفا ، وكان شيئا آخر سيظهر جليا عندما يطالع القارئ قصتنا مع الوفد !

ان قصة الثورة ، قد اتصلت فى فصـول منها بالاخـوان المسلمين . واتصلت فى فصول منها بالوفد ...

وقال البعض ان الثورة قد أصبحت فى حضانة الوفد ..

وقلنا أنها ثورة مصرية لمصر ...

أما لماذا اتصلت بالوفد ... ولماذا اتصلت بالاخوان ... وكيف كانت هذه الاتصالات ، فهذا ماتتضمنه الفصول القادمة من هذا الكتاب

فكرة العمر

- نار على جبل الشريف
- السلطان عبد الحميد فى منقباد ...
- اسود علينا عبيد للانجليز
- برقية من تشمبرلين
- رفضنا تسليم سلاحنا للانجليز
- انقلاب عسكرى فى مرسى مطروح ...

نار على جبل الشريف

يظن كثير من الناس أن هذه الثورة ، دبر لها تشكيل من الضباط أثر حادث معين جمعهم هدف وتدبير ...

وفى أجواء الظنون ، تجد الاشاعات كثيرا من نقط الارتكاز. تجد النقطة الاولى فى حرب فلسطين .. بين أشلاء الضحايا وخيانات فاروق وعصابته ...

وتجد النقطة الثانية ، فى تحقيقات الاسلحة الفاسدة وتدخل الملك لحفظ الدعوى بالنسبة لحاشيته ...

وتجد النقطة الثالثة ، فى تصرفات قيادة الجيش وكبار ضباطه الذين وضعوا أنفسهم فى احذية فاروق

ولقد كانت كل هذه الاحداث فعلا ، من الاحداث التى شغلت اهتمام الضباط الاحرار ، واستحثت خطاهم ولكن نشأة الثورة والتمهيد لها لم يستمد من حادث من الاحداث..

فقد نشأت هذه الثورة نشأة طبيعية ، ونما التمهيد لها نموا طبيعيا لانها كانت فى كل مراحلها ، تفاعلا طبيعيا قويا بين ضمير جيش مصر ، وضمير شعب مصر ...

متى نشأت اذن ... واين نشأت ؟

لنرجع الى الوراء ...

الى عام ١٩٣٨

ولنذهب الى منقباد ... !

فى هذه البيئة الخالصة ، حيث يشعر المصرى . بعناصره العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه ...

وفى الشتاء ... حين يقسو الجو ، وتتمرد العواصف

فتزداد الروابط بين الاصدقاء ، يقاومون بها قسوة الطبيعة وينتصرون بها على عواء الرياح

هناك حول نار فى معسكر المناورات بتبات الشريف ، كنا نقضى طرفا من كل ليلة .. أصدقاء كلهم صغار السن ، صغار المناصب ، كبار الأمال وافروا الشباب ...

ضباط لم تزد رتبة أحدهم عن الملازم ثان .. نتحرق طول النهار فى الجبل ، فكأنما الجبل مرآة تعكس نار القلوب .. !

وكانت فى القلوب نار ، نار لاتنطفىء لان وقودها يتجدد فى كل لحظة من احساساتنا الشابة المرهفة .. ومما يقع امام اعيننا كل يوم من الصباح الى المساء ...

كانت آمالنا الكبيرة ، وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الاحداث ...

فقد كنا ضباطا صغارا ...

وكان لنا قواد ...

وكان هناك أيضا ... انجليز .. !

وكان قوادنا المصريون لا عمل لهم الا اذلالنا .. والا الانحناء أمام الانجليز ...

وكنا نرى هذا الوضع الكريه ، فنحترق .. ونسخط .. ولكننا لم نكن نستطيع أن نتكلم ...

وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل فى داخل النظام العسكرى وفى تلك الاوضاع الرهيبة الا أن يسكت ، ويكظم الغيظ ، ويدفن النار فى حشاه ..

هكذا كانت أيامنا ...

ولكن ليالينا كانت تختلف اختلافا كبيرا

ففى جو من الصداقة والالفة ، كنا نجلس فنمزح ، ونذيب فى هذا المرح ، شقاء اليوم الطويل ... شقاء الجسد ، وشقاء النفس وشقاء الغربة فى جبل بعيد ...

ولا ندرى لماذا كان يتوسطنا دائما شاب رقيق وديع ، عامر النفس بالصفا لم يكبرنا سنا ، ولا رتبة ... فقد كنا جميعا أبناء « دفعة » !

ولكنه كان الملتقى الذى جمع صداقتنا جميعا ... كنا نمرح ، فنضحك عاليا ، ونسخر من كل شىء .. ولا ترحم ألسنتنا أحدا .. وأحيانا نغنى .!

وكان يصنع كل ما نصنع ، ولكنه كان مع ذلك أيضا ، يفكر ... يفكر بقلبه ، ويفكر بوعيه ... ولا نكاد ننطلق فى المرح ، حتى نجد موضوعا هادئا ... يثيره بيننا جمال عبد الناصر ...

وربما كان موضوعا شخصيا ، وربما كان موضوعا عاما .. وربما كان ذكريات عابرة تمر به من حياته ، فلا يلبث أن يستنبط منها فكرة أو رأيا ، يثير بيننا مناقشة طويلة ... هادئة ...

وكان جمال يطوى نفسه على كثير من الآلام الشخصية .. آلام يذكرها منذ توفيت والدته وهو صغير ، فأثرت وفاتها فى حياته تأثيرا كبيرا ... لعل من أظهر عناصره شدة الحياء التى طبعت حياته حتى اليوم ...

وكان الى حيائه وهدوئه ، يمثل الشخصية الكاملة لابناء الصعيد .. فهو يكيف الحياة بمثله « الصعيدية » الخاصة ، فتجده وديعا رقيقا ملىء الصدر بالحنين ، اذا لمست نفسه لمسة عاطفية قد لا تحرك أحدا من الناس .. ولكنه ينقلب أسدا هصورا ، فى اللحظة التى يشعر فيها بأن أحدا ، فكر مجرد تفكير فى الاعتداء عليه ...

كان هذا الصديق بيننا ، صورة حلوة للاخاء ، والصداقة والاتزان ، والهدوء والكرامة .. فكان لهذا كله يستأثر

باحترامنا جميعا فكأنه فى سكونه وهدوئه وطابعه الخاص ، معنى مجسم حى ، لكل المعـــانى والانفعـــالات التى يمـــكن استخلاصها ، من تفاعل العواطف الانســـانية المتضاربة ، فى انسان ... قست عليه الحياة ...

وهكذا ... وحول هذا الرجـــل ، التأمت مجمـــوعة من الضباط الصغار الاصدقاء .. لم يكن أحد يدرى أنها ستكون نواة لمجموعة أكبر وأكبر ، وان اجتماعها فى تلك التباب البعيدة لن يكون مجرد صدفة تمر . ويتشتت من بعـــدها شـــمل الاصدقاء وانما سيكون البدء الحقيقى لجهـــاد عنيف ومحن كثيرة وعمل خطير

السلطان عبد الحميد

وان كنا قد اخـــذنا حيـــاة قوادنا الكبـــار فى ذلك الوقت بالسخرية العنيفة نطلقها فى ساعات المرح فقد جاء اليوم الذى لم تعد فيه السخرية تغنى عن آلامنا شيئا ...

فقد ألقى علينا القدر بقائد جديد للمنطقة لم يكد يصل اليها حتى شعرنا بأن الذى وصل غاز من غزاة الترك !

كان يرى نفسه بيننا مثلما يرى السلطان عبد الحميدنفسه بين معالم اسطنبول الآمر الناهى الفظ الذى لا يناقش ...

واصبحت الحياة كريهة منذ اللحظة التى وصل فيها اللواء محمود سيف الى منقباد

كان هذا اسمه .. ولكننا كنا نسميه السلطان عبد الحميد لانه كان يفرض علينا تقاليد السلاطين

وبدأنا نيأس من خدمة الجيش . وأعد بعضنا استقالته فعلا من هذا الجيش الذى يضم بين قواده .. السلطانعبد الحميد !

ولكننا نرى صبر جمال فنعجب .. ونرى هدوءه وصموده لهذا الذل الطويل فتسكن نفوسنا ، فقد كان جمال يعيش بأمل لم نحلم نحن به فى تلك الفترة السحيقة من حياتنا فىمنقباد ..

واشتدت الصلات بين كل منا ، وبين المجموعة الكاملة .. حتى أصبح كل منا يفكر بعقلية الكل واصبح من حق كل منا أن يتصرف باسم الجماعة واصبحت هذه الجماعة يوما بعد يوم قيدا جديدا لتصرفاتنا ، لان كل عمل يأتيه فرد منها سينسب الى الجماعة شاءت أم لم تشأ .. علمت بالامر أم لم تعلم ..!

وانى لاذكر تلك الايام والليالى ، اذكر مرحنا وآلامنا وأيام صداقتنا الجميلة الاولى .. والسلطان عبد الحميد الذى أراد ان يذل رقابنا ، كما ذل رقبته لصغار الانجليز ، وراح يتجول فى صورة شرسة مضحكة مبكية معا فى منقباد

جملة من جمال

اذكر كل هذا ، واذكر اننا فى خلال تلك الفترة الحالمة من حياة الشباب .. بدانا نفكر ذات ليلة ..

وقال جمال :

انهم الانجليز أصل بلائنا كله ..

وكانت مفتاح تفكير طويل .. لم يلبث أن أصبح خطى عملية متتابعة .. كنا جميعا نعلم ان الانجليز هم أصل بلائنا كله .. وكنا جميعا نكره الانجليز .. ولكن هذه الكلمة قالها جمال ، وكأنه يحدد لنا رسالة كبرى ، لاينبغى أن يتخلى عنها أحد

وشهدت تباب الشريف ، والنار الموقدة عليهاعهدا مقدسا.. ربط مجموعة صغيرة من الشباب الصغار

لم يربطهم بعمل معين ، ولا بزمن محدد ، ولكن ربطهم .. بفكرة الحياة

خلايا ..

وبدانا نجمع حولنا أنصارا لفكرة الحياة ، كل منا يختبر عددا من الضباط الآخرين .. ويكون فى محيطه خلية صغيرة

يثير فيها هذه الفكرة ، ويرى مدى استعدادها للعمل يوم يأتى وقت العمل ..

وبدانا نخطو الخطوة الاولى فنحسب لها حسابا ونلقى الكلمة فنفكر قبل القائها مرتين ..

بدأنا ننزع من أعماقنا زهو الشباب ، ونحل فيها الشعور بالمسئولية والاقتصاد فى الامل

لقد قتل جمال فينا المرح ، وكنا فى شرخ الشباب !

وجاء الدرس الاول الذى أفدناه بعد ذلك فأصبح درس حياتنا ..

فقد مرت أيام قليلة .. كنا فيها لانزال فى فترة تكويننا الاولى ..

واذا بالشىء الذى نسيناه جميعا يقع . وكنا خليقين بتوقيعه

فان ضابط الجيش لايستقر فى مكان واحد طويلا .. وان هى الا لحظة مفاجئة ، حتى كنا قد تفرقنا شعاعا . واحدا فى الاسكندرية ، والثانى فى طنطا ، والثالث فى القاهرة ، والرابع فى مرسى مطروح ..

وكانت الحرب اذ ذاك قد بدأت . والاعصاب توترت ورأينا حلمنا الكبير يذوب ويتساقط كما تتساقط حبات الندى عالقة بزهرة أو تذوب فى شعاع الصباح

وافترقنا ..

ولكن الحلم لم يذب .. والفرقة لم تستطع أن تكون حاجزا بين هذه المجموعة فى أقسى الظروف التى حلت بها

وفهمنا مع الايام هذا الدرس وهو أن الصداقة القوية عندما تقوم على نقاء وطهر وعندما تتركز أيضا حول فكرة فانها قادرة على الحياة مهما فرقت الحياة بين الاصدقاء . بل هى أكثر من ذلك تستطيع وحدها صنع المعجزات

والذى وقع بعد تلك الايام ، هو الاثر القوى لهذه الصداقة

النقية التى ربطتنا . . فقد فرقت بيننا الظروف كثيرا ، وجمعت بيننا بعد ذلك كثيرا . .

وكنا اذ نفترق لاتفارقنا الفكرة ولاعهد الجماعة ، وكل ماهناك أن أحدنا كان يجد الفرصة للعمل ، فيعمل . . يعمل مستقلا بارادته فى ظاهر الامر ، ولكنه فى حقيقته يكون مقيدا بارادة الجماعة المتمثلة فى فكرتها الكبيرة . . وعهدها المقدس

وقد تختفى من بيننا أسماء فى كثير من الاوقات كما اختفى اسم جمال عبـد الناصر عامين كاملين ، بين ديسمبر ١٩٣٩ وديسمبر ١٩٤١ . اذ كان فى هذه الفترة قد نقل الى السودان

ولكن الذى كان يبقى فى ميدان العمل . . كان يعمل . . يعمل بارادته ولكن باسم هذه الجماعة وفكرتها الاصلية ويعمل بارادته ولكنه يرجع الى من يستطيع الرجوع اليه من جماعتنا . . فى كل فرصة تواتيه لذلك . .

ولم تعد الايام تمر هينة ولا رفيقة فقد بدات أحداث كثيرة تقع . . بدات بالحادث الاول عام ١٩٤٠ . . وكان ميدانه ميدان القتال فى مرسى مطروح

□

كنا قد نقلنا جميعا من منقباد . وتفرقت جماعتنا بين وحدات الجيش فى مختلف أنحاء البلاد . . وبين السودان العزيز . .

وقد كان السودان من نصيب جمال عبد الناصر فقد نقل من منقباد الى امبابة . . وبعد شهر واحد نقل الى العلمين ، وقضى هناك اربعة شهور ، ثم نقل مرة أخرى الى ابى زعبل ، ومنها الى السودان . .

وفى فترة تنقلات جمال جمع على الفكرة عددا آخر من الضباط . .

وكنا نحن أيضا نصنع مثل هذا . .

ولم نكن نعرف على وجه التحديد ماذا سوف نعمل . لقد

كان هدفنا أن نقوم بدورنا فى تخليص البلاد من جنود الانجليز ولم تكن الفرصة لذلك تسنح اثناء الحرب ، وقد سيطر الانجليز على كل مرفق من مرافقنا .. واحتلوا جميع قواعدنا وطرق مواصلاتنا .. بل لقد كنا نحارب الى جانبهم أيضا ..

وسنحت أول فرصة لنا فى مرسى مطروح .. ولكنها كانت فرصة مفاجئة لم نستطع أن نحقق منها هدفا كبيرا .. واستطاعت هى أن تكشف للانجليز عن وجود اتجاه عملى ضدهم فى جيش مصر ..

كانت نيران الحرب قد اقتربت كثيرا من ارضنا العزيزة .. فقد بدأت جيوش ايطاليا تغزو منطقة مرسى مطروح ..

وكان الدفاع عن هذه المنطقة منقسما بين ثلاثة قطاعات :

قطاعين بريين ، ، يحتلهما الجيش المصرى . وقطاع بحرى يدافع عنه الانجليز .. كنا نحارب .. رغم ان مصر لم تكن قد أعلنت الحرب

وكانت سياط العذاب التى تلفعنا نحن الجنود والضباط ، تتلاحق علينا مع الليل والنهار ومع الاحداث المتعاقبة التى تمر بها البلاد ..

كان موقف مصر من هذه الحرب موقفا مائعا .. ولم يكن من السهل تحديده فى صورة مفهومة واضحة

وكان من المؤكد أن هذ الموقف أن تحدد ، فلن تكون مصر هى التى تحدده على التأكيد ..

ويلات الحرب

كانت سياسة مصر التى أعلنها رئيس حكومتها عند اعــلان الحرب هى سياسة «تجنيب مصر ويلات الحرب»

ولم تكن مصر تستطيع ان ترسم لنفسها سياسة أوضح من هذه أو أكثر حسما وتحديدا .. فقد كانت هناك المعاهدة ..

وكانت جنود الاحتلال تملأ بلادنا ، وطائراتهم تجثم على صدور مطاراتنا وتنطلق منها الى الميادين القريبة الحافلة بالموت .. ودباباتهم تختال فى شوارعنا ومن فوقها جنود حمر الوجوه .. ومخازن ذخيرتهم ترصع ارجاء الوادى بالبارود والقنابل واسلحة الدمار .. وكانت ارضنا فوق ذلك حقلا كبيرا يشرب حبات العرق من جباه آبائنا واخوتنا ليخرجها قمحا للغاصبين ..

وكان موقفنا نحن ضباط الجيش وجنوده ، هو الموقف الضنك .. فسياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب» لم يكن معناها اننا لن نحارب فعلا .. وكان الذى يشقينا هو أن نسأل انفسنا : نحارب من اجل من ؟ !

فهل كانت سياسة «تجنيب مصر ويلات الحرب» تحمل هذا المعنى واضحا وترسم خطته كاملة الى نهايتها !

لقد كانت تشير الى شيء ، أو ترنو الى أمل .. وهذا الشيء وهذا الامل هو الذى فهمته مصر منها .. وفهمه الانجليز ايضا

فهمته مصر ، فحاولت أن تستبشر به وفهمه الانجليز فأبرق وزير خارجيتهم لورد هاليفاكس الى سفير انجلترا « كيلرن » ببرقية قصيرة حاسمة :

أى : يجب ان تستقيل حكومة على ماهر ..

وكانت هذه البرقية كأنها القضاء الذى لايرد .. فاستقالت فعلا حكومة على ماهر ، لانها اشارت بسياستها الى شيء ورنت الى امل ، وفهم الانجليز الشيء والامل !

لم يكن امر مصر اذن فى يدها ، بل كان فى أيدى الانجليز .. وكنا ننظر الى المستقبل على هذا الوجه ، فلا يلبث أن يرتد الى الماضى .. الى الحرب العالمية الأولى التى سيقت فيها مواكب آبائنا مسخرين الى ميادين القتال يحفرون الخنادق ليموتوا فى أحشائها ، ويحملون الروث ليدفنوا تحت اكوامه ، ويلعقون العرق ليوفروا كؤوس الشراب للانجليز !

مخاوف وحراب

ويجلب الماضي صور بعضه بعضا ، فلا يشير الى بارقة أمل فى مستقبل البلاد تحت هذه الاوضاع

يجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشعب عام ١٩١٩ فأطفأها زعماؤه يوم وصلوا الى الحكم واصبحوا أحزابا .. مطايا للأنجليز ..

ويجلب صورةالثورة المجيدة التى أشعلها الشباب عام١٩٣٥ ليجمع الاحزاب فى حزب واحد لمصر ، فاجتمعت الاحزاب فى حزب واحد ليوقع معاهدة الصداقة والتحالف مع الانجليز !

ويجلب صور شقاء كثيرة ! فقر ، وعرى ، وانقسامات وتضحيات ودماء .. يتحالف فوق أنقاضها الزعماء والانجليز !

وما تغير الزعماء

ولا خرج الانجليز ..

ولكن قامت الحرب .. وبدأت بوادر شقاء جديد

ماض كله حسرات ، ومستقبل كله مخاوف ، وحرب قائمة لابد ان نصلاها ، حتى فى ظل «سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب»

وفجأة علمنا ان أوامر من قيادتنا ستصدر لنا .. وعلمنا هذه الاوامر أيضا

وكانت هذه الاوامر ، تقضى بأن تنسحب الفرقتان المصريتان اللتان تقومان بالدفاع فىالقطاعين البريين لتحتلهما قواتبريطانية حتى تنفرد بريطانيا بالدفاع عن النقطة كلها

والى هنا كانت الاوامر بسيطة يمكن قبولها ، ولكن الشق الاخير فيها كان يقضى بأن نترك سلاحنا ، ونسلمه للقوات البريطانية التى ستحتل القطاعين

وهاج الضباط وماجو ..

وتحرج الامر جدا ..

وصممنا على الا نترك سلاحنا . ولو اقتضى ذلك أن نموت عن آخرنا ..

وكنت أجد فى هذا الاجراء فرصة مناسبة ، لتجعل من «فكرة الحياة» حقيقة مجسمة ، يشارك فى حمل اعبائها الجيش كله ، والشعب كله ايضا

وكنت اعتقد أن أى احتكاك منا بالانجليز سيقفز بفكرة الحياة مائة عام الى الامام ..

خطة لم تنفذ

وبدانا نضع خطة كان من زملائنا فيها البكباشى أحمد حسن وجميع الضباط الصغار حتى رتبة يوزباشى بلا استثناء

كانت قوتنا هناك قوة مختلطة ، تسمى «القوة الحقيقية» .. وكانت تتكون من خلاصة الجيش المصرى ، تضم زهرة سلاح المدفعية وبقية الاسلحة الاخرى ..

فوضعنا خطتنا على أساس أن تعود هذه القوات ، فتحتل وهى فى طريقها الى القاهرة كل المرافق العامة ، ثم تفرض حكومة على ماهر مرة أخرى ، بعد استقالته المعروفة المدوية..

كنا اذ ذاك فى شهر سبتمبر ، وكان على ماهر قد استقال فى شهر يوليو . وكان الشعور القومى ضد الانجليز قد بلغ أقصى مداه فى البلاد

وصدرت الاوامر لنا فعلا بالانسحاب وبترك أسلحتنا .. فرفضنا ترك السلاح وتقدمنا الى القاهرة

ولاكثر من سبب تبين لنا أن تنفيذ هذه الخطة سيكون وبالا علينا .. فقد أدركنا على أساس تقدير الموقف ، أننا لن نستطيع ان ننجح فيها الى نهايتها ..

فاكتفينا بالعودة بأسلحتنا كاملة .. واعتبرنا هذا نصراكافيا لنا فى مرحلة جهادنا الاولى

وعلى الرغم من كل الاحاديث التى دارت بشأن هذه الخطة والتمهيدات التى كنا قد بدأنا نقوم فعلا بها ، فان الانجليز لم يكتشفوا منها أى شيء.. ولكنهم فى الوقت نفسه ادركوا سيطرة روح العداء لهم على ضباط الجيش الصغار .. وأيقنوا ان هذه الروح قد تلعب دورا أخطر من ذلك الدور فى يوم قريب

وبدأنا نحن نصبح هدفا لعيون الانجليز حيثما كنا .. فى القاهرة أو فى أى سلاح من أسلحة الجيش ننقل اليه ..

والكسب الاكبر الذى كسبناه من هذه الحادثة ، هو عودتنا الى القاهرة فقد جمعتنى القاهرة فورا بجميع أصدقاء منقباد .. ما عدا جمال الذى كان لا يزال فى السودان ..

وفى القاهرة بدأت اجتماعاتنا تتوالى وتتركز .. وأخذنا نفكر فى شيء نقوم به على اساس من الدراسة الكاملة ، وبحيث يكون توقيته الكامل فى أيدينا نحن لا فى أيدى الظروف وحدها

وكان فى خيالنا رجلان. .نريد أن نتصل بهما ، وأن نشركهما معنا فى عملنا الكبير ..

على ماهر .. صاحب البيان المشهور والاستقالة المدوية

وعزيز المصرى رئيس هيئة أركان حرب الجيش،وهوالرجل الذى وقع اختيارنا عليه عندئذ ، لكى يقود ثورتنا

وحاولنا أن نتصل بعلى ماهر ، فلم نستطع ..

وحاولنا أن نتصل بعزيز المصرى ، فاستطعنا .. ولكنا اتصلنا فى طريقنا اليه .. بالاخوان المسلمين ايضا .. !

مصادفة ورجلان

- الرجل ذو العباءة الحمراء ..
- اجازة اجبارية لعزيز المصرى
- لواءات يخونون جيش مصر
- اذهب الى هناك واقطع تذكرة ..
- اتهام عزيز المصرى بمحاولة قتل نازلى ..

الرجل ذو العباءة الحمراء

الزمن : ليلة مولد الرسول من عام ١٩٤٠
والمكان : سلاح الاشارة فى المعادى
وكنت اذ ذاك ضابطا برتبة ملازم فى هذا السلاح ..

ومولد الرسول فى مصر ، موسم من مواسمها ، يعرف الاطفال فيه عرائس الحلوى ، والاحصنة الصغيرة الملونة يركبها فرسان العرب .. وتعرف فيه البيوت والدواوين والمجالس النيابية ودوائر السياسة وقصور الاغنياء، الحلوى الحمصية والسمسمية .. ثم .. لا شىء بعد ذلك ..!

وعلى هذا الوجه مرت بمصر هذه الليلة ، كما مرت بها دائما .. ولكنها لم تمر بى كذلك ، فقد كانت، من حيث لاأدرى، ليلة البدء لاحداث كثيرة متتابعة سمع المصريون أطرافا منها ، بعضها خافتا كالهمس ، وبعضها مدويا .. كالقنابل والمتفجرات!

كنا جلوسا فى احدى غرف السلاح، نتناول العشاء ونتكلم..

وكان جنود هذا السلاح ، واغلبهم بطبيعة عملهم فى سلاح الاشارة فنيون متطوعون قد اعتادوا منى كثيرا أن أحاضرهم واعتادوا منى دائما أن أتناول طعامى معهم ، وان أحدثهم بصراحة وان يحدثونى بمثلها

كنا فى أثناء استراحتنا وطعامنا ، اخوانا مصريين لا ضابطا وجنودا ..

ودخل علينا ونحن جلوس للعشاء فى ليلة مولد النبى جندى من جنود السلاح الفنيين ، لم يكن موجودا بيننا منذ بدء هذه

الجلسة ، وقدم الينا صديقا له يلتحف بعباءة حمراء لاتكادتظهر منه شيئا كثيرا

لم أكن اعرف هذا الرجل الى ذلك اليوم ، ولم يثر دخوله ولا ملبسه اهتمامى ، ولم يلفت نظرى .. وكل ماهناك انى صافحته ورحبت به ، ودعوته الى تناول العشاء معنا ، فجلس وتناول العشاء ..

وفرغنا من الطعام ، ولم أعرف عن الضيف شيئا الا بشاشة فى وجهه ورقة فى حديثه وتواضعا فى مظهره

ولكنى عرفت بعد ذلك عنه شيئا كثيرا ..

فقد بدأ الرجل بعد العشاء حديثا طويلا عن ذكرى مولد الرسول .. كان هو اللقاء الحقيقى الاول بينى وبين هذه الذكرى ..

كان فى سمات هذا الرجل ، كثير مما يتسم به رجال الدين عباءته ، ولحيته ، وتناوله شيئا من الدين بالحديث ... فليس حديثه هو وعظ المتدينين ..

ليس الكلام المرتب ، ولا العبارات المنمقة ، ولا الحشو الكثير ولا الاستشهاد المطروق ، ولا التزمت فى الفكرة ، ولا ادعاء العمق ، ولا ضحالة الهدف ، ولا احالة الى التواريخ والسير والاخبار ..!

كان حديثه شيئا جديدا ...

كان حديث رجل يدخل الى موضوعه من زوايا بسيطة ويتجه الى هدفه من طريق واضح .. ويصل اليه بسهولة اخاذة ...

وكان هذا الرجل هو المرحوم الشيخ حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين ...

الموعد الاول

وانتحى الرجل بى ناحية ، وتجاذب معى حديثا قصيرا

انهاه بدعوتى الى زيارته فى دار جمعية الاخوان المسلمين قبل حديث الثلاثاء ...

وذهبت يوم الثلاثاء ..

ولم أكد أضع قدمى فى مدخل الدار ، حتى شعرت بكثير من الرهبة ، وكثير من الغموض ..

دخلت من حجرة كبيرة جدا ، من هـذه الحجرات التى عرفت بها الابنية المصرية القديمة ..

وقطعت هذه الحجرة بأكملها لانفذ من باب صغير ..

ونفذت من هذا الباب ، لالقى امامى شيئا كالحجرة ، او شيئا كالممر الطويل بين حجرات ..

وانما كان مكتبة ..

كان صفوفا طويلة من الارفف المتقاربة الملتصقة بالحوائط ، وقد صفت عليها مئات كثيرة من الـكتب ملأت جو المـكان برائحة الورق المخزون ...

وعلى بعد كبير فى آخر هذا الممر .. كانت هناك عينـان فقط ترسلان بريقا قويا ، هما كل ما يظهر من الرجل الجالس خلف مكتبه .. مرشـد الاخوان ..

وتحدثت مع الرجل طويلا فى ذلك اليوم ..

ولـكنه لم يفتح لى كل نفسه ..

تحدث معى كثيرا .. ولكنه لم يخرج عن دائرة الدين ابدا

وحصر نفسه فى هـذه الدائرة ، ولـكنه جعـل يتسـع بمحيطها شيئا فشيئا حتى اصبحت افقا كبيرا مليئا بالمعانى..

ورغم كل المحاولات التى بذلتها فقد فشلت ..

ورغم كل ما تطرق اليه الحديث من شئون الجيش ، فقـد ظل الرجل ملتزما ناحية الدين ، واهمال الناس له ورسـالة الايمان التى يجب ان يرتكز عليها جهادنا ، ووجوب نشر هذه الرسالة فى صفوف الجيش ..

وتكررت زياراتى بعد ذلك للرجل

وبدأنا نتحدث فى كثير من الشئون العامة .. وبدات اوقن ان الرجل يطوى صدره فعلا على مشاريع كبيرة وخطيرة ... لايريد ان يفصح عنها .. كما ايقن الرجل ايضا انى لا انتوى الانضمام الى جمعيته ، ولعله شعر او ادرك انى اعمل شيئا ، وانى لست اعمله وحدى ...

ولم يرد الرجل ان يعرض على الانضمام الى جمعيته ، كما انه لم يحاول أن يسألنى عن أية صلة لى بآخرين .. ولكنى فهمت انه كان يدرك اشياء كثيرة من الحقيقة فى مناسبة جاءت بعد ذلك بأيام ...

وفى يوم تقابلت معه ، وكنت ثائرا مكتئبا تملأنى المرارة والالم ...

فقد صدرت الاوامر فى ذلك اليوم باعطاء الفريق عزيز المصرى اجازة اجبارية من رياسة اركان حرب الجيش ...

وكان معلوما لنا ان وراء هذه الفعلة ايدى الانجليز ... وكان مجرد العلم بهذا كافيا لاثارة نفوسنا ، ودفعنا الى اى عمل قد يراه الكثيرون — فى مثل ظروفنا — من اعمال الجنون !

لواءات يخونون الجيش

فقد كنا نعرف ما اراد عزيز المصرى لجيش مصر من قوة ومنعة ...

وكنا قد بدأنا ننتعش بالنهضة الفعلية التى بعثها الرجل فى الجيش ...

وكنا نسمع كثيرا من القصص التى تروى عن محاولات عزيز المصرى الاصلاحية ، والمشاكل والعقبات التى توضع امامه ، والاحابيل والشراك التى تنصب له ، والتى عرفت بعد ذلك

للاسف الشديد ان الذى كان ينصبها له هم كبار ضباط الجيش المصرى نفسه !

وكنا قد تحققنا من الشرك الاخير ، شرك الخيانة الحقيقية تقع من ضباط كبار ...

فقد جمع الفريق عزيز المصرى لواءات الجيش ليسألهم عن مدى حاجتهم فى اسلحتهم الى جهود البعثة الانجليزية ، ومدى ما حققته هذه البعثة فعلا من الاصلاح ...

وكان الجيش كله ، ما عدا هذه الفئة يتمنى اليوم الذى تزول فيه وصمة البعثة الانجليزية من وحداته واسلحته

وتكلم عزيز المصرى مع الضباط الكبار كلام مصرى لمصريين وكلام قائد لضباطه ...

ولكنهم خرجوا من هذا الاجتماع لا ليفكروا ولا ليبحثوا ولا ليسكتوا ... ولكن لكى يذهبوا الى السادة الانجليز ويقصوا عليهم حديث قائدهم ...

وعادوا اليه فرادى ...

عاد كل منهم ، وطلب مقابلته لكى ينهش فى لحم الآخرين

اجازة اجبارية لعزيز

ولعل كلا منهم كان يرمى من وراء ذلك الى الظهور امام الرجل بمظهر الوطنى ، نفيا للشبهة عن نفسه ، والصاقا بها فى الآخرين ، اذا حدث ان وقعت الواقعة وعلم الرجل حديث الخيانة ...

ولكن عزيز المصرى ، فهم كل شىء ، وادرك انه بين جماعة من اللواءات لايفضل واحد منهم اخاه الا فى خسة النفس وبطلان الضمير ...

ولم تكن خيانة اللواءات هى كل ما احاط بعزيز المصرى من الشراك ...

فقد كان الانجليز احرص من الا يرصدوا عليه كل حركة من حركاته فاستطاعوا بأساليبهم المختلفة ان يملأوا وظائف مكتبه بجماعة من الضباط الشبان الحاصلين على شهادات دراسية عليا ، والحاصلين على شهادة انجليزية فذة فى نوعها هى شهادة التخصص فى اعمال التجسس للانجليز (١) ...

كل هذا كنا قد بدأنا نسمع عنه ....

وكل هذا قد تحققنا منه بعد ذلك ...

وجاءت الاجازة الاجبارية لعزيز المصرى كناقوس كبير يدوى فى آذاننا لكى نبدأ العمل ...

□

وطال الحديث عن عزيز المصرى ، ولاح منى شدة اهتمامى بهذا الموضوع ، وابديت رغبة شديدة فى ضرورة لقاء هذا الرجل الذى كان موقفه محور تفكيرنا ...

وهنا شعرت بأن المقابلة قد آذنت على الانتهاء ، حين قدم الى المرحوم حسن البنا وريقة ...

واخذت الوريقة اقرؤها بشغف شديد .. بينما قال لى حسن البنا ، والابتسامة على شفتيه :

ـ واقطع تذكرة عند الدخول كما يفعل الداخلون ..!

وخرجت من دار الاخوان المسلمين .. اخطو خطواتى الاولى الى مستقبل ... مجهول ...

---

(١) نؤكد أن سليمان محمود الذى شغل فى وقت من الاوقات منصب مدير مكتب عزيز المصرى ، لم يكن مطلقا من بين من شملتهم هذه الاشارة

عزيز المصرى
يتهم بدس السم لنازلى

- فاروق ينام فى لندن بملابس السهرة
- ماذا ينتظرون من الشيوخ ؟
- احمد حسنين وعمر فتحى تآمرا على فاروق
- لابد من انقلاب على ايدى العسكريين

قال لى المرحوم حسن البنا انى سالتقى فى اليوم التـالى بالفريق عزيز المصرى ..

وحدد لى موعد اللقاء ومكانه ..

وكنت اعلم ان مقابلتى له فى ذلك الوقت قد تثير كثيرا من الشكوك والشبهات ..

فعلى الرغم من الطمأنينة التى كانت تبدو على وجه المرحوم البنا وهو يحدد ذلك الموعد ، فقد كنت انا على يقين من ان مخابرات انجلترا لن تكون نائمة فى ذلك الموعد المضروب ..

وكان على ان ارجع الى تشكيل الاحرار قبل المقابلة وكان على ان اعود اليهم بعد المقابلة ..

فلا بد اذن من الحذر .. ان اى شك يحوم حولى قد يذهب بتشكيل الاحرار كله ..!

كنت اشعر فى كل خطوة اخطوها الى حى السيـدة زينب بانى اخطو خطواتى الى بدء مستقبل حافل مجهول ، لا بد ان تقع فيه احداث جسام

كنت اعرف انى ذاهب لاضـع قدمى على اول الطريق ، ولكنى لم اكن استطيع ان اتخيل الى اين سوف تقودنى قدماى، او الى اى مكان سوف يمضى بى الطريق ..

ولم اكن كذلك قد فكرت فى شىء من كل هذا . فلم يزد الامر عندى عن انى ذاهب الى لقاء عزيز المصرى ، وان هـذا اللقاء لابد محدث اثرا ..

واتجهت الى العنوان الذى كتبه لى المرحوم حسن البنـا قبل ذلك بيوم .. ونظرت الى فوق فقرات اللافتة الموضـوعة

على عيادة الطبيب « الدكتور ابراهيم حسن »

وصعدت الدرج بخطى ثابتة ، ثم تذكرت انى « مريض » او لابد ان اكون « مريضا » فربما كان البيت مراقبا ، بل من المؤكد انه مراقب ، اذ كانت المخابرات البريطانيـة قد علمت بوجود عزيز المصرى فى داخله ..

ولاول مرة قمت بدور تمثيلى صغير .. فصعدت الدرج فى تثاقل ، ولهثت بأنفاسى مرتين !

وطرقت البـاب وطلبت مقـابلة الطبيب ، واعطيت خادم العيادة اجر الزيارة ، واخذت منه تذكرة !

وبعد قليل دعانى الخادم الى غرفة الطبيب .. ورأيت لاول مرة وكيل جمعية الاخوان المسلمين ..

ولم يكن غريبا ان الدكتور ابراهيم حسن ينتظرنى .. فقد اخذنى من فورى الى مكتب ملحق بحجرة الكشف وادخلنى اليه ..

وفى هذه الغرفة ، كان عزيز المصرى فى انتظارى ..

ماذا تنتظرون ؟ !

كنت بحاجة ان اقدم نفسى للفريق الذى آمنت بوطنيته .. وكنت اريد ان اقول له كلاما كثيرا ، وان اكسب ثقته

لكن رغم كل شىء .. رغم الطريقة التى تم بها اللقاء بينى وبينه ، كنت اشعر ان فى قلب الرجل ندوبا عميقة من خيـانة الاصدقاء ، الكبار والشبان على السواء ..

ولكن النفس الصافية ، ابت ان تحملنى هذه المشقة ..

وفى الدقائق الاولى كان عزيز المصرى يحدثنى حديث رفيق الجهاد .. كان يائسا من الحكومات ، يائسا من الاحزاب ، يائسا من الملك ، يائسا من البرلمان ، ولكنه كان مؤمنا بالشباب ..

وقال لى :

ـ عيب هذا البلد انه ضعيف ، وانه لا يجد العناصر التى تغذيه بالقوة ..

وسألته :

ـ وكيف نأتى بهذه القوة ؟..

فنظر الى وقال :

ـ انتم شباب الجيش .. ماذا تنتظرون ، ومتى تعرفون مسئوليتكم الحقيقية ، ومتى تبدأون فى الاضطلاع بها ؟

وعدت اسأله :

ـ وهل تظن اننا فى داخل الاوضاع القائمة نستطيع اليوم شيئا ..

فأجاب وقد انتفض :

ـ تستطيعون كل شىء .. وغيركم لايستطيع شيئا .. ماذا تنتظرون ؟.. تنتظرون توجيها منى ، من لوآءاتكم من حكام البلاد ؟..

وسكت وهو يتمتم : كلام فارغ !..

ثم نظر الى فى عزيمة شابة ، وقال :

ـ لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره فقط .. كان مثلك هكذا شابا صغيرا .. ولكنه استطاع ان يكون فى تلك السن المبكرة نابليون القائد . واستطاع ان يقود بلاده وجيشه ، ولم يكن يتلقى توجيها من احد ..

وبعد لحظات قال فى عمق :

ـ التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته ، هو الايمان الذى كان ينبعث من نفسه .. فابحثوا عن الايمان ولا تعتمدوا ابدا على احد .. الا على انفسكم ..

الايمان ... والشباب

وكان لكلمة الايمان فى نفسى رنين خاص عميق .. فقد كنت

انا ايضا ابحث عن الايمان ، واومن فى الوقت نفسه بأنه المخرج الوحيد لنا من الحيرة التى كان المصريون جميعا يعيشون فيها فلا يكادون يقدمون حتى يحجموا .. تيئسهم الحسرات ، وترعبهم المخاوف ..

ورغم هذا ، فقد قلت له :

ــ لقد عشت انت مؤمنا بهدفك وعشت لا تعتمد على احد .. وتغلبت عليك مع ذلك هذه القوى .. ونحن نريد ان نعمل ..

فقاطعنى بقوله :

ــ اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم وايمانكم .. والذى يستطيع ان يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك والذى يستطيع ان يقصيه عن توجيه الجيش ، لا يستطيع ان يقصى شباب الجيش عنه ..

متى بدأ الفساد ؟

وكان كلاما منطقيا حكيما .. وكان مع ذلك اشارة الى سلسلة الدسائس التى تعرض لها عزيز المصرى قبل هذه المرة .. فسألته :

ــ اذن فقد بدأت الدسائس من زمن ..

فقال :

ــ نعم ، منذ كنت فى انجلترا اشرف على تربية فاروق ..

وتنهد بمرارة وهو يقول :

ــ كنت احب ان تحسن تربيته ، لانه شاب ، سواء كنت انا الذى اربيه ام غيرى .. ولكن يد الخيانة والدسائس امتدت اليه .. وكانت اقرب الى قلبه من يدى ..

وسألته :

ــ أتقصد احمد حسنين ؟

فقال :

ــ احمد حسنين ، وعمر فتحى .. هذان الاثنان تآمرا على فاروق .. فتآمرا بذلك على شعب مصر فى شخص ملكه

وبعد قليل عاد ليتكلم :

ــ هل تتصور انى كنت ادخل غرفته صباحا ، فأجده نائما بملابس السهرة .. والخمر تفوح من فمه ؟ !

هذا الشاب الذى كنت اريد له الصلاح والتقوى والوطنية كانا هما يريدان له الفساد والتهتك والاستهتار .. كانا يقودانه الى دور الفساد ، فلا يعود الا فى الرابعة صباحا ، ويعود مخمورا .. فينام .. ويلقى بنفسه لقاء على اقرب مقعد .. او وسادة ..

وكنت احاول ان انهاه عن ذلك فيخجل .. ولكنهما ينفردان به من بعدى ، فيزيلا كل اثر لنصائحى ..

وتمهل قليلا .. ثم اردف :

فاروق يكره اباه !

ــ هل تريد ان تعرف سرا خطيرا ..

ولم ينتظر منى اجابة فقال :

ــ لقد القى هذان الاثنان فى وهم فاروق انى مدسوس عليه من ابيه ..

قلت :

ــ أبيه ؟..

قال :

ــ نعم ... فان فاروقا كان يبغض اباه اشد البغض ... يبغضه من كل قلبه ... وكان يقدس امه تقديسا شديدا ... فألقى هؤلاء فى وهمه انى انا عزيز المصرى اشيع الاقاويل عن امه ، وانى اريد أن ازيلها من الوجود لكى ينفرد أبوه بحبه ..

وانى اعمل الآن على دس السم لها ..
وسألته :
ــ وعرفت انت كل ذلك ؟..
فأجاب :
ــ نعم عرفته .. عرفته يوم ارسل فاروق الى ابيه خطابا باكيا يهدده فيه ان لم يسحبنى فورا من مهمتى ..
وبعد هنيهة قال :
ــ وقد سحبنى ابوه فعلا .. وتركه لهذين المفسدين .. يفسدانه على نفسه ، ويفسدانه ايضا على وطنه ..
ثم تلاحقت الدسائس ، والمؤامرات لتقصينى عن كل مكان استطيع فيه ان اوجه الشباب ، لان فاروقا يعرف كيف اوجه انا الشباب ..

لا بد من انقلاب

كان الرجل يتكلم بانفعال شديد ، حتى كاد يغلبنى البكاء .. ولكنه عاد الى طبيعته الواثقة .. وقال لى :
ــ ان كان معك خمسة افراد مؤمنين ، فانى على استعداد اليوم ان احمل طبنجتى ، واتقدمكم لاى عمل لانقاذ البلد ...
وعندما هممت بالانصراف ، شعر عزيز المصرى بالمسئولية التى وضعها فوق كتفى .. فقال مؤكدا :
ــ لن يكون خلاص للبلد الا بانقلاب على ايدى العسكريين..
ونظر فى عينى طويلا ، وانا اصافحه .. ولم يقل بعد ذلك شيئا ..
ولكنى عندما خرجت من عنده ، كانت رسالتنا قد تحددت ، كهدف بعيد نستطيع ان نراه بأعيننا ، وان كنا لا نتبين الطريق اليه ..

من هم زملاؤك ؟ !

وفى اليوم التالى التقيت بالمرحوم حسن البنا وسألنى عن اثر زيارتى لعزيز المصرى فى نفسى .. وكأنه كان يعلم ما جرى فيها .. ولاحظت انه يريد ان يزداد علما بالمجموعة التى شعر انى واحد من افرادها ..

فقد سألنى عندئذ :

ـ هل لديك زملاء فى الجيش يشتركون معك فى هـدف معين ؟ !

وكان السؤال فى ظاهره بريئا ولكنه كان يريد ان يعرف من ورائه ان كان هناك تشكيل معين يضمنى ويضم غيرى ..

ولم اخف الحقيقة عنه .. ولكنى لم ابح له بأسماء اخوانى قلت :

ـ انى لست اعمل وحدى .. وان هناك تشكيلا معينـا موجودا ، واننا جميعا نؤمن بالكلام الذى قاله لى عزيز المصرى ونعرف ان البلد لن تخلص من الاستعمار الا بانقلاب عسكرى يقوم به رجال من الجيش ..



حادث ٤ فبراير

- حسن البنا يختزن السلاح ..!
- الانجليز يحاولون عزل الجيش عن الشعب ...
- كوكتيل مولوتوف لابادة الانجليز ..!
- خطتنا وخطة القدر ...
- جاسوسان المانيان يطلبان المساعدة ...
- البنك الاهلى والاوراق المالية المزيفة !

— فهم المرحوم حسن البنا منى اننى لست اعمل وحدى ..
وفهم اننا نريد ان نقيم حكومة عسكرية فى البلاد تحارب الانجليز الى جوار المحور ..

وفهم ان الذى ينقصنا فعلا هو جماعة اخرى من الشباب ، تستطيع خوض المعركة باسم الشعب عندما يضرب تشكيلنا ضربته ، كعمل عسكرى ...

وبدأ المرحوم حسن البنا يتحدث الى حديثا طويلا عن تشكيلات الاخوان المسلمين ، واهدافه منها ، وكان واضحا فى حديثه ، انه يريد ان يعرض على الانضمام الى جماعة الاخوان المسلمين ، انا ، واخوانى فى تشكيلنا ، حتى تتوحد جهودنا ، العسكرية والشعبية ، فى هذه المعركة ..

وكنت انا مستعدا للاجابة على هذا الطلب اذا وجهه الى ، فلما رأيته يكتفى بالتلميح ، اوضحت له من جانبى ايضا ، انه ليس من وسائلنا ابدا ان ندخل كجماعة ولا كأفراد فى اى تشكيل خارج نطاق الجيش

واطرق المرحوم قليلا ثم قال ، وعلى وجهه ابتسامة تغطى تفكيرا عميقا :

— من الخير لنا اذن لنجاحنا ونجاحكم ان نتشاور وان نتكلم معا فى كل شىء .. كما اننا على استعداد لكى نعاونكم عندما تطلبون ذلك الينا ..

تعاون ... واسرار !

وبدا بيننا تعاون كنت انا الصلة فيه .. تعاون بدا فى تحفظ واستمر فى تحفظ ..

وفى خلال هذا التعاون تكشفت لى اشياء كثيرة من الاسرار الداخلية لجماعة الاخوان رغم انه رحمه الله لم يحاول ان يكشف لى شيئا منها ، ولا ان يطلعنى على اى سر من اسرارهم الداخلية ..

المرشد وحده يعلم !

وكان اهم هذه الاسرار ، ان حسن البنا وحده كان الرجل الذى يعد العدة لحركة الاخوان ، ويرسم لها سياستها ثم يحتفظ بها فى نفسه .. وان اقرب المقربين اليه لم يكن يعرف من خططه شيئا ، ولا من اهدافه شيئا ..

حتى لقدكان حسن البنا فى ذلك الوقت المبكر يجمع السلاح ، ويشتريه ويخزنه ، ولكنه لم يكن يطلع اقرب الناس اليه من كبار الاخوان انفسهم على اى شىء من كل هذا ..

وكان على العكس من ذلك يستعين فى هذه العمليات باخوان من الشبان الصغار .. وكان منهم الجندى المتطوع الذى جاءنى به فى سلاح الاشارة اول مرة ..

وكان اعوانه الصغار هؤلاء يعرفون ان ما بينهم وبينه سر على الناس جميعا بما فيهم الاخوان الكبار ..

فقد ادركت هذا فى يوم من الايام ، كنت جالسا معه ، عندما دخل علينا هذا الجندى المتطوع يحمل فى يديه صندوقين مغلقين ..

ورآنى الجندى جالسا ، فأجفل ، ولكن حسن البنا ، قال له افتح الصناديق ، ولا تخف ..

ونظر الجندى الى بابتسامة الاخ فى الجهاد ، ثم فتح صندوقيه ، وكان ما فيهما عينات من انواع المسدسات ..

وتأكدت فى ذلك اليوم من ان الرجل يشترى سلاحا ويخزنه ، ويخفيه حتى عن الاخوان ..

وفرحت فى نفسى بذلك ..
فسيأتى اليوم الذى نضرب فيه ضربتنا كرجال عسكريين ..
وسيكون من اهم ما نستعين به ان نجد قوة شعبية تقف فى الصف الثانى ، مسلحة مدربة ..
ولكن ، متى يكون هذا اليوم ؟
ان الامر بحاجة الى اعداد كامل طويل ..
ونحن نستعد .. ونستعد .. ونستعد
ودعوتنا تجد انصارها ببطء ، ولكن فى وثوق
وكل شىء يجرى على وجه نطمئن اليه ..
وفجأة ...
كان يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فقلب خطتنا راسا على عقب ، وبدأنا السير فى طريق خطير ...

٤ فبراير ...

واحب ان اعرض هنا لبعض الحقائق والملابسات التى اكتنفت حادث ٤ فبراير ..
فعلى كثرة ما كتب عن هذا الحادث فان هناك حقيقة لم تنشر ابدا ، ولم تطف بأذهان الذين تكلموا ، ولا الذين سمعوا ..
فقد اخذ الناس هذا الحادث بالمأخذ السطحى ، فقالوا ان مظاهرات سارت فى البلاد تهتف : « الى الامام يا روميل » فتحركت دبابات الانجليز تفرض النحاس على الملك ، رئيسا لمجلس وزراء البلاد ..
ولو قلت اليوم ان هذه المظاهرات قد رسمت رسما ودبرت تدبيرا ، لما جاوزت الصواب ..
ولو قلت انها رسمت ودبرت لتبرر هذه الجريمة التى ارتكبها الانجليز .. لما جاوزت الصواب ايضا ..
وبقى ان تعرف بعد ذلك اليد التى حركت هذه المظاهرات بليل ..

يد المدبر ، والمحرك ، وناصب الشرك ...

اين التحقيق ؟ ..

لقد كانت البلاد واقعة تحت حكم عرفى ، والذين يقودون مظاهرات كهذه ــ ان كانوا من الوطنيين فعلا ــ لابد ان يقدروا خطورة تظاهرهم ، ودعائهم لروميل فى بلاد يحتلها جيش الانجليز ..

ومع ذلك فقد سارت المظاهرات بليل ... ولم نعرف اشخاص قادتها ، ولا قبض رجال البوليس عليهم ، ولا تحرش بهم جيش الانجليز المقيم فى العاصمة ، والذى لم يجد حرجا فى مهاجمة قصر الملك !

فاذا بحثنا عن الدافع الذى صورته انجلترا لهذه المظاهرات ، لعرفنا كيف تستطيع الدعاية البريطانية واعوانها فى مصر ، ان تلعب فى فترات الحرج ، بعقول العامة من اهل هذه البلاد . فاذا بالاكذوبة تصبح حقيقة تتناولها صحف مصر اثنى عشر عاما كاملا .. ثم ترددها قاعات المجالس النيابية ، وقاعات المحاكم ايضا فى قضايا السياسة الكبرى !

احقا ، هذه المظاهرات قد سارت فى شوارع القاهرة ، لتلعب دورا فى هزيمة الانجليز ؟ !

انها اذن مظاهرات خطرة ، من ورائها تدبير وطنى فاهم لما يعمل ..

فأين المدبرون والمحركون ، واين قصاص الانجليز منهم ، او قصاص الذين حكموا مصر بأمر الانجليز ؟ !

فان لم تكن هذه المظاهرات بالخطورة الفعلية على كيان الانجليز فى ايام محنتهم ، ففيم اذن هذا الاجراء العنيف ، وقد كان ايسر اجراء فى تلك الايام كفيلا بقمع مظاهرات ، لا هى بالخطيرة ، ولا وراءها تدبير ؟ !

ولكن هناك هدفا .. وقد تحقق هذا الهدف ..

والهدف هو ايجاد مبرر تستند اليه الدعاية البريطانية ، عندما يتخذ الانجليز هذا الاجراء الاجرامى الشاذ فى نوعه ..

وقد تحقق هذا الهدف ، واستطاعت انجلترا ان تفرض على الملك حكومة النحاس ..

الهدف الكبير

ويبقى السؤال الذى لا يزال ينتظر الجواب ..

لماذا اراد الانجليز هذا ، وما الذى كلفهم كل هذا التدبير ، وكل هذه الجريمة ، وكل هـذه الدعاية التى اضطروا اليهـا اضطرارا لتبرير فعلتهم ؟!

لم تكن المسألة مسألة السخط الذى كان يعم مصر وقتئذ.. ولم تكن مسألة الخوف من فورة الشعور الشعبى المضاد للانجليز فى وقت يقف فيه الانجليز فى احرج موقف من مواقف الحرب العالمية الثانية ..

فما كان حادث ٤ فبراير ليستطيع ازالة السخط ، ولا وقف الشعور الشعبى المضاد للانجليز ، وانما هو جدير بزيادة السخط والكراهية ، وكشف العداء سافرا بين شعب مصر ، وبين حليفه المفروض عليه فرضا .. جند الاحتلال ..

فصحيح كان هناك سخط ، وكان فى البلاد توثب لانتهاز الفرصة وضرب الانجليز من الخلف ، بينما تشتد عليهم نيران روميل من الامام ..

ولـكن هذا ، لم يكن كل شىء .. ولم يكن يستحق الموضع الذى وضعت انجلترا نفسها فيه ، يوم ٤ فبراير المشئوم ..

الجيش ... والشعب

كانت انجلترا ترى ان هناك تقاربا بين الملك وبين الشعب من ناحية وبين الملك وبين الجيش من الناحية الاخرى .. فقد

كان الملك فى نظر الشعب وفى نظر الجيش ايضا .. شابا وطنيا ، وكان محبوبا .. ورأت انجلترا ان هذا التقارب سيوجد جبهة متحدة من الجيش والشعب ، فأرادت ان تحطم هذه الجبهة ، وان تعزل الجيش عن الشعب ، وكان يوم ٤ فبراير هو الوسيلة لذلك .. فقد صممت انجلترا فيه على تكليف النحاس ـ زعيم الشعب ـ بتشكيل الوزارة ، فأصبح الشعب بذلك فى ناحية ، والملك والجيش فى الناحية الاخرى .. وبدأت انجلترا بعد هذا تقيم سياستها على اساس عزل الجيش عزلا كاملا عن الشعب بتبغيضه اليه ، واشعار الشعب بأن جيشه هو السوط الذى سيلهب ظهره باسم الملك ..

وكان يوم ٤ فبراير .. الذى تحدثت مصر عنه عشرة اعوام كاملة .. ولا تزال تتحدث !..

وكحقيقة نذكرها ، لم يكن تشكيلنا قد توقع هذا الحادث ، بل واكثر من هذا ، لم يشعر تشكيلنا بهذا الحادث عندما وقع

ولكننا احسسنا به بعد ذلك ، وفهمناه من تحليلنا ومن تحرياتنا ، وبينما كانت البلاد فى ذهول من الحادث ، طاش صواب ضباط الجيش وبدأنا نحن فى تشكيلنا .. نفكر ..

اما البلاد فقد ذهلت لان الاحداث كانت اغرب من كل ما تصوره خيال هذا الشعب .. واذهلها بعد ذلك عنه او شغلها عنه ، ما تقاذف به السياسيون من سباب واتهامات وما اثير من قصص الاجتماعات التى تمت فى قصر الملك ، والمواقف المثيرة التى راتها قاعاته من الزعماء ..

وطاش صواب ضباط الجيش ، لانهم كعسكريين شعروا بأنها ضربة عسكرية لايردها سواهم .. وفى فورة الحماسة وعنف الشباب . بدأت الاجتماعات تعقد علنا فى نادى ضباط الجيش لمناقشة الموقف ، وتقرير الخطة بصورة مفتوحة ، لايمكن ان تؤدى الى خير

اما نحن فقد انتهينا حينئذ الى قرار

استعداد وتأجيل

فمع تصميمنا على وجوب رد هذه الضربة للانجليز ، قررنا تأجيل هذا الرد ، لان ذلك الجو المفتوح الذى نوقشت فيه المسائل بنادى الضباط كان يوجب عدم القيام بأى شىء فى خلاله ..

كنا قد درسنا الامر من كل وجوهه على طريقة العسكريين عندما يقومون بما يسمونه : « تقدير الموقف »

ولم نضع فى حسابنا عندئذ ان نحدد موعد ضربتنا ، فقد اتفقنا على عدم الاهتمام بالتفكير فى الموعد ، بعد ما حدث ، وما فوجئنا به على غير استعداد او ترقب ..

ولكننا وضعنا فى حسابنا ان ندرس كيف تكون ضربتنا لا متى تكون ، وصممنا على ان نضع خطتنا لكى تأتى ضربتنا للانجليز محكمة ، ودامية فى الوقت نفسه ..

وقررنا كذلك ان تنأى خطتنا فى هذه المرة عن اى صلة بالاخوان المسلمين .. وان تقوم على توسيع تنظيمنا الداخلى فى الجيش ، وتكتيل قوتنا فى كل الاسلحة ، واعداد انفسنا بما تستلزمه ضربة عسكرية محكمة دامية ..

وقت العمل

ومرت الايام من ٤ فبراير حتى وقع حادث العلمين ، او مأزق العلمين ..

وكانت هذه المدة كفيلة بأن تضاعف قوتنا داخل الجيش اكثر من مائة ضعف ..

فقد كنا ، عندما وقع مأزق العلمين قد وصلنا فى استعداداتنا الى تجهيز مائة الف زجاجة من الزجاجات المعروفة بكوكتيل مولوتوف ..

وكنا قد استطعنا انشاء ورشة كاملة لصنع المسدسات

وبدات تخرج السلاح فعلا ..

وكنا ايضا قد استوردنا من ريف مصر ، كميات كبيرة من البارود الذى يصنعه الفلاحون من زمن بعيد ، واستطعنا ان نحضره تحضيرا علميا ، بحيث يمكن الاعتماد عليه . .

وكان هذا هو الشق الاول من خطتنا بعد ٤ فبراير .. ان نعد انفسنا بما يلزم لعمل كبير

اما الشق الثانى الذى يحدد نوع العمل ، فقد كان مقررا تركه للخطة التى يتقرر فيها العمل نفسه ..

كنا مرة اخرى ننتظر الوقت المناسب .. وجاء هذا الوقت يوم وصل الالمان الى العلمين ..

وبدانا نرقب الاحداث لحظة بلحظة لنتبين نوع العمل الحاسم الذى نستطيع ان نقوم به ..

وقالت الاحداث كلماتها سريعة متلاحقة ..

قالت ان روميل يضرب ضرباته القاضية ..

وقالت ان الانجليز ايقنوا بالهزيمة ..

وقالت انهم فى هلع افقدهم صوابهم ..

وقالت انهم قرروا الانسحاب فورا ، وبأسرع ما يمكن الى الجنوب ..

هذا كان صوت الاحداث الواقعة التى رأيناها بأعيننا ورآها العالم بأسره معنا ..

وكان يجب علينا ان نضع الخطة التى تناسب منطق الاحداث ..

فلم يكن هذا المنطق يحتمل حربا نظاميا ، ولا انقلابا عسكريا ، ولكنه كان يوجب اتجاها اخطر .. يوجب خطة سريعة واحدة توضع لابادة الانجليز افرادا وجماعات عند انسحابهم

خطتنا ... وخطة القدر !

وعكفنا نضع خطتنا كعسكريين ..

وكان جانب منها يحدد تفاصيل العمل العسكرى الداخلى والجانب الآخر يرسم خطة الاتصال بالالمان ..

ولكن خطة اخرى كان القدر يضعها فى الوقت نفسه .. وقد لا نستطيع ان نحكم على فعال القدر عندما تحدث ولكن بعد مرور وقت طويل ، نستطيع دائما ان ننظر الى الماضى ، فنجد ان الايمان دائما هو أقوى من القدر !

وبدأت قصة القدر ..

بدأت بطرقات خفيفة على باب بيت صديقى الصاغ حسن عزت .. دخل فى اثرها رجلان من الالمان ، يصحبهما صديق له ، هو الاستاذ عبد المغنى سعيد .. ثم لم يلبث الصاغ حسن عزت أن اتى بثلاثتهم الى ..

هكذا بدات قصة القدر بالنسبة الينا ..

ولكنها بالنسبة الى هذين الالمانيين قد بدأت قبل ذلك ..

بدأت على رمال الصحراء الغربية الصفراء .. عندما دعا قلم المخابرات الالمانية رجلين من رجاله .. احدهما يدعى هانز ابلر .. والثانى يدعى ساندى ..

وكان ابلر يعرف مصر من قبل ، كما يعرفها كل ابنائها

فقد كانت أمه الالمانية ، قد تزوجت فى ألمانيا من المرحوم صالح بك جعفر المستشار ، ثم حضرت معه الى مصر ، وفى يدها ولدها من زوجها الاول ..

وكان ولدها هذا ، هو « هانز ابلر »

وأراد الزوج المصرى ، ان يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة فى مصر ، فيسر له كل سبل التعليم والنجاح ، وأعطاه اسما مصريا ، وأعطاه فوق ذلك لقب أسرته ، فأصبح هانز ابلر يعرف فى مصر ، باسم حسين جعفر

وعاش « حسين » فى مصر ، ولكنه لم يكن الولد الصالح الذى ارتجاه زوج أمه ، فقد انحرف عن الطريق الذى رسمه

له الرجل .. واصبح بعد فترة وجيزة شوكة فى قلبه ، ووصمة فى سمعته ..

وفشل المستشار المصرى ، فى اقناع ربيبه بالعدول عن مخادنة الاوغاد وحياة الليل بين المراقص والحانات ، ونساء الطريق ..

وفشل فى اقناعه بأن يجد لنفسه عملا يعيش منه ، او يشغل به بعض وقته

ولما أيقن بالا سبيل الى اصلاحه ، ولا اتقاء شره فى مصر ، طرده من حياته قبيل الحرب.. فما كاد يعود الى وطنه حتى جندوه هناك .. ثم اصبح من رجال روميل .. ومن رجال مخابراته فى شئون مصر بالذات ...

تجسس

واصدر روميل لرجليه ابلر وساندى امرا بالتسلل الى مصر ، وكلفهما بعمل معين ، وسلمهما جهازا لاسلكيا دقيقا .. وزودهما بعشرات كثيرة من الآلاف من الجنيهات الانجليزية المزيفة المطبوعة فى اليونان وبسيارة من سيارات الجيش الانجليزى التى استولى عليها روميل أثناء معركة العلمين وفرار الانجليز تاركين خلفهم كل شيء ..

وتحركت السيارة بالرجلين ، وقد ارتديا ملابس ضباط فى الجيش الانجليزى ، وحملا معهما جهازا لاسلكيا ، وثروة طائلة

واخترقا الصحراء الغربية من طريق غير مطروقة تقع الى جنوب سيوه ، ثم انحرفا من سيوه الى الواحات الخارجة .. واستراحا فيها من رمال الطريق ، وتزودا بما يحتاجان اليه ، ثم اتجها صوب أسيوط فى الطريق المرصوفة المؤدية اليها ..

وكانت هذه المرحلة هى اخطر مراحل الرحلة بالنسبة اليهما اذ الطريق طريق عسكرى ، تنتشر على جانبيه المعسكرات

البريطانية ، ونقط التفتيش والحراسة ، وتذرعه دوريات الاستكشاف وقوافل الجنود والعتاد ...

واخذت السيارة تنهب هذا الطريق مارة بالموت فى كل لحظة ، ونفذ منها الوقود فى منتصف الطريق واذا بقائدها آبلر ينثنى بكل جراة الى احد المعسكرات البريطانية ، فتفتح له الابواب ، ويدخل الى محطة البنزين بالمعسكر ، ويقدم أوراقه ، ويعبىء سيارته بالبنزين ، ثم يخرج مودعا بتحية الجنود ...

ووصلا الى أسيوط .. ثم انحرفا فى الطريق الى القاهرة.. ودخلاها ضابطين انجليزيين تقوم لهما دنيا القاهرة وتقعد فى ذلك الزمان

طلبات

وقال لنا الاستاذ عبد المغنى سعيد انه تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من المانية تعرف عائلة ابلر

واخرج الرجلان اوراقهما ، واثبتا بما يقطع كل شك ، حقيقة جنسيتهما الالمانية وحقيقة مهمتيهما

وطلب الالمانيان منا أن نقدمهما الى الفريق عزيز المصرى ، وكانا يطلقان عليه كلمة « الزعيم »

وقال ابلر ان جهاز اللاسلكى الذى جاءا به قد تعطل ، وانه يرجو ان يعتمد فى اصلاحه علينا ...

كما طلبا أن نسهل لهما عند الحاجة الاتصال الشخصى بروميل فى مكانه بالعلمين ...

وقابلهما عزيز المصرى ، وتفاهم معهما على أشياء كثيرة ، ثم اصدر أمره الينا بتسهيل طلبيهما الاخرين

وقمت انا بالناحية التى تتصل بعملى فى سلاح الاشارة ،

فحددت معهما موعــدا لزيارتهما وفحص الجــهاز اللاسلكى المعطل ...

وكان أول ما فوجئت به من أمرهما ، انهما يقطنان فى عوامة للراقصة المشهورة حكمت فهمى ... ويبدو أن المفاجأة قــد ظهرت على آثارها ، فقد ضحك ابلر ، وقال :

ـ أتريد ان نقيم فى معسكرات الانجليز ؟ !

ومضى يروى لى ما يعرفه من اخلاص حكمت فهمى له منذ كان فى مصر قبل الحرب ، وكان قد مضى عليه أكثر من شهر يقيم فيها ..

البنك الاهلى

وفهمت انهما منذ نزلا ضيفين على هذه الراقصة قد خلعا ثيابهما الرسمية « الانجليزية » وارتديا ثيابا مدنية عادية ، ثم راحا يعيشان كانجليزيين بصورة لا تثير الشبهات حولهما

كانا ينفقان عن سعة .. ويبعدان بنفسيهما عن كل مكان يمكن أن تكونله صلة بالوحدات الحربية أو الجهات العسكرية

ولم تزد حياتهما طول هذه الفترة عن مجرد الســهر ليلا فى الكيت كات ، والعودة مخمورين قرب الصباح الى العوامة التى اتخــذا منها محطة للاذاعة يتصــلان عن طريقها بقيــادة مخابراتهم

وقالا لى وهما يضحكان أنالبنك الاهلى قد بدلهما مايزيد عن أربعين الفــا من الجنيهات الانجليزية المــزيفة بجنيهــات مصرية

ثم قالا :

وكان الوسيط يهوديا ، قبل أن يتحمل المســئولية مقابل ٣٠ ٪ من قيمة ما يبدله من النقود

ولم ادهش انا لليهـودى الذى يعـرف أنه يؤدى خـدمة لجواسيس النـازى ، فلا يتردد ما دام كل شيء بثمنه ولكنى مع ذلك أشفقت عليهما من قيام صلة بينهما وبين اليهود

وسألنى ابلر :

ـ متى تجىء ؟

فحددت له موعدا يوم الجمعة ...

وفى يوم الجمعة ، كنت واقفا على شاطىء النيل ، من خلفى مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية ... ومن أمامى عوامة الراقصة حكمت فهمى !



نساء .. وخمر

- محطة اذاعة تحت أقدام الراقصات !
- عندما تظهر الحقيقة عارية ...
- دبلوماسى أجنبى يسرق من مفوضية سويسرا
- أين ذهبت أموال البنك الاهلى ؟
- متاعب فى الطريق ...
- خرافة المخابرات .. !

كنت على موعد مع الجاسوسين الالمانيين ابلر ، وساندى فى عوامة حكمت فهمى ...

وكان هذا الموعد لاصلاح جهاز ارسال لاسلكى ، يملكه الجاسوسان ، ويذيعان منه ، من داخل العوامة ..

ووقفت أمام العوامة أفكر قليلا قبل أن ألمس زر الجرس ... فقد كنت اشعر ، انى أمام مغامرة

ونظرت الى أعلا العوامة ، فوجدت أربع ساريات من ساريات السلك الهوائى الذى يستعمل للارسال اللاسلكى والاستقبال .. فاعترتنى رجفة مفاجئة .. فان وجود سلكين هوائيين فوق سطح عوامة ، قد يثير بعضا من الشكوك

ثم تتابعت على الافكار فى سرعة متلاحقة ، وأصبحت بعد ذلك أسئلة لا أجد جوابا عليها :

هل يعرف اليهودى الذى يبذل لهما الاموال حقيقتهما فعلا .. واذا كان يعرفها ، فهل تكفيه العمولة الكبيرة التى يتقضاها، لكى يسكت ... ولا يخون ؟

وما حقيقة موقف حكمت فهمى من هذه المغامرة ؟

وما مدى استعدادها للسير فيها الى آخر الطريق ؟

وهل هى تستطيع أن تقدر حقيقة هذا الطريق ، والنتائج الخطيرة التى قد ينتهى بها اليها ..

وكان لا بد أن أجد جوابا لهذا .. ولذلك ، كان لا بد أن ادخل ..!

ووضعت يدى على زر الجرس ...

وفتح الباب ، .. وبعد لحظات كان أمامى الالمانيان ابلر ،

وساندى ... يرحبان بمقدمى بينما تدور عيناى فى أرجاء العوامة ، أحاول أن أستشف نوع الحياة التى تجرى بداخلها

ولم يكن عسيرا على ان أحدد هذه الحياة فى دقائق قليلة..

فقد كانت جميع المظاهر تدل على أن صاحبة العوامة قد تركت للالمانيين حرية التصرف فى عوامتها كما يشاءان وأنهما تصرفا فى عوامتها فعلا ، فاتخذا منها وكرا للترف والنعومة وحياة الليل والتهتك ...

وكان واضحا انهما القيا عن ظهريهما كل مسئوليات العمل الخطير الذى جاءا لكى يقوما به ، وانغمسا الى آذانهما فى الحياة التى تتناسب مع عوامة ، يعيش فيها رجلان فى عمر الورد ، فى جيوبهما عشرات كثيرة من آلاف الجنيهات

أين الجهاز

وسألتهما عن جهاز اللاسلكى المعطل.. فضحك ابلر ، وهو يقول :

ــ أتستطيع أن تجده لو بحثت عنه ؟ ..

وخيل الى أنى أستطيع ، فقمت أطوف غرفة العوامة ، وأهبط درجاتها ، وأصعد الى أعلاها .. فاذا بها لا تحتوى الا على وسائل الحياة الناعمة ، وادوات الترف والزينة ... وكؤوس الشراب ، وصناديق الويسكى ..

وفجأة عاد بى ابلر الى حيث كنا فى بهو العوامة ... ومد يده الى جهاز الراديو الكبير الموضوع فى صدر المكان .. وكنت قد فحصته ، فى دورتى ، فلم أجد فيه أكثر من جهاز راديو « موبيليا » أنيق فى أعلاه بيك أب مغطى بغطاء خشبى دقيق الصنع، وفى جوانبه دواليب صغيرة مقسمة لحفظ الاسطوانات

وأمسك ابلر بالجزء الخاص بالبيك أب ، ثم حركه حركة

بسيطة ، فانفتح الى أعلى .. وقال لى : أنظر .. فنظرت لاجد امامى تجويفا كبيرا ساقطا فى جوف الجهاز العجيب ، يكفى لكى يهبط فيه رجل ، فيجد كرسيا صغيرا يجلس اليه ، ويجد أمامه جهاز اللاسلكى الذى يعملان عليه ...

وقال ابلر وهو يشير بيده داخل التجويف :

ـ تستطيع أن تجلس هنا علىهذا الكرسي وأن تضىء النور الداخلى ، ثم اغلق عليك الجهاز من فوق ، وأدير أنا اسطوانة للرقص ...

وقال زميله ساندى :

ـ اننا دائما نصنع هذا ، نرقص على الموسيقى معالضيوف، بينما يباشر أحدنا عمله داخل الجهاز فى هدوء ..

ووجدتها فكرة جميلة ... فلن يستطيع أحد مهما أوتى من قوة الملاحظة أن يتصور أن تحت هذا البيك أب ، محطة اذاعة كاملة ، ورجل يذيع !

ونزلت الى الفجوة ، لافحص الجهاز

شكوك

وكان شعورى ساعة جلست أمامه ، واخذت أدير مفاتيحه، أن هذا الجهاز لا يمكن أن يتعطل هكذا من تلقاء نفسه ، فهو كما بدا لى جهاز دقيق متين الصنع ، كما أنه بوضعه الذى كان فيه لم يكن معرضا لاية مؤثرات خارجية يمكن أن تؤدى الى تعطله ..

وفتحته من الداخل ، فوجدت جميع صماماته سليمة ، وحاولت أن أكتشف مكان العطب فيه ، فلم أستطع ، فقد كان الجهاز جديدا فى كل شىء .. وكان من التعقيد بحيث لا يسهل اكتشاف سبب تعطله ، ان لم يكن فاحصه خبيرا به وبالنظرية التى أسس عليها

وخرجت يائسا .. أو بادى اليأس ، وفى رأسى دوامة من الافكار ، وشكوك كثيرة ...

وصدر منى سؤال مفاجىء لم أكن أحمله اكثر من معنـاه الظاهرى :

ــ هل هذا الجهاز معطل حقا ؟!

واضطرب ابلر لهذا السـؤال بينما اجاب ساندى بسرعة فائقة ، والكلمات تتزاحم على شفتيه :

ــ انه معطل .. معطل فعلا .. هل تستطيع اصلاحه ؟

وقبل أن أجيبه بالنفى ، كان هو يسألنى سؤالا آخر :

ــ انك بلا شك تسـمع عن الهر هوارد ...

جهاز جديد

وكنت اعرف ان هوارد هذا دبلوماسى فى مفوضية السويد فى مصر ، وأنه كان يقوم برعاية شئون الالمان فى مصر ، بعـد اغلاق المفوضية الالمانية عند اعلان الحرب ..

قلت : أعرفه ..

فقال : اننا على اتصال به أيضا ، وهو يعلم أن هذا الجهاز معطل ، وهو الذى قال لنا أن نحاول الاتصال بك

وقاطعته قائلا :

ــ ولكنى آسف جدا ، لانى لا أستطيع اصلاح هذا الجهاز، فلم يسبق لى أن استعملت أجهزة ارسال المانية أبدا ...

وبدأ ابلر الكلام فقال :

ــ ان الهر هوارد طلب منا أن نتصل بك ..

وسكت قليلا ثم عاد يقول :

ــ انه يعرف كل شىء عنا ، ونحن نستعين به دائما عندما نحتاج لاى شىء .. وهو أيضا ، يساعدنا ...

وأكمل ساندى قائلا :

ـ وقد قلنا له ان هذا الجهاز قد تعطل ، فجاءنا بجهاز آخر . . . ولكننا لا نعرف كيف يعمل . .

وسألتهما أنا :

ـ وهل الجهاز الآخر هنا الآن . . .

فأجاب ساندى :

ـ نعم ، انه فى الطابق الاسفل لقد سرقه لنا هوارد من المفوضية السويسرية ، وأعطاه لنا لنواصل به عملنا ، ولكننا حتى اليوم لم نستطع تشغيله . . .

وأمسك بى من يدى وقال : هيا معى . . سأريك الجهاز الآخر . . وقد قال لنا هوارد انك انت وجميع ضباط سلاح الاشارة فى مصر ، تستعملون مثله . .

ونزلت معه الى الطابق الاسفل وقد أخذت منى الظنون كثيرا . . .

لم تعد شكوكا

وفى الطابق الاسفل ، وجدت جهاز ارسال من النوع المعروف بالهاليكرافتر . . وفحصت الجهاز فوجدته جديدا لم يستعمل قط ، ودهشت لقولهما انهما لا يستطيعان استعماله ، لسهولة استعمال هذا النوع من أجهزة الارسال

وقلت لهما :

ان هذا الجهاز من ابسط الاجهزة استعمالا ، وانى استطيع أن أدلهما على كيفية استعماله فى لحظات قصيرة

وفجأة خطرت لى فكرة . . وانطلق بها لسانى على التو واللحظة . .

فقد كانت شكوكى فى الرجلين قد بدأت تعلو الى مرتبة اليقين . . كنت قد اقتنعت فى نفسى تماما ، أن جهازهم الالمانى اما أن يكون سليما ، واما أن يكونا هما قد عطلاه

بنفسيهما .. وخطر لى انى لو تركت لهما الجهاز الآخر فسوف يتلفانه ايضا .. ولم أكن اعرف السبب فى هذه الشكوك ، ولكنها كانت قد سيطرت على ..

وقلت لابلر ، وانا آخذ بذراعه على سلم العوامة :

ـ أريد أن آخذ هذا الجهاز الامريكى معى يوما ، لاختبره اختبارا دقيقا ، ثم اعيده اليك ..

وانتظرت من ابلر أن يمانع فى هذا ، ولكنه اسرع يقول :

ـ بكل سرور .. يوم أو اكثر كما تشاء .. !

نساء .. وخمر

ورأيت الالمانيين وقد استخفتهما النشوة ، والمرح، وعلمت انهما سوف يقصدان الى جروبى لتناول الغداء ، وانهما سيعودان بعد ذلك الى العوامة بصحبة فتاتين ..

وكان لا بد أن انسحب .. فاعتذرت عن قبول دعوتهما للغذاء .. لآخذ معى الجهاز !..

وبدأت شكوكى تجد أسبابا ترتكز اليها ، ثم تحققت بعد ذلك من أن شكوكى لم تكن عبثا ..

فقد علمت ان الالمانيين قد استطابا الحياة الناعمة ، التى وفرتها لهما آلاف الجنيهات التى بدلوها عن طريق اليهودى من البنك الاهلى ، وتعرفا على عدد من الراقصات ، ومن بائعات الهوى .. وارادا أن يطيلا مكثهما فى القاهرة ، وان يلقيا عن كاهليهما عبء المسئولية والمخاطرة ... فادعيا أن الجهاز الذى معهما قد تعطل ، واستطاع « هوارد » أن يزودهما بهذا الجهاز الامريكى ، فادعيا أنهما لا يستطيعان تشغيله .. واتصلا بنا ..

وبهذه الوسيلة استطاعا أن يغطيا انفسهما فى قضاء الايام

والليالى بين سهر المراقص ليلا ، ولهو مع الغوانى نهارا ... فقد كانت حجتهما أن الجهاز معطل ، وأنهمـــا لا يستطيعان العمل بالجهاز الجديد !!

وبدأت المتاعب !

عرفت هذا .. ولكنى عرفته بعد فوات الاوان ..

وفى يوم الاحــد ، ذهبت الى العوامة ، وأوقفت التاكسى خارجا ..

وأخذت الجهاز ، وخرجت تاركا خلفى ابلر وســاندى ، ومر الاحد ، والاثنين ...

وفى يوم الثلاثاء ، قبض عليهما ..

وفى اليوم نفسه عرفت أنا بنبأ القبض على هذين الرجلين، فبدأت مخاوفى ، فقد كنت حتى ذلك الوقت ، اعتقد فى وجود الخرافة الكبرى التى عرفت فى مصر ، باسم « قلم المخابرات البريطانية » ...

وكنت على يقين حتى ذلك اليوم من أن هذه المخابرات هى التى أمسكت بخيوط المغامرة التى جاءا ليقوما بها ، وأنها هى التى قبضت عليهما ، وانه ليس من المســتبعد أبدا أن تكون عيون المخابرات قد وقعت على فى الزيارتين اللتين قمت بهمــا للعوامة ، وانى بهــذا بت فى خطر أنا ومن معى فى تشــكيل الضباط

وبدأت أعد نفسى لكل احتمال وانبأت أصدقائى بالقبض على هذين الرجلين ، وأبلغت الفريق عزيز المصرى أيضا ...

ولم اقف عند هذا ، فقد كان على أن اعرف كيف قبض عليهما ، وهل اكتشفت المخابرات ما كان بينى وبينهمــا من صلة ، وهل هناك مراقبة موضوعة علينا ؟..

وبدأت سلسلة من التحريات على نطاق ضيق ، مأمون..

فعلمت ان المخابرات البريطانية قد علمت بوجودهما منـذ شهر ، وان الرقابة كانت مفروضة عليهما طوال ذلك الشهر ليلا ونهارا ، وان هم المراقبة كان معرفة أعوانهما فى القاهرة والعمل الذى يقومان به فعلا ..

خرافات المخابرات

وعرفت بعد ذلك ان هذه المراقبة لم تكتشف صلتى بهما ، ولم تقع اعينها على داخلا الى العوامة ولا خارجا منها ... وانها حتى بعد القبض عليهما ، لم تكن تعرف عنى شيئا ..

وتكشفت لى المخابرات البريطانية على حقيقتها خـرافة كبيرة ، ملآنة الجيوب بالذهب .. فقد عرفت بعد ذلك كيف قبض عليهما ، ويوم عرفت ذلك .. عرفت قصة من القصص التى تلعب فيها المرأة ، ويلعب فيها الذهب ، وتنام فيها عيون المخابرات ..

وعرفت فى ذلك اليوم شيئا آخر ايضا .. عرفت حيـاة جديدة لم تكن لى بها خبرة من قبل ..

دخلت السجن بسبب شهرزاد

- عذارى شهريار ..
- فى عوامة الراقصة
- النحاس وحمدى سيف النصر يسلطان علينا الانجليز
- حسن البنا يهرب معى من وكيل الاخوان المسلمين
- حتى لو كان مصطفى النحاس !..
- هل كان حسن البنا .. معنا ؟

قبض البوليس على ايلر وساندى يوم الاحد ، ومر بى يوم الاثنين وأنا أحاول ان أعرف ان كانت صلتى بهما قد اكتشفت أم لا ؟..

فعلى الاجابة على هذا السؤال يتوقف مصيرى كضابط فى الجيش

وكمصرى حر يعيش حياته طليقا كما يعيش المصريون

وقد يذهب الامر الى أكثر من هذا ، فيتوقف على الاجابة على هذا السؤال : حياتى أو موتى

واكثر من هذا .. ان نتيجة اكتشاف المخابرات البريطانية لصلتى بهذين الرجلين ، كان يمكن أن تكون المفتاح الكبير الذى يفتح أمامها الباب لاكتشاف حقيقة تشكيلنا فى الجيش، هذا الذى ترامت أنباؤه الى انجلترا منذ شهور كثيرة ، فأدت بها الى افتعال حادث ٤ فبراير ، ومجابهة هذا التشكيل بقوة الوفد الشعبية فى ذلك الوقت

ولم أكن أتوقع أن يقبض على سريعا ، فقد كنت أرجح أن المخابرات البريطانية ، وان كانت قد اكتشفت صلتى بالجاسوسين الالمانيين ، فهى لا بد أن تتركنى تحت المراقبة فترة من الوقت ، لتتمكن بهذا من وضع يدها على سر تشكيل الضباط كله ..

وكان هذا ما اعتقده ، ولكنى فوجئت فى يوم الثلاثاء التالى، أى بعد يومين اثنين من القبض على الجاسوسين ، بالقبض على وعلى زميلى حسن عزت

ودهشت لهذه السرعة ، وخيل الى أن المخابرات البريطانية

الساهرة ، لم تكن غافلة عنا ، وانها قد وضعت يدها فعلا على كل اسرارنا
والا لتركتنى طليقا كطعم يوقع لها الصيد الثمين فى الشرك
ولكنى تنفست الصعداء بعد أن عرفت التفاصيل المثيرة التالية أثناء التحقيق

بلاد شهرزاد

كان ساندى، شأن اكثر الالمان، ولوعا بالموسيقى الكلاسيكية الاوربية .. ولم يكن ابلر كذلك ، فقد كان على النقيض منه لايحب الا موسيقى الجاز ، تمتزج طرقاتها بالخمر التى تدور برأسه ، فتحيله كائنا عجيبا ، نصفه انسان ، ونصفه حيوان ..!

وفى احدى الامسيات ، جلس ساندى فى عوامة الراقصة حكمت فهمى ، يستمع الى موسيقى « شهر زاد » للموسيقار الروسى ديمسكى كورساكوف .. وكان ابلر مغيظا محنقا ، يحاول اغراء صديقه للقيام معه الى موعد حافل ضربه مع بعض الغوانى فى ملهى الكيت كات .. وأصر ساندى على سماع الموسيقى الخالدة حتى نهايتها ، فوضع أمامه كأسا من الخمر وأخذ يسمع ويحلم ، ويتمثل فى خياله آخر مرة شاهد فيها هذا الباليه على مسرح من مسارح برلين ..

ورويدا رويدا اندمج ابلر معه فى الاستماع الى الموسيقى
ولكنه لم يسلم نفسه لانغام الموسيقى بقدر ما أسلم نفسه لهمسات شيطان أخذ يراوده

وفجأة صاح بصديقه صيحة مخمورة :

ــ ما كان أسعده هذا الملك .. شهر يار ..

وضحك ساندى وهو مسترسل فى أحلامه وقال :

ــ كان يأتى كل ليلة بعذراء طاهرة .. يبيت معها ليلته .. ثم يذبحها فى الصباح

وصاح ابلر ، والخمر فى راسه :
ـ هكذا الحياة . ماذا ينقصنا نحن ، لنكون مثله .؟! أنا شهريار الثانى ، وأنت شهريار الثالث
السنا فى بلاد الف ليلة وليلة ؟!
ـ أكنت تقرأ مثلى قصص الف ليلة وليلة أيام الشباب ؟
فأجاب ابلر :
ـ لقد كدت اطرد من المدرسة وانا اقرؤها يوما فقد كانت معى الترجمة الحقيقية لها ، بكل ما فيها من كلام لذيذ !
وسأله ساندى بخبث :
ـ وهل تحب أن تذبح النساء ؟..
فأجاب ابلر :
ـ ولماذا أذبحهن .. أعطيهن مالا .. مالا من البنك الاهلى .. كم يكون لذيذا ان تعيش كل ليلة فى أحضان عذراء !
وانتهت الموسيقى وخرج العربيدان الى الكيت كات يقضيان سهرتهما ..
ولكن خيال الف ليلة وليلة لم يبرح ذهن ابلر وساندى فى تلك الليلة .. فكانا كلما سكتت الموسيقى رفعا عقيرتهما بالحان شهر زاد ، فتضج القاعة بالضحك على هذين « الانجليزين » ـ كما كانت تظن الراقصة ـ اللذين ذهب بعقلهما الشراب

عذراى شهريار

ولم تمر الليلة على خير ..
فقد اسر ابلر بأحلامه الحيوانية الى احدى صديقاته .. فضحكت الصديقة بخبث ، ودخلت معهما فى مفاوضات ، أصبح ابلر بعدها شهريار الثانى ، وأصبح ساندى شهريار الثالث أيضا ..

وبدأت العوامة تستقبل كل صباح فتـــاتين جديدتين من بائعات الهوى ، فى ثياب كثياب الطالبات .. يدخلان عـــلى استحياء ..

ويخرجان وقد امتلأت حقيبة كل منهما بمائتى جنيه !

اخذتاهما من الرجلين باعتبارهما من العذارى !

واشتهر أمر ابلر وساندى بين مجموعة من فتيات اليهود ، اللواتى كن يقمن بهذه التمثيلية العاطفية الفذة ..

حتى كان يوم السبب السابق للقبض عليهما ..

وكانت فى العوامة يهوديتان جاءتا لتمثل كل منهما دور عروس من عذارى شهريار ..

وانتهى التمثيل .. والرجلان فى نشوة بالغة ، من السكر الشديد ، والخيال المنطلق

وتهيأت الفتاتان للخروج . .ثم وقفتا فى انتظار الاربعمائة جنيه ..

ودخل ابلر الى غرفته ، ليأتى بالنقود ، ولكنه لم يجـد سوى سبعين جنيها فقط ، هى كل ماكان لديه من أوراق مالية مصرية

ومد أبلر يده بالنقود الى احداهما فأخذتها ، وعدتهـا ، ثم قذفت بها فى وجهه وهى تصيح :

ـ اتسلبنى أعز ما أملك ، بثلاثين جنيها ؟ أين باقى المبلغ ؟

وصاح فيها ابلر ، وقد اغاظه منها تطاولها عليه ، وقال :

ـ ليس معى غير هذا .. هيا اخرجى قبل أن اذبحك كما كان يفعل شهريار

وارتجفت الفتاتان ، وقد سمعتا كلمة « أذبحك » وخيل اليهما أن هذين « الانجليزيين » قد يصنعان أى شىء دون أن يخشيا عاقبة أو حسابا

ورأى الالمانيان هذا الهلع على وجه الفتاتين ، فاستبدت بهما نشوة الخمر والانتصار ..

وانطلق احدهما يغنى نشيد « المانيا فوق الجميع » ثم شاركه الآخر ، فكونا معا ثنائيا فريدا فى نوعه ، ينشد نشيد هتلر !

ولم يكن هذا النشيد مجهولا ، خصوصا فى أوساط اليهود

فهزت احدى الفتاتين رأسها ، وجذبت الاخرى ، ومضيتا من العوامة الى قلم المخابرات البريطانى

وبعد ساعات قليلة ! كان ابلر وساندى فى طريقهما الى السجن !..

امام تشرشل !..

عرفت تفاصيل هذه القصة التى تكشف عن خرافة المخابرات البريطانية فتظهرها على حقيقتها : ذهب كثير واعتماد على اغراء هذا الذهب للنفوس الضعيفة التى تخون وطنها فى سبيله .. فليست المخابرات اذن هى التى اكتشفت سر الجاسوسين .. ولكن الفتاة اليهودية التى أصرت على أن تأخذ ثمن جسدها مائتى جنيه ، وسيان عندها ان تأخذ المبلغ من ابلر .. أو من مخابرات الانجليز !

وكنت قد بدات اشك فى أن الفتى المجنون قد اعترف بالصلة التى قامت بينى وبينه ...

وظهرت لى الحقيقة كاملة عندما علمت بعد ذلك ، أن الجاسوسين قد أمسكا عن الكلام يوما كاملا ، ثم حملتهما المخابرات البريطانية حملا الى مستر تشرشل وكان يزور مصر فى ذلك الوقت ، فلما مثلا أمامه ، وعدهما بحياتهما ان اعترفا بكل شىء ..

واختار الجاسوسان بين الموت والحياة .. فاعترفا اعترافا كاملا ، وجاءا بى وبحسن عزت الى السجن !

حتى لو كان مصطفى النحاس

وبدانا نرقب النهاية المحتومة لضابطين فى الجيش المصرى ، يقبض عليهما بتهمة الاتصال بجواسيس الاعداء .. وقد كان الالمان فى ذلك الوقت هم أعداء مصر من الوجهة الرسمية !

ثم جاء اليوم الذى يتقرر فيه المصير .. فقد صدر تشكيل المجلس العسكرى لمحاكمتنا ، ودعينا للمثول امامه

ولم نكد ندخل حتى فوجئنا بما أفقدنا الصواب

كان المجلس مكونا من ثلاثة من ضباط المخابرات المصرية ، وانجليزيين أحدهما برتبة ميجر ، واسمه جنكينز ، والثانى برتبةكابتن واسمه سمبسونمن ضباطقلم المخابراتالبريطانية

وضابط من البوليس المصرى وكان اسمه كمال رياض

وكان يبدو من تصرفاته وحركاته واسئلته ، انجلـيزيا صميما لا يمت الى المصرية بشىء ..

وقد لا تهم القارىء تفاصيل المحاكمة

فقد كان أهم مافيها اعتراضنا على ان نحاكم كضبـاط مصريين ، أمام ضباط انجليز ، ولو كانوا مخولين هذه السلطة من وزير الدفاع حينئذ حمدى سيف النصر ، ومن رئيس الحكومة نفسه ، مصطفى النحاس !

بل لقد كان هذا التصرف من وزير الدفاع المصرى ، ومن رئيس الحكومة المصرية ، هو الخنجر الاول الذى طعنا به فى ذلك اليوم ..

ولم يستطع المجلس العسكرى أن يحصل منا على شىء .. لا اعترافات ولا اجابات

لاشىء غير الاحتجاج العنيف .. ونظرات الاحتقار

وتقرر وضعنا تحت الايقاف .. ثم طردنا من الجيش فى ٨ اكتوبر ١٩٤٢

اى بعد حادث ٤ فبراير بثمانية أشهر فقط

ولم نكد نبرح مكاننا من الجيش ، حتى تسلمتنا السلطات المدنية ، فحملتنا الى سجن الاجانب ثم رحلتنا الى معتقـــل المنيا

حلقة الاتصـــــال بالاخوان

كان هذا الحادث ، الذى انتهى بطردنا من الجيش واعتقالنا، نذيرا آخر بتأجيل العمل الحاسم الذى كنا نفكر فيه

وكان كذلك بدءا لتطورات أخرى فى تشكيل الضباط الذى لم يتأثر موقفه بخروجنا من الجيش ، ولم يتأثر بذلك موقفنا منه نحن ايضا ..

وكان نهاية صلات مع الاخوان المسلمين ، وبدء صـــلات جديدة معهم

فقد كنت انا حتى ذلك الوقت حلقة الاتصال الوحيـــدة بين تشكيل الضباط وبين الاخوان المسلمين

فلما انتهى الامر باعتقالى ، بدأت حلقة أخرى عملها

وكنت حين قبض على ، قد اجريت فعلا آخر اتصالاتى فى تلك الفترة معهم ..

وكانت هذه الاتصالات فى نفس الفترة التى تم فيها اتصالى بالجاسوسين الالمانيين

فقد كانت خطتنا اذ ذاك لابادة الجنود الانجليز العائدين من العلمين ، قد تمت من الناحية العسكرية ، وكانت استعداداتنا كافية فعلا ..

وكنا قد بدأنا نفكر فى التنفيذ العملى .. فكان لابد لنا من أن نعاود الاتصال بالاخوان المسلمين لكى يكونوا هم القـــوة الشعبية التى تشاركنا باسم الشعب تبعات العمل الكبير

واذا قلت « الاتصال بالاخوان المسلمين » فانما أعنى الاتصال

بالمرحوم حسن البنا ، فلم تكن لى صلة عملية بغيره .. أو هكذا أراد حسن البنا نفسه .. فقد كان كما قلت من قبل، أحرص ما يكون على ان يظل مابيننا وبينه سرا خافيـا على الجميع ، حتى على كبار الاخوان أنفسهم

وعندما بدأت الاتصال به للقيام بالعمل الفعلى الذى كان يعرف اننا ننويه . تكتم الامر أيضا بينه وبين نفسه

فقد ذهبت اليه حينئذ فى دار الاخوان وطلبت مقابلته لامر هام ، وكان الاستاذ السكرى وكيل الاخوان المسلمين فى ذلك الحين موجودا معه ، فاذا به يشير بأن أدخل الى غرفة فى مدخل الدار ، كانت مخصصة لشركة المعاملات الاسلامية

وبذل رحمه الله جهـدا كبيرا لـكى لا يشعر السـكرى بأية حركة غير عادية ، ثم تسلل الى فى الغرفة من باب آخر لها ، وأخذنى من يدى فخرجنا متلصصين ، الى عربة نقلتنا الى بيته بالقرب من دار الجماعة

واغلق البنا باب غرفته ، وأوصد الشبابيك ، ثم مال على براسه لكى يسمع ما أردت أن أنهيه اليه

دور الاخوان

وفى تلك الليلة بسطت للمرحوم البنا كل التفاصيـل ، وتوسعت معه فى شرح دقائق الخطة العسكرية الموضوعة ، وأفهمته حقيقة الدور الذى نريد أن يقوم الاخوان به ، وحدود هذا الدور

واطرق البنا طويلا وهو يستمع لى ثم سكت فترة طويلة اخرى قبل أن يتكلم .. وعندما تكلم أجهش فى البكاء !

ومرت فترة وهو يتكلم ..

كنت أنا خلالها ذاهلا كالمسحور

قال كلاما كثيرا .. كلاما مثيرا امتزج بالايمان الشديد ..

وكان واضحا جدا من كلامه انه يؤثر مصلحة البلاد ..
ولكننى عندما خرجت من عنده ، سألت نفسى :
هل وعد الرجل بشىء ؟
هل هو سيقوم بتنفيذ نصيب الاخوان منها ؟
وحرت فى الاجابة على كل سؤال من هذه الاسئلة .. فالواقع أن الرجل تكلم كثيرا وأثر فى نفسى كثيرا ، وبكى من أجل مصر كثيرا .. ولكنه لم يعد بشىء ولا ارتبط بشىء !
ولا أفهمنى أنه مقبل على تنفيذ نصيب الاخوان من الخطة!

هل كان معنا ؟

ولكنك لو سألتنى حينئذ سؤالا من هذه الاسئلة لما استطعت أن أجيب عليه اجابة قاطعة كما أستطيع أن أفعل اليوم ..
انه رغم عدم تقيده بأى وعد فهو معنا .. بقلبه ووجدانه وتفكيره .. وروحه أيضا !
وكان أخطر ما أردت معرفته منه فى تلك الجلسة ، هو أن أعرف شيئا عن استعداداته من حيث الاسلحة .. فقد كنت على يقين أن الرجل يملك سلاحا ، وانه يختزنه ويعرف كيف يخفيه
وكانت مباراة بينى وبينه .. أنا أريد أن أعلم وأطمئن ، وهو يباعد بينى وبين ما أريد مباعدة لبقة لا تكاد تشعر بها أبدا ..
وفى جو الغموض والاسرار الذى كان يحوط نفسه به ، ويحوط كل أعماله وكل جماعته ، كان سهلا عليه أن يقنعك بأنه يملك سلاحا ، وأن يقنعك بألا تسأل عنه أبدا ..
وأن يقنعك بأنه أعد فعلا جماعته للكفاح ، وأن يقنعك بأن تحفظ هذا سرا بينك وبين نفسك
وأن يقنعك بأنه معتمد على قوة كبيرة مخيفة مجهولة ، وأن

يقنعك أيضا بأن تؤمن بهذه القوة ، دون أن تعرف عنها أى شيء ..

وكان هذا هو آخر اتصال لى بحسن البنا قبل اعتقالى

ولكن اتصالات جديدة بدات عقب ذلك

اتصالات بينه وبين ضابط آخر من ضباط تشـــكلينا ، واتصالات بينه وبينى أثناء هربى من المعتقل ..

وكانت هذه الاتصالات الجديدة ، صورة أخرى من صـــور الفصل الكبير الذى اشترك الاخوان فى صفحاته



ثورة رشيد عالى الكيلانى

◆ عزيز المصرى يتوقع هزيمة رشيد الكيلانى
◆ تاريخ الخيانة فى سياسة البلاد العربية
◆ خبرة البارون التائه فى الصحراء !..
◆ كيف ادعيت انى مريض بقلبى ؟
◆ الحظ الملعون يتربص عند الهرم ..
◆ سقوط طائرة عزيز المصرى !..

كان اعتقالى خاتمة لفترة من فترات الكفاح الذى بداناه يوم استقر عزمنا عليه فوق تباب الشريف .. الى جوار منقباد ..

ولم يكن هذا الكفاح يستطيع ان يتصل طول الوقت ، فقد قلت ان جمال عبد الناصر كان قد نقل الى السودان ، وان تشكيلنا الاول كان قد تشتت هنا وهناك ..

وكانت الاحداث قد دفعت بعضنا لكى يعمل ، فعمل بروح التشكيل ، وفكرته .. واتصل فى ذلك بمن استطاع الاتصال بهم ، وتصرف وحده حين اعوزته المشورة ..

وقد تلا هذا الاعتقال احداث .. وسبقته ايضا ـ غير ماذكرت ـ احداث ..

وكانت كل هذه الاحداث ، وثيقة الصلة بالتمهيد للثورة التى كنا نعد لها ، وبالعمل الفعلى الذى كانت الاحداث تدفعنا الى القيام به ..

ولكى يتم اليوم ما نستطيع سرده من تفاصيل هذه الثورة وتمهيداتها سأروى قصة الدور الفعلى الذى قام به عزيز المصرى ، الذى ادى الى اعتقاله ومحاكمته ..

كنا قد عدنا من الصحراء الغربية ، عقب رفضنا أوامر تسليم السلاح الى القوات البريطانية ..

وكنا كما اسلفت ، قد عقدنا العزم على الاتصال ، بعزيز المصرى ، وعلى ماهر ..

ولم يتم اتصالى بعلى ماهر ، ولكنى اتصلت بعزيز المصرى ، على النحو الذى ذكرته ..

ورغم التحفظ والحذر الشديد اللذين كنت التزمهما كلما

ذهبت اليه الا اننى فوجئت ذات يوم بالقائمقام موسى لطفى ، مدير المخابرات المصرية وقتذاك ، وهو يقول لى اننى التقى بعزيز المصرى هنا وهناك ..

وان المخابرات البريطانية التى تراقبه ، قد وضعتنى انا ايضا تحت المراقبة !..

وسألت القائمقام موسى لطفى عما يريده منى ؟

فسكت ثم قال :

ـ انى فقط احذرك ..

وفهمت ان تحركاتى كانت مكشوفة وذكرت لهذا الرجل احسانه الى بكشف هذا السر لى ..

اللحظة الحاسمة

وبدات ازيد من حذرى ، ولكنى لم اقف اتصالى ، لا بعزيز المصرى ، ولا بالجماعة التى كنت القاها من تشكيلنا ..

وكان شغلنا الشاغل فى تلك الفترة ، هو مراقبة تطورات هجوم المحور فى الصحراء الغربية. كنا نتتبعه ساعة بساعة ، ونحن نستعد ونتكتل انتظارا للحظة الحاسمة ..

وكان يوم من ايام الصيف فى عام ١٩٤١

كنت عائدا الى منزلى . عقب نزهة قصيرة اعفيت فيها نفسى من متاعب التفكير وتوتر الاعصاب . ولم اكد ادخل البيت ، حتى اخبرت بأن عزيز المصرى قد مر بى ، فلما لم يجدنى طلب ان اتوجه اليه فور حضورى ..

وكانت هذه الزيارة من عزيز المصرى ، وهذا الطلب ايضا ، يحملان فى طياتهما بالنسبة الى ، شيئا خطيرا ..

فلا بد ان شيئا قد وقع ، واننا على وشك ان نخوض احدى المعارك ..!

وغادرت منزلى فورا .. وأسرعت الى عزيز المصرى ..

وجلس عزيز يروى لي تفاصيل مثيرة ، الهبت حواسى ، وجعلتنى اعتقد ان ساعة البدء ، قد تحددت ..

واننا فى الطريق اليها ..

قال لي عزيز المصرى ان الالمان قد اتصلوا به عن طريق بعض اعوانهم .. وانهم يرحبون بخبرته فى شئون الشرق الاوسط والعرب ، وانهم على اتم استعداد لاختطافه ، ونقله الى قيادتهم ، حيث تستطيع خبرته ان تلعب دورا عمليا كبيرا ..

اذن فقد بدات نذر المخاطرة .. ولن يكون العمل داخليا فقط ، وانما سيكون هناك تنسيق لخطة من الداخل مع خطة اخرى مع الالمان ..

وكان يجب ان نقرر هل نقوم بهذه المخاطر ، أم نرفض القيام بها .. وكان علينا ان ندرس كل ذلك على اساس الاعتبارات والظروف المختلفة المحيطة بنا .. فى القاهرة ..

ففى هذا الوقت كانت الحكومة ومن خلفها مخابرات الانجليز تشك فى نوايا عزيز المصرى ، وتتوقع منه ان يهرب الى الخارج ومن اجل هذا سحبت منه جواز سفره ، ووضعت عليه رقابة شديدة ..

ولم يقابل عزيز المصرى هذا الاجراء بالرضى ، بل توجه الى المسئولين ، وطلب منهم ان يسمحوا له بالسفر الى الخارج فعلا ، فرفضوا هذا الطلب ..

ومعنى هذا ، ان كل حركة من حركات عزيز المصرى كانت تسجل وتحسب عليه ..

واكثر من هذا ان حكومة مصر ، ومخابرات الانجليز كانتا تتوقعان سفره ..

هذا من ناحية ..

اما من الناحية الاخرى التى جعلت عزيز المصرى يشعر

كأنه سبع قد حبس فى قفص من حديد .. فهى قيام ثورة رشيد عالى الكيلانى فى ذلك الوقت بالعراق ..!

الساسة العرب !

كانت هذه الثورة ، هى المتنفس الحقيقى الوحيد لنا ، هنا فى مصر .. وكنا نتابع انباء هذه الثورة ، فى حماسة بالغة ، ونعلق عليها آمالا واسعة ..

ولكن نظرتنا الى هذه الثورة ، كانت تختلف كل الاختلاف عن نظرة عزيز المصرى ..

كانت نظرتنا مليئة بالارتياح والحماسة والتفاؤل ...

وكانت نظرته مليئة بالضيق والتشاؤم ..

فقد كنا فى شبابنا وحماستنا ، نريد ان نصنع ما صنعه رشيد عالى الكيلانى ..

ننقض على الانجليز ونعلنها عليهم فى ازمتهم ثورة مسلحة

وكانت هذه البداية من رشيد عالى هى المفتاح الذى رأيناه يفتح لنا الطريق ، ويشعل نار شعوب هذه البلاد على الغزاة فيها ..

ولكن عزيز المصرى ، كان يسمع انباء هذه الثورة فينتابه الضيق والعصبية ، ويملأه التشاؤم ..

وكنا نسأله فى ذلك .. فيقول :

ـ انتم لا تعرفون رجال السياسة فى العراق مثلما اعرفهم

وكان يسترسل فى حديثه فيروى لى قصصا من خيانات الساسة العرب او اكثر الساسة العرب على الاصح ، منذ اتصل بالاحداث فى عهد الدولة العثمانية ، وكان اذ ذاك يرعى الحركة العربية

وكان يسمع انباء هذه الثورة ، ثورة رشيد عالى ، فيتوقع الخيانة ، وتتجسم له الخناجر التى لابد ان يطعن بها رشيد فى ظهره ..

وكان يتصور هذا المصير ، لتلك الثورة المخلصة ، فيكاد ينفجر غيظا ، وكمدا ..

هروب عزيز المصرى

ولم نكن نحن .. حتى آخر لحظة ، نشاركه هذا الشعور ، أو نقبل منه هذا الكمد ..

هذان الظرفان : المراقبة الشـديدة المفروضـة عليه من الحكومة والانجليز .. وثورة رشيد عالى التى كان يتوقع لها ان تطفئها الخيانة.. كانا هما العاملين الرئيسيين فى تكييف الموقف عنـدما عرض الالمـان عرضـهم عليه ان يختطفوه ليستفيدوا من خبرته فى وضع خططهم ..

وفكر عزيز المصرى طويلا .. وفكرت معه .. ثم استقر رأينا على وجوب سفره .. وعدم افلات هذه الفرصة ..

وفى اليوم التالى ، عاد عملاء الالمـان الى عزيز المصرى ، فأبلغهم قراره بالقبول ..

ووضع الالمان خطة الاختطاف ..

طلبوا منا ان نحدد لهم مكانا خارج القاهرة يصلح لنزول الطائرات .. وقالوا انهم بمجرد معرفة هذا المكان ، سيرسلون طائرة تحمل العلامات الانجليزية لتهبط فيه .. ويكون عزيز المصرى فى انتظار الطائرة ..

وعلى الفور تناولنا الخرائط ، واخذنا نحن الاثنين ، ومعنا زميلى عبد المنعم عبد الرؤوف ندرس جميع الاماكن ، وندرس ايضا كل الاحتمالات ..

اخترنا مطار الخطاطبة .. ولم يكن مطارا بالمعنى المفهوم ، وانما كان مجرد ارض صالحة لهبوط طائرة ..!

وقمنا ثلاثتنا لاستكشافه بعربة عزيز المصرى ، ثم حددنا مكانه على الخريطة بالطريقة الطوبوغرافية العسكرية ... وارسلناه الى الالمان ..!

وبدأنا نحن ننتظر الموعد الذى سيحـــدده الالمـــان لهبوط طائرتهم « الانجليزية » فى ارض الخطاطبة ..

ولكن دهشتنا كانت شديدة عندما جاءنا رد من الالمان ، يرفضون فيه فكرة « الخطاطبة » ويعينون منطقـــة « جبل رزة » على طريق الواحات البحرية ، مكانا للقاء ..

البارون التائه

واخذنا ندرس اسباب هذا التغيير .. فوجدنا ان الالمـــان كانوا على حق وانهم على دراية تامة بصحرائنا ، ومعرفة حقيقية بوسائل الهروب من مصر .. ولعل هذه الخبرة قد اكتسبت عن طريق الرحلات التىقام بها كشافوها ورحالوهم قبيل الحرب والتى تاه فى احداها احد باروناتهم فى صحرائنا

لهذا قبلنا هذا التغيير ، وحددنا يوم السفر ..

كنا اذ ذاك فى يوم اربعاء ، وكان سفر عزيز المصرى قـــد تحدد له يوم السبت التالى على الفور ..

ولا ادرى كيف توقعت مخابرات الانجليز ، اننا على وشك اتخاذ خطوة خاصة ..

فقد صدرت الى فى نفس اليوم ــ يوم الاربعـــاء ــ أوامر بالنقل الى الصحراء الغربية فورا ، وأنبأنى مدير السلاح ، وهو يصدر الى امره ، وجوب سفرى فى اليوم التالى مباشرة يوم الخميس ..!

ولم يكن لهذا النقل اسبـــاب .. وانما كان امرا واجب التنفيذ فحسب ..

ووقفت حائرا امام مدير السلاح اللواء احمد الصاوى ، وهو يصدر الى امره .. وكان على ان اختار ، اما ان اسافر فى الموعد المحدد واما أن أرفض السفر ، ومعنى هـــذا اعلان عصيانى لاوامر الجيش فى ظروف حرب ..

وهى اخطر تهمة يمكن ان توجه الى ضابط فى الجيش ..

وخرجت من عنــد مدير الســلاح ، وتوجهت الى عزيز المصرى ، لأعرض امرى عليه ..

ولكنه رفض ان يشير بشيء على وفوض لى الامر كله .. والشيء الوحيد الذى اتفقنا عليــه هو وجوب ســفر عزيز المصرى فى الموعد الذى تحدد فعلا .. وان يكون عبد المنعم عبد الرؤوف فى صحبته ... حتى تطير به طائرة الالمان ..

وقــد تركت الامر لهمــا ، وتوجهت انا الى المســتشفى العسكرى صباح الخميس .. وادعيت انى اشعر بآلام مترتبة على مرض فى القلب اصبت به اثر حادث تصــادم كان قد وقع لى ..

ولم يكن صعبا ان احصل على اجازة مرضية من المستشفى العسكرى وان ابطل بذلك ــ ولو مؤقتــا ــ امر النقل الى الصحراء ..

وقضــيت يومين فى المستشــفى اترقب يوم السبت ، واتعجله ..

سوء الحظ

وجاء يوم السبت .. وزارنى فى نهايته عبد المنعم عبــد الرءوف وكان حزينا مبتئسا .. ! ان الرحلة لم تتم ، ولم يستطع عزيز المصرى أن يصل الى « جبل رزة » ولم يكن السبب انكشاف أمر هذه الرحلة ، ولا رقابة البوليس ، ولا أى شيء من كل الاسباب التى تطوف بالذهن لاول وهلة .. ولــكنه كان القدر ..

فقد خرج عزيز وعبــد المنعم بسيارة جــديدة اشتريت خصيصا لهذا الغرض .. وسارت بهما السيارة شوطا ، واذا بها تتوقف عن السير فجأة على مقربة من الهرم ، وقبل ان يدخلا بها طريق الواحة البحرية ، الذى كانت الطائرة الالمانية ستهبط فيه ..

وكان الاتفاق ان تهبط الطائرة عند الغروب ، وان يصعد اليها عزيز بمفرده ، ثم يتصل بنا عن طريق اللاسلكى فور وصوله الى خطوط الالمان ..

وقال لى عبد المنعم ، انهما لم يتمكنا من اصلاح العطب الذى اصاب السيارة ، فتركاها فى مكانها بعد ان فات الوقت المحدد لهبوط الطائرة .. وعادا ..!

وقال لى ايضا : ان عزيز المصرى فى حالة عصبية شديدة بسبب هذا الحادث ..

ومضى بعد ذلك يومان ، ثم اتصل احد رجال الالمان بعزيز المصرى ، وابلغه ان الطائرة قد اتت فى موعدها ، وانها حومت حول المكان ، ولم تجد الاشارة المتفق عليها ، فعادت ..

ثم مرت ايام كثيرة ، دون ان يجدد الالمان اتصالهم بعزيز المصرى ..

وكان لابد لاجازتى المرضية ان تنتهى ..

وكان لابد ان ارحل الى الصحراء الغربية ..

ورحلت فعلا ، تاركا كل شىء لعزيز المصرى وعبد المنعم عبد الرؤوف ..

المحاولة الثانية

واكاد اتصور الآن الايام التى مرت بعزيز المصرى بعد ذلك ، على ضوء ما اعرفه عنه ، وما لمسته من انه اذا صمم على شىء لم تستطع قوة ان توقفه عن المضى فيه ..

فقد كان عزيز قد صمم على الذهاب الى خطوط الالمان ، وكانت هذه الفكرة قد اختمرت فى رأسه ، واصبحت مسيطرة على تفكيره وآماله .. وكان من الصعب بعد ذلك انتزاع هذه الفكرة من رأس الرجل ..

ومرت ايام قليلة ، واذا به يكلف عبد المنعم بأن يبحث له

موضوع سفره ، على متن طائرة مصرية ..

وبدأ عبد المنعم دراسته ، ثم اتصل بقائد الفرقة الجوية حسين ذو الفقار ، واتفق معه على ان يعد خطة السفر ... وان يكون هو الذى يحمل عزيز المصرى الى الالمان ..

وتحدد موعد السفر ، فى ليلة كان فيهـا ذو الفقـار هو الضابط العظيم بالمطار ..

وحمل ذو الفقار عزيز المصرى فى احـدى الطـائرات .. وطارت الطائرة بهما ..

ولـكن القدر كان بالمرصاد ايضا .. فقد سقطت الطائرة وقبض على الرجلين ووضعا فى السجن ..

وبعد ان قضى عزيز المصرى عاما ونصفا فى السجن ، نقل الى « ميس » الضباط تخفيفا عنه .. ثم افرج عنه بعد ذلك فى مارس سنة ١٩٤٢

فى نفس الفترة التى بدأ فيها الالمـانيان آبلر وسـاندى اتصالهما بى .. وبعزيز المصرى ..

كان القدر دائما ضدنا فى هـذه الفترة .. ولـكننا كنا نستفيد من القدر ..

وجاءت الفترة التى اعقبت اعتقالى .. وتغير كل شىء ..

الهرب الى اسطمبول

- صداقة .. وصديق ...
- عشرة جنيهات فقط ...
- لماذا لم ننسف السفارة البريطانية
- فدائيون فى الجيش .. وفدائيون فى الشعب !
- متى نضعف ..؟
- جمال يعود ...

مرت حياتنا كتشكيل منظم بفترة ركود نسبى طويلة ، فعلى الرغم من عودة جمال عبد الناصر من السودان ، الا انه وجد من الخير للتشكيل وللثورة ، ألا يعاود العمل المنظم الفعلى الا بعد أن تستكمل لهذا العمل اسباب النجاح ، وكل وسائله ..

وقد جاءت هذه الاسباب واكتملت الوسائل بعد بضع سنوات .. عندما بدات أعمال وخطط منظمة وصلت الى غايتها يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

ومع ذلك ، فقد كانت هناك اتصالات ، وكانت هناك الوان من النشاط فى نفس الفترة التى تلت اعتقالى ، وسبقت نقطة البدء التى حددها جمال ..

مدة كانت فترة ركود ، ولكنها لم تخل من عمل .. ومن تفكير فى عمل ..

عندما أتذكر اليوم تلك السنوات التى اتصلت فيها بحسن البنا ، قبل اعتقالى ، يأخذنى كثير من العجب للفتات كان يلتفتها فى وقت لم يكن مثلها يخطر لى ببال

وانا أتذكر اليوم ، كم ألح على حسن البنا أن أذكر له اسما واحدا من اسماء زملائى ، ليتصل به أن حدث أن عاقنى شىء عن الاتصال به

وكنت أنزعج لهذا السؤال ، وكنت أتهرب من الاجابة عليه، فقد كان متفقا بينى وبين اخوانى أن أظل أنا وحدى ، الضابط الوحيد من التشكيل المعروف لمرشد الاخوان

ولكنه ألح .. وألح كثيرا ...

وفى مرة احرجنى ، فأطلت التفكير .. ثم اخترت ان أذكر

له اسم عبد المنعم عبد الرؤوف ..

ولا اذكر على التحديد لماذا اخترت عبد المنعم ... وكل ما أستطيع اليوم أن أذكره من أفكار ذلك الماضى البعيد الحافل بالمثيرات ، هو انى اخترت هذا الزميل ، وربما لانه كان اول من انضم الى تشكيلنا عقب عودتنا الى القاهرة فى عام ١٩٤٩

ولم يعلق حسن البنا بشيء عندماذكرت له اسم عبدالمنعم . وانما لزم الصمت والحرص اللذين لونا حياته حتى فارق هذه الدنيا ، بحادث اغتياله المشهور ...

ولكننى عندما قابلته أول مرة بعد ذلك ، ذكر لى اسم عبد المنعم واثنى عليه طويلا .. ثم أخذ يسرد لى تفاصيل كثيرة عن تاريخ عائلة عبد المنعم وحياته وبيته ...

وفهمت ان صلة ما قد وجدت بين أسرة عبد المنعم ، وبين مرشد الاخوان ، وانها صلة قديمة ، وانها صلة معرفة وصداقة وبيئة ، فقد كان جد عبد المنعم شيخا للازهر . كما ان عائلته كلها كانت معروفة بالدين والتقوى ..

وامسك حسن البنا عن ذكر عبد المنعم بعد ذلك ، حتى ظننته نسيه !.

ثم كان القبض على عزيز المصرى وكان الافراج عنه ، ولم يشر حسن البنا اليه أبدا ..

صداقة .. وصديق

وعندما أفرج عن عبد المنعم وكنت أنا اذ ذاك طليقا لم يقبض على ، فقد أفرج عنه مع الفريق عزيز المصرى فى مارس عام ١٩٤٢ ، ولم يقبض على أنا الا فى أغسطس من ذلك العام .. عندما أفرج عنه ، لم اشأ انا ان اتصل به فى شيء ، كنت أخشى عليه أن تثور حوله شكوك جديدة .. وكنت أريد

له فترة من الراحة بعد المحاكمة والسجن والاعتقال ..

ولكن يبدو ان عبد المنعم أساء فهمي حينذاك ، فقد غضب فى نفسه وتضايق .. وعرفت فيما بعد

وجاء اليوم الذى قبض فيه علي وقبض فيه على عزيز المصرى مرة أخرى .. ولم اكن اذ ذاك على صلة بعبدالمنعم ، ولا على شبه صلة به

وكان آخر شيء افكر فيه هو أن ينشط عبد المنعم بمجرد اعتقالى ليقوم بما قمت به ، لفكرتنا ، وليقوم بواجبات أخرى يكلف بها نفسه .. لشخصى ..

انها الصداقة التى آمنت بها دائما .. هى التى دفعته ان ينهض فورا بعبء كنت أنهض به .. ثم أن يفاجئنى مفاجأة أخرى ..

عشرة جنيهات

كنت قد نقلت الى معتقل المنيا .. وكنت أذود عن نفسى هم التفكير فى العالم الخارجى ؛ بالقراءة الكثيرة أقطع بها وقتى ..

وكان هم التفكير فى خارج المعتقل هما ثقيلا ، مثيرا للنفس باعثا للكآبة ... والجنون

فمثلى فقير لايملك غير عمله .. وذوزوج وأولاد .. يعيش فى المعتقل لايعرف لاهله معينا ، غير الذى خلقه وخلقهم

وفى طريقى اليومى الى مكتبة المعتقل التقيت بالمرحوم الشهيد يوزباشى محمد وجيه خليل ، الذى استشهد فى حرب فلسطين ، وكان من دفعتى ومن دفعة عبد المنعم عبدالرؤوف

وينتحى بى الصديق ناحية ليسر فى أذنى ان التشكيل قد رتب لعائلتى عشرة جنيهات فى كل شهر ، وانه جاء لكى يطمئننى بعد أن عزت على الجميع زيارتى ..

متى نضعف ؟

وكانت هذه العاطفةالصادقة من زملائى هىاسمى مايمكن ان يشعر به مثلى فى ظلمة الاعتقال

فقد يعرف الذين زاولوا الكفاح من أجل فكرة انهم لا يضعفون أمام الموت ولا يضعفون أمام السجن ولا يضعفون أمام التعذيب ، وقد يخيل اليهم فى لحظاتالحماس والانفعال أنهم لن يضعفوا امام شىء فى الوجود .. ولكنهم فى هذا واهمون . فهناكالشىء الذىيضعفون أمامه ، والذىلايملكون حياله شيئا الا الفرار .. من الواقع ، والفرار من التفكير فيه .. الفرار من هذه المطارق التى تطرق الرأس والقلب والضمير ... وتحيل الجبار وهما ضعيفا يكاد يستسلم ويكاد يستغيث لولا كبرياء الكفاح ، ويقظة الفكرة المتأصلة فى نفسه ومثالية الهدف ...

ولعلك عرفت الآن ، ما هو هذا الشىء الذى يضعف أمامه المجاهدون ... انه الولد ، الطفل .. العيال !

هؤلاء الصغار الودعاء ، الذين ندفعهم دفعا الى مرارة الكفاح ، ونأخذهم اخذا على الصبر والحرمان والتقشف ، ولما يبرحوا بعد مهاد الطفولة ، ولما يعرفوا بعد مراحالصبا

هؤلاء هم نقطة الضعففينا ... وهى نقطةضعف اعترف بها ، ولا تخجلنى ... لاننى انسان !

وقد كنت احتمل ان يحرم اطفالى من رعاية ابيهم ... ولكنى ما كنت أصبر على حرمانهم من ضرورات الحياة

وكانت هذه الجنيهات العشرة ، هى العون الوحيد الذى اقبله لاطفالى لانها لم تصدر عن عطف ولا اشفاق . وانما صدرت عن فكرة مشتركة ، وتكافل بين مكافحين ...

وبدات انسى هم الحياة الوثيقة بى خارج المعتقل ... وبدأت أفكر فى خطوط المستقبل ، وخطوات الجهاد

وكان مجرد تفكير نظرى ، تنقصه حكمة الواقع ، ودراسة الطبيعة

وكان اهم ما يشغلنى هو ان اخرج من هذا المعتقل ، ولكننى لم أكن قد حددت بعد ، لماذا أخرج ، أو ماذا أستطيع أن أصنع وانا مطارد شريد !

الى تركيا

ويبدو انى لم اكن وحدى الذى فكر فى هذا الامر ... فقد فكر فيه عبد المنعم عبد الرؤوف فى نفس الوقت الذى كنت انا افكر فيه ...

وفى جلسات متعاقبة مع بعض اعضاء التشكيل من سلاح الطيران ، وكانوا من اكثر أعضاء تشكيلنا حماسة واندفاعا .. اخذ عبد المنعم يضع خطة لتهريبنا .. عزيز المصرى وانا ..

وكانت خطته تعتمد على عدد من المجازفات ، ولم تكن خطة عملية على اى حال ...

كانت خطته تقوم على الهجوم على المعتقل الذى يقيم فيه عزيز المصرى واختطافه اختطافا مسلحا من حرسه ليهرب عزيز من معتقله فيجد عربة فى انتظاره تحمله الى المنيا

وكان الشق الثانى من الخطة مماثلا للشق الاول فهو قائم على الهجوم على معتقل المنيا واختطافى من هناك بالقوة لاهرب فأجد عبد المنعم فى انتظارى

أما الشق الثالث .. فكان قائما على أن تقوم طائرة من القاهرة لتهبط فى المنيا فى نفس الوقت الذى يصل فيه عزيز المصرى اليها ، وأخرج أنا من المعتقل

وكان الاتفاق أن تحملنا الطائرة فورا الى سوريا .. أو الى اسطنبول

وكانت كفة الاراضى التركية هى الراجحة فى هذه الخطة . للموقف الذى كانت تركيا تتخذه من الحرب

ولـكنها ـ كما قلت ـ لم تكن خطة عملية .. فلو قـدر لهذين الهجومين المسلحين ان ينجحا ، لمـا كان من السهل ضبط التوقيت فى العمليتين معا ، بحيث لاتزيد مدة بقـائى خارج المعتقل عن دقائق معدودة تحلق بنـا الطائرة بعدها الى خارج الحدود ...

لم يكن هذا سهلا .. ولعل أسهل ما كان فى هذه الخطة هو الدور الخاص بسـلاح الطيران .. فقـد كان زملاؤنا الطيارون ، أكثرنا اندفاعا وحماسـا فى كل شىء .. وكنـا نرجع ذلك دائما الى طبيعة عملهم كطيارين كل حياتهم مغامرة مستمرة ، والى قوة أعصابهم التى تعتبر شرطا أساسيا فيمن يقبل فى هذا السلاح

كان الجزء الخاص بالطائرة .. هو الجزء العملى الوحيد فى هذه الخطة ، أما القسمان الاخران منها فكانا يحتويان على كثير من الثغرات الـكافية لخلق متاعب جديدة لنا ، كنا فى غنى عنها ...

وكانت هذه الخطة هى خطة عبد المنعم وحده ... فقد كان التشكيل ـ كما قلت ـ فى فترة من فترات الركود

تطورات .. بالجملة !

ولـكن هذه الفترة كانت تحوى تطورات كثيرة فى الحياة المصرية ، وفى موقف العنـاصر المختلفة التى كانت ذات تأثير فى سياسة البلاد

فقد أصبح للملك ـ مثلا ـ موقف جديد وتطورت نظرته الى عرشه ، والى شعبه والى مستقبله والى الانجليز تطورا كبيرا ...

هذا الملك الذى كان يمثل عنصرا من العناصر الوطنية حتى ٤ فبراير ١٩٤٢ والذى اعتبرناه فعلا رمزا لمصر .. واعتبرنا الاعتداء على قصره اعتداء على مصر .. واردنا ان نثـأر له بابادة الانجليز .. قد تطور أو تغير .. ووضح لنـا هذا

التطور والتغير بصورة جعلتنا نضعه فى الصـــف الاول من صفوف الاعداء ...

واحمد ماهر .. الذى ملأ قلوبنا يوم أن وقف وقفته أمام الانذار البريطانى فى عام ١٩٤٢ والذى علقنا عليه أملا كبيرا يوم عاد الى الحكم فى عام ١٩٤٤ ، لم يكد يستقر فى مقعـد رئيس الوزراء حتى أصدر أمره ببقائنا فى الاعتقال وكان هذا الامر بناء على « أمر » من الانجليز ، ولا أقول بناء على طلب أو رغبة أو تفاهم !

وحسن البنا ، الذى كان قد أصبح قوة رهيبـة يخشاها الملك ، ويعلن عن مخاوفه منها ، بدأ يضع لنفسه سـياسة جديدة يضمن بها القفز بحركة الاخوان المسلمين فى جو آمن من مقاومة القصر او غدره .. وكان رحمـه الله يحاول دائما اقناعنا بخطته ، ويحاول ايضا الامساك بطرفى حبلين فى قبضته

جمال يعود ..

وفى هذا الوقت هربت أنا من المعتقل .. هربت فى نوفمبر ١٩٤٤ اى بعد تأليف وزارة احمد ماهر بشهر ..

وكانت ظروف كثيرة متعاقبة ..

ففى الوقت الذى انصرف فيه عبد المنعم عبد الرءوف الى الاخوان المسلمين انصرافا كليا . وفى الوقت الذى هربت أنا فيه من المعتقل ، وبدأت أكافح لاعيش هاربا شريدا أقتـات من عدد من الاعمال الغريبة هنا وهناك متنكرا مستترا حتى ألغيت الاحكام العرفية عام ١٩٤٥ فبدات اظهر بوجهى

فى هذا الوقت .. كان جمال عبد الناصر قـد بدأ يتولى بنفسه امر التشكيل داخل الجيش ، لينظمه تنظيما جديدا وليضع له خطة بعيدة المدى طويلة الامد قائمة على فلسفة مدروسة واقعية

وبدأت حركتنا تتخذ صورتين ..

صـــورة داخل الجيش يرسمها ويكون عنــاصرها جمال عبد الناصر ..
وصورة خارج الجيش توليت أنا أمرها ..
وكان الغالب على الصورتين ، روح فدائيــة ، وكانت بين الصورتين صلات ...
كنا قد بدأنا نعتمد على أنفســنا كل الاعتماد اثر أحداث واحداث ..
وكنا قد رسمنا خطتنا القريبــة على أن ننشىء تشــكيلا شعبيا وتشكيلا عسكريا ، يعملان جنبـــا الى جنب ، كل بوسائله وكل بخططه ، ولا يرتبط احدهما بالآخر أى ارتباط ظاهر حتى تأتى اللحظة المناسبة لذلك
ومر بنا تاريخ طويل .. ووقعت أمام أعيننا هزات عنيفة

نسف السفارة ...

وكنت اتعجل الخطى .. وكان جمال يتريث ..
حتى اتى اليوم الذي شكلت فيه وزارة المرحوم النقراشى عقب مصرع المرحوم احمــد ماهر .. وذهب النقراشى الى السفارة البريطانية فقابله كيلرن .. على سلم السفارة ..
وكانت هذه القصة حديث مصر ..
فقد كانت قصة بغيضة فاضحة .. ولم يكن فى البـــلاد مصرى واحد يحتمل سماعها ، دون أن تفور الدماء فى عروقه ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من اعمال الجنون .. فقــد كانت خلاصة هذه القصــــة أن النقراشي لم يكد يشــير الى مطـــالب مصر ، حتي هز ذلك اللورد كتفيـــه فى استهتـــار وسخرية ، وقال للنقراشى ، دعك من هذا الـكلام .. فان حديث الجلاء والوحدة ليس الا حديث خرافة
وكانت لطمة قاسية أردنا أن نردها
وذهبت الى جمال .. وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى ، لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها

واستمع لى جمال طويلا . وناقش خطتى مناقشة كاملة. وأقر كل أطرافها وعناصرها ..

ولـكنه فى آخر الامر .. هز رأسه وقال : لا ..

كان يستعرض فى ذهنه الاجراءات التى يستطيع الانجليز اتخاذها عقب نسف سفارتهم وكان يستحضر فىذهنه مصرع « لى ستاك » سردار السودان ..

وقال : لا .. نحن لانريد ان نعيد مأساة السـودان التى وقعت منذ عشرين عاما ..

وكان على حق .. فعشرون عاما فى عمر أمة مكافحـة ، ينبغى لها ان تغير من اساليب كفاحها بما تتضمنه من تجارب ومن دروس ..

ولم تتم هذه الخطة..ولكن بدأ صراع من نوع آخر جديد

☐

هذا اجمال لفترة طويلة .. ولـكن هل يكتفى القـارىء منى باجمال ؟!..

ان للقارىء أن يسأل عن موقف الملك وكيف تطور ..

وله أن يسأل عن موقف الاحزاب وكيف تطورت ..

وله أن يسأل عن موقف حسن البنا وكيف تطور وكيف تعاونا معه وكيف تعاون معنا ..

وله أن يسأل عن جمال عبدالناصر كيف بدأ خطوطهالجديدة

وله أن يسأل عن سر التشكيلين الفـدائيين .. تشكيل الجيش وتشكيل الشعب وله أن يسـأل عن دور الاحرار فى معركة القنال ...

وله أن يسأل عن ثورة الاحرار فى نادى الضباط ...

وله أن يسأل عن خطة الاحرار التى اتبعوها بين صفوف الشعب ...

وله ان يسأل عن الترتيبات والظروف التى أخرت موعـد قيام الحركة .!؟

له أن يسأل عن كل هذا ؟

إقالة وزارة النحاس

- احمد ماهر ينفذ رغبات الانجليز ..
- فاروق يقول ليوسف رشاد .. « حسن البنا ضحك علينا »
- ضممنا « الملك » الى صفوف الاعداء ..!
- اخلاص حسن البنا ..!
- العملاق الذى لا يقهر ..!
- الملك يخشى وكيل الوزارة !

فى الساعة الخامسة تماما من مســـاء ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، انقطع صوت الاذاعة المصرية فجـــأة ، وكانت تذيع احـــدى الاغانى .. ثم عادت تصدر صوتا كان مألوفا لدى المصريين طوال فترة الحرب هو صوت الاستاذ محمد سعيد لطفى ، الذى كان مستشارا للاذاعة فى ذلك الوقت ...

كان يحمل امر الاقالة التى وجههـــا فاروق الى النحاس لينهى بها عهدا بدأ بدبابات الانجليز ...

وكان واضحا فى صوت مستشار الاذاعة ، وفى القائه لهذه الاقالة . أنه طروب بها مستبشر .. شمتان !

وكان سهلا على المدركين لحقائق‌الامور ان يعرفوا الاسباب التى تدعو مستشار الاذاعة الى الفرح الشديد بهذه الاقالة ، فقد كانت هذه الاقالة بشرى ــ من السماء ! ــ هبطت على ذلك الرجل ، لتنقذه من عذاب طويل ، وضيق وحرج لامثيل لهما ، عاش فيهما أكثر من عامين ونصف عام ..

كانت الحكومة طيلة تلك الفترة تتحدى القصر وكان القصر طيلة هذه الفترة يتحين الفرص لاقالتها ...

ولو كان الخلاف قائما على اساس دستورى ، لكان خلافا فى سبيل مصر

راس الملك !

ولـكن النحاس كان‌يتحدى الملك ، باسم‌الانجليز ، لاباسم الشعب ، ولا باسم الدستور

والملك كان يحنى رأسه ، لانه كان يعلم انه لايســـتطيع شيئا غير الانحناء ، حتى تحين‌الفرصة ، ليبطش بهذه‌الحكومة

التى جاءت رغم أنفه ، لتذل كبرياءه ، وتهدر كرامته !

وكان الملك قد جرب حظه مرة خـــلال حكم الوفـــد .. فأرســـل حسنين يفـــاوض كيلرن ليسمح الانجليز بتغيير وزارة النحاس ، فـكان الرد الذىتلقاه على ذلك ، هو برقية من تشرشل يقول فيها :

ـ لا تغيير ..

وسكت الملك ، وسكت حســـنين ، وعلم الوفـــد بالامر ، فازدادت حكومته صلفا ، وبطشا ...

والمهم ان هذا الخلاف والتحدى بين الحكومة وبين «الملك» كان مصدر متاعب وحرج شديد لرجل الاذاعة المسئول ...

كان الملك مثـــلا يأمر باذاعـــة القرآن الـكريم من القصر ، فترسل الاذاعة رجالها وآلاتهـــا لاعـــداد ما يلزم للملك .. وتسمع الحكومة بالامر فترسل رجالها لسحب آلات الاذاعة

ويبدأ الحرج ، وتبدأ المتاعب ، للاذاعة ورجال الاذاعة ..

وكان الوفد يقرر القيـــام برحلات فى الاقاليم ، فيـــأمر الاذاعةباذاعتها ، ويسمع الملكالهتاف والدعايات ، فيغضب ، ويبلغ غضبه بطريقته المعروفة ، لرجل الاذاعة المسكين ..

وهكذا ، كان على الاذاعة أن ترضى الانجليز ، وان ترضى الحكومة ، وان ترضى الملك ، وكان هذا أمرا لا سبيل اليه !

فاذا أقال الملك حكومة النحاس ، فقد كان من الطبيعى أن يفرح رجل الاذاعة ويستبشر ..

وسمعنا هذه الاقالة من الاســـتاذ محمد سعيد لطفى ، وسمعنا بعدها مباشرة الامر الملـكى الصادر بتكليف احمـــد ماهر بتشكيل الوزارة .. وكنا فى المعتقل ، قد استطعنا أن نحصل على جهاز راديو يسمح لنا باستعماله كلمـــا رضيت عنا ادارة المعتقل ..

ولا أخفى على القارىء انى أنا أيضا طربت لهذه الاقالة ..

فقد كانت ـ عندى ـ الرد الاول على انذار ٤ فبراير المشئوم

وفى غمرة هذا الطرب ، غفلت عن تحليلها ، والتعمق فى مدلولهـــا . .

فان الامر لم يكن بعد قد ترك للملك يتصرف فيــه كيف يشاء ، لابد من مصدر لهذه القوة التى تقمصته ، حتى اقال وزارة النحاس . . . ولابد من اتفاق سابق ، وان التغيير آت من الانجليز ، لا من الادارة الحرة للملك !

تجاربنــا

غفلت عن هـــذ التحليل ، فى غمار النشوة التى بعثتها فينا هذه الاقالة . .

وغفلت عنـــه فى غمار النشوة التى تلتهـــا . اذ أصدر الرئيس الجديد أمره بالافراج عن جميع المعتقلين . . وبدأت اعد نفسى للحرية . . .

وكل من عرف الاعتقال يعرف كيف يكون الامل فى الحرية ، وكيف تتزاحم مشروعاتها على الرأس ، وتتواثب صـــورها أمام الخيال . . .

ولكنى افقت بعد ذلك بقليل . . أفقت من الآمال ، وافقت من الخيالات وافقت من هـــذا الطرب الذى غمرنى عنـــدما سمعت اقالة النحاس

فقد رأى احمد ماهر ان يفرج عن جميـــع المعتقلين . . . ولـــكنه رأى أن فينا خطرا داهما يهدد النظام العام !

وبدأنا التحليل ، وتعمقنا فى سر الاقالة ، وتـــكفلت الايام بعد ذلك بافشاء الاسرار !

وبدأت أضـــيق ذرعا بالمعتقل وأصبح وجودى فيـــه بعد ذلك ضربا من المستحيل . . . فوضعت خطة هربى وهربت

فعلا ، هربت فى الشهر التالى لاقالة النحاس ، أى فى شهر نوفمبر ١٩٤٤ ...

وبدات اتصل سرا باخوانى فى تشكيل الجيش ، واتصل سرا بالمرحوم حسن البنا ، واعمل سرا فى سبيل الحصول على ضرورات الحياة ...

انها فترة طويلة على قصرها ، لانها كانت مغامرة كاملة .. ولعل القراء قدقرأوا طرفا منها بقلم غير هذا القلم .. ولعلى أعود الى ذكرها يوما من الايام بالتفصيل

ولكنى لا أفعل اليوم ، وقد حددت لهذه الصفحات المجهولة ، خطا تسير عليه ، يستهدف الكشف عن الاسرار التى يمكن كشفها من تاريخ التمهيد لهذه الثورة ، وتاريخ تجاربنا خلال ذلك التمهيد ...

خرجت من المعتقل لاكتشف عددا من الحقائق الجديدة ، ولاعرف عددا من الاسرار ...

خرجت لاسمع حديث الملك ، عندما ذهب يزور تشرشل فى السفارة البريطانية ...

وكان حديثا عجيبا ... فالرجل الذى ضربه الانجليز ، أو ضربوا مصر كلها فى شخصه ، لم يكن يخلق به ، ولا بكرامة عرشه ، ولا بكرامة البلد التى « يملكها » ان يذهب بنفسه لزيارة رئيس وزراء الانجليز ، الذى أصدر أمره بتحرك الدبابات الى قصره وطعنه هذه الطعنة الدامية ..

ولكن ... متى كانت لفاروق كرامة ، ومتى كان يعرف كرامة لعرشه وبلده ...

القوة التى فى الميدان

لقد ظننا هذا يوما ... وكنا فى ظنوننا مخطئين ...

فالضربة التى اصابت كبرياء مصر من أجل الملك ، لم تصب أبدا كبرياء الملك من اجل مصر ... لانه لم تكن له كبرياء

وخرجت لارى قصر راس التين ، القصر الرسمى الثانى فى البلاد ، وقـــد أمر الملك بتحويله الى مستشفى عسكرى ، لا لجنود مصر وضباطها ، الذين حاولوا الموت فىسبيل عرشه يوم هوجم عرشه ، ولـكن لجنود الانجليز وضباطهم الذين تحـــركوا بالدبابات يحطمون بها باب قصره الاول ، فى قلب العاصمة !...

وخرجت لارى فاروقا قد ترك كل ما كنا نرجوه فيه من معانى الشباب والوطنية ، وارتمى بين أحضان جنود أمريكا ، وضباط أمريكا ... يلعب معهم ، ويســـهر معهم ، ويقوم برحلاته معهم ، ويلهو فى لياليه معهم ... وكأنه رأى فيهم الجدار القوى الذى يستطيع الاستناد اليه ، ان تخلى عنـــه الانجليز !...

وخرجت لاعرف السر فى كل هذا ... فقد سيطرت على الملك روح من الرعب الشديد من ذلك اليوم الذى اقتحم فيه قصره بالدبابات والمدافع .. ورأى فيه عينى كيلرن تقدحان بالشرر !...

أصبح الملك يخاف ... يخاف علىحياته ، ويخاف ضياع العرش منه ، حتى لقد كان يتتبع أنبـــاء التحركات الداخلية لجنود الانجليز ، فلا يكاد يسمع عن اىتحرك من تحركاتهم، حتى يؤوله بأنهم يقصدونه به ، وانهم يعتزمون ازاحتـــه عن العرش مثلما ازاحوا من قبل بعض اسلافه ..!

وكان تصرفه الدائم فى كل مرة من هـــذه المرات ، هو أن يترك قصره ، ويهرب الى انشاص ... وكأن انشاص كانت بعيدة عن دبابات الانجليز !!

واذن فقد اصبح الملك العوبة فى ايدى الانجليز ، ولم يعد فى استطاعتنا أن نعول عليه فى شىء من خططنا ... بل لعل

الاسلم ان نعتبره ... من الاعداء ...

وهكذا ، ذهبت مع الاعداء ، صفوف الوفـــد وصــفوف السعديين ، وقوة الملك

ولم يبق فى الميدان الا قوة الاخوان

هل نستعين بهم .. وهل نعول عليهم ؟

عاودت اتصالى بالمرحوم حسن البنا ، وانا هارب من المعتقل

وتبسط معى حسن البنا بصورة لم تسبق له من قبل .. فرغم كل الصلات التى قامت بينى وبينه كنت أشعر دائما انه يقول شيئا ، ويخفى فى نفسه أشياء ..

ولـكنه فى تلك المرة ، تبسط كثيرا وشرح كثيرا ، وأفاض كثيرا ... ثم ... ثم كلفنى بأمر !

شرح لى حسن البنا متاعبه التى تأتيه من ناحيتين :

ناحية الملك .. وناحية الاجانب ...

وقال لى ان الملك قد بدأ يشــعر شــعورا قويا بخطورة دعوة الاخوان ، لمــا كان يسمعه من أن دعوتهم تقوم على أن يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة

وقال لى أن الملك يدبر امره ليبطش بهذه الحركة ، وانه يخشى أن يضرب الملك ضربته ، والحركة لم تبلغ بعد أوج قوتها

العملاق الذى لايقهر

وكانت هذه أول مرة يفصح فيها حسن البنا عن شــعوره بعدم وصــول دعوته الى ذروة القوة والمناعة ... فقد كان دائما يعطى سامعه صورة للجماعة ، أشبه بصــورة العملاق الذى لايقهر ولا يخشى عليه ...

واستطرد بعد ذلك الى ذكر طرف آخر من متاعبه ، وكان هذا الطرف ، هو موقف الاجانب من الدعوة ...

فقد بدأ يشعر بأن الاجانب أيضا يرهبون دعوته ، ويعتقدون

انها اذ تقوم على وجوب الاخذ بشريعة الاسـلام ستتعرض حتما لاعمالهم واموالهم ، وحرياتهم الممنوحـة لهم بمقتضى القانون السائد ، والدستور ..

وقال لى ان هـذه النظرة الموحدة الى دعوته ، من جانب الملك ، ومن جانب الاجانب ، تجعل الدعوة فى خطر جسيم، فما أيسر أن تتحول هذه النظرة الموحدة الى تحـالف عملى للقضاء على الدعوة ، وعلىالجماعة التىتدعو اليها ... يومئذ لايعرف من أين تصوب اليه الضربات !

واستمعت اليه ، منصتا ، ومناقشا ... ثم رأيته يطرق فجأة يستجمع كلمات معينة ، يريد أن يبدأ بها حديثا جديدا وبدأ حديثه الجديد ...

قال لى انه يريد أن يضع حدا لهذه المتاعب ، وانه يعتقد ان الاجانب يمكن أن يطمئنوا الى الدعوة ، لو اطمأن اليها الملك ونظر فى عينى طويلا وهو يقول :

أنا أستطيع أن أكسب طمأنينة الملك ، لو تقابلت معه ...

وكان وجهه ينبىء فعلا عن الثقة الـكبيرة التى تملأ نفسه بقدرته على كسب طمأنينة الملك

وظهرت هذه الثقة اكثر واكثر ، وهو يصـــف لى كيف يستطيع أن يزيل من نفســـه جميع الاوهام والشـــكوك لو تيسرت له مقابلته ... مرة واحدة !

ثم أوضح لى انه لايريد أن يبدأ مع الملك سياسة وفاق ، أو تعاون ... ولـكنه يريد أن يشيع جوا من الطمأنينـــة فى نفس الملك ، يجنب به سفينةالاخوان أية عقباتتعترضالطريق

وقصد الى هدفه بعد ذلك مباشرة ، فقال لى : أنت تعرف يوسف رشاد

قلت له : نعم... اعرفه ، وبينىوبينه صداقة كبيرةومودة

فقال : ويوسف اليوم ذو حظوة ، فلو استطعت أن تشرح

له هـدف ... وان تفهمه اني لست خطرا على الملك ، ولا أريد أن اكون خطرا ، لامكنه اقناع الملك بمقابلتى ...

واجبته انا : أحاول ...!

ومضيت فى تلك الليلة ، ابحث الامر بينى وبين نفسى ... هل اقوم بهذه الوساطة ، وكيف أقوم بهـا ... وما مدى مايمكن أن يترتب عليها . وكنت اذ ذاك لا ازال هاربا أعيش متنكرا ، واتحاشى الظهور فى أى مكان

ولـكنى مع ذلك .. ذهبت الى يوسف رشاد .. وابلغته رسـالة حسن البنا ، فنـاقشنى فيها ، ثم وافق على ان يلعب هذا الدور

الملك يخشى وكيل الوزارة

وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى : لقد فاتحت الملك فى هذا الامر ، فى محادثة تليفونية بينى وبينـه واذا به يقطع حديثى قطعا ويوجهه وجهة اخرى ... وقابلته بعد ذلك فقال لى :

ـ كيف تكلمنى تليفونيا فى امر كهـذا ، ألا تعلم ان حسن رفعت يراقب التليفونات ؟!

ودهشت انا عند سماع هذه الـكلمة .. فقد فهمت منها انه يخشى المراقبـة ، حتى من حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية المصرية !

وعاودت الالحاح علىيوسف رشاد بعد ذلك وفىهذه المرة، استطاع يوسف أن يحصل على اذن من الملك ، بأن يقابل هو أولا حسن البنا ، ويستمع اليه ... وينقل حديثه الى الملك ليرى ان كان يقابله ...

وكدنا نحدد موعد المقابلة بين حسن البنا ويوسف رشاد ... وفى احد الايام كنت فى منزل يوسف رشاد فدق جرس

التليفون وكان الملك هو المتكلم ... واستمع يوسف لحظات قصيرة .. ثم قال حاضر ... وانتهت المكالمة ... ونظر الى يوسف وقال لى : ان الملك يقول :

ـ الغ كل ماقلته لك بشأن حسن البنا ..

ويئست انا من المحاولة ، وخصوصا انى كنت أقوم بها فى حالة تنكرى واختفائى ... وأبلغت حسن البنا بيأسى ...

ومرت أيام .. وسقطت الاحكام العرفيــة ، وبدأت أظهر من جديد ..

اتحاد الــكلمة

وكنت فى بيتى بعزبة النخل فى احدى الليالى ، عندما أقبل حسن البنا ، ومعه المرحوم محمود لبيب ، فتناولا معى طعام العشاء ...

وأخذ حسن البنا يتحدث عما يمكن أن تجنبيه البلاد اذا ما اتحدت الــكلمة ، وهدأت شــكوك الملك فى الاخوان ... ولــكنه كان فى هذه المرة شــديد التحفظ يكتفى بالتلميح عن التصريح ، لوجود المرحوم محمود لبيب ...

وفهمت انا انه يريد منى أن أعاود الــكرة ، والح فى تدبير مقابلة له مع الملك ... فلمحت له بدورى ، بأنى سأفعل ..

وفى اليوم التالى ، قصدت الى الاسكندرية ، فقد كان الملك هناك فى تلك الايام ، وكان يوسف رشاد الىجانبه ، وتحدثت مع يوسف رشاد فى الامر واقنعته بمعاودة المحاولة

وبذل يوسف رشاد جهدا كبيرا مع الملك ...

وضحى فى سبيل ذلك تضــحية .. كانت كبيرة فى ذلك الوقت !...

فقــــد غضب منه الملك ، واقصاه عن صحبته عشرة أيام

طوال .. وعندما عاد يقربه ، قال له : اياك أن تفاتحنى مرة أخرى فى هذا الموضوع !

اخلاص حسن البنا

وللتاريخ بعد ذلك اذكر ، أن الملك فى يوم من الايام ، قد دعا اليه يوسف رشاد ، وطلب منه أن يتصل بحسن البنا ، وان يستمع الى ما كان حسن البنا يريد أن يقوله له ..

والتقى يوسف رشاد بحسن البنا وتحدث معه ثلاث ساعات

وقال لى يوسف رشاد ، انه خرج من هذه المقابلة ، مقتنعا تماما بخلوص نية حسن البنا نحو الملك .. وانه ذهب الى الملك فنقل اليه كل شىء ... واذا به يفاجأ بالملك يقول له حسن البنا ضحك عليك !!

وحاول يوسف رشاد ان يدافع عن نفسه ، وان يقنع الملك بأنه ليس بالساذج الذى يضحك عليه الناس ... ولكن الملك فنقل اليه كل شىء ... واذا به يفاجأ بالملك يقول له ضحك عليك ..

هذا ما قاله لى يوسف رشاد ...

وقال لى ايضا بعد ذلك بأعوام ، ان الملك فى أواخر عهد ابراهيم عبد الهادى قال له :

ــ احنا غلطنا فى ضربة الاخوان . وحقنا نرجع لسياستنا القديمة ...

الله أعلم !

وسألت يوسف رشاد ، وما هى السياسة القديمة ؟... فقال :

ــ صدقنى ....أنا لا أدرى ... ولكن يبدو أن صلة أخرى قد حدثت بين حسن البنا وبين الملك عن طريق غير طريقى .. وان الملك قد اتخذ لفترة قصيرة خلال عام ١٩٤٦

موقفا معينا من الاخوان ... ثم عدل عنـــه بعـــد حرب فلسطين ...

قال لى ذلك ... ثم قال : والله أعلم ...

هذه هى العناصر التى كانت فى الاجواء خلال الفترة بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ وفى هذه الفترة ، كان جمال عبدالناصر قد بدأ خططه الجديدة



خطوط الثورة

- يوم السلام وسلطان الظلام ...
- الجيش والشعب مظلومان !
- الملك والاحزاب فى خدمة الاستعمار
- من الذى تقدم لحماية الملك .. ؟
- الفساد والرجعية والحزبية البغيضة .!
- لا بد من قوة تقضى على الاقطاع ..

يستطيع قارىء هــذه الصفحات ان يبدأ من هنا فصـــلا جديدا كاملا من تاريخ هذه الثورة

وهـــو فصـــل يختلف فى كثير عمـــا تضمنته الصفحـات السابقة ... فحيث قام التمهيد الاول ، للثورة ، على اساس أكثره عاطفى، وحيث استطاعت الظروف والاحداث والتقلبات السـياسية ان تكون عاملا اســاسيا فى دفع خطواتنا الاولى وتوجيهها .. واملاء اعمــال واتصـــالات معينة علينا .. فان الشطر الثانى من هذا التمهيد الطويل للثورة ، او الفصل الثانى الذى نبدأ تاريخه اليوم يتميز اول ما يتميز بسيطرة العقـــل على كل خطواته ، التى بدات تقوم على اساس معين مدروس ، ولهدف محدد مدروس .. وفى تتابع منطقى ، لا صلة للاحداث الوقتية به ، اللهم الا صلة العوامل المساعدة على زيادة الوعى بين عناصر الشعب والجيش ، وبعث اليقظة الحقيقية ، واشعار الافراد بأن القضية قضية كل منهم .. واشــعارهم بضرورة الثورة ..

وان كانت الصفحات السابقة ، قد حوت أعمالا ، واتصالات، أساسها انفعالات فردية أو شبه فردية بالاحـــداث ... فلن تضم الصفحات التالية سوى أعمال ، تنظيمية ، تنتفى منهـــا الروح الفردية ، ويسيطر عليها عقل التشكيل المنظم ، ونتائج المناقشـــات والابحـــاث بين العناصر التى اجتمعت وتآلفت ، وحددت اهدافها

لقد آن وقت العمل الجماعى المنظم .. وبدأ جمـــال عبـــد الناصر يخرج من صمت المراقب ، الى حركة القائد الذى يعد

العدة لاكبر معركة تنتظرها مصر منذ غلبت على امرها تحت اقدام الطغاة ...

يوم السلام

لو قدر لهذا الفصل ان يوضع تاريخ لبدئه .. لامكن ان يقال انه بدا فى ٨ مايو ١٩٤٥ ، نحدد هذا التاريخ ، ولا نقصد به ان اعمالا معينة بدأت فى هذا اليوم بالذات .. وانما نعنى فقط ان هذا اليوم ، قد وضع حدا لفترة من تاريخ العالم ، تبدأ بعدها فترة أخرى .. ومصر ، كجزء من العالم ، تتأثر حتى باحداثه الكبرى كما ان ظروفها الداخلية ، كانت لا بد ان تتأثر ، بهذا اليوم ايضا

انه يوم انتهاء الحرب فى أوربا ...

اليوم الذى انتظره العالم طويلا ، وخدع به العالم كثيرا

فقد سمى يوم السلام !

وقد سمى يوم النصر !

واعتقد الناس ، او هكذا ضللهم سادة الغرب ، ان العالم قد بدأ حقبة حقيقية من السلام .. وان قوى الخير قد انتصرت فعلا على سلطان الظلام ، وان هذا الخير سيعم جميع الامصار والشعوب، وان المواثيق والعهود التى كانت تبرم وتقطع خلال فترة الحرب ، ستصبح منذ اليوم حقائق بارزة فى تاريخ الانسانية

ولم يقل احد لهم أبدا ، ان سلطان الظلام قائم فى نفس القوى التى كانت تحاربه ، وان المواثيق والعهود ، قد اعدت لاحاديث الدعاية فى اذاعاتها ونشراتها وافلامها وصحفها ، وانها ستصبح تاريخا بمجرد انتهاء الحرب . ألم نكن قد سمعنا بميثاق الاطلنطى والم نكن قد قرأنا عنه فى مئات من الصور المختلفة ، وألم تكن نشرات الدعاية واذاعاتها تقول حينئذ ان هذا الميثاق يجب ان تتضمنه محفوظات تلاميذ

المدارس ، لانه دستور الحياة والكرامة والعدالة التى تمخضت عنها الانسانية بعد ابشع مجزرة شهدتها الحياة

كنا نسمع هذا ، كما كان العالم يسمعه ، وكنا ننتظر اليوم الذى تضع فيه الحرب أوزارها ، لا ايمانا منا بصدق هذه الدعايات ، ولكن لنبدأ خطى جديدة على ارض واضحة المعالم

فقد كان انتهاء الحرب عندنا يعنى اشياء كثيرة ...

يعنى تبلور الاوضاع بصورة لا تسمح بالفروض ولا المخادعات ولا الاحتمالات .. وانما تسمح بشيئين اثنين .. لا وجود لثالثهما : العمل لمصر ... والعمل ضد مصر

ولكل من العملين طريق واضح ، ومظاهر لا تخفى على احد وليس بين الطرفين طريق وسط

هذا هو اول ما كان انتهاء الحرب يعنيه بالنسبة الينا

وكان يعنى شيئا آخر ..

كان يعنى قرب انتهاء الاحكام العرفية .. الكابوس اللعين الذى وضع مصائر الاحرار تحت رحمة مخابرات الانجليز وجواسيسهم والذى كان يتهدد كل من يحاول ان يخطو خطوة وطنية واحدة خلال اعلانها ..

وان لم تكن هذه هى الفرصة المناسبة لبدء العمل المنظم ، فليست هناك فرصة أخرى ..

ولمح جمال عبد الناصر هذه الفرصة التى كان قد فكر فيها طويلا خلال الحرب

ثم بدأ ينظم خطوطه ، ويحدد اعوانه ، ويرسم خطواته لهدف كبير

وكان جمال الذى يعمل ، هو جمال الناضج الذى مرت به تجارب السنوات الست الكثيرة ، سنوات الحرب ، وما تخللها من احداث داخلية وخارجية ، وما رآه فيها من هزات عنيفة، ومن محاولات وطنية واخرى خائنة .. ومن بطولات زائفة،

وأساليب خادعة ومن أوضاع غريبة حلت بالاحــزاب والرجعية عليه ، ومن دعايات مثيرة ، غرق فيها الشعب هــذا الشــعب تضليله لكى يكسب الاستعمار وأذنابه من الـاشه الحقيقى فى المصالح والحكام الفاسدين . عمار وحلفائه

وكان جمال يرى ان هذه الظروف والاحداث مرت بغيره مثلما مرت به .. وان هــذا الغير قـد ما تعانيه وانفعل ، واكتسب وعيا جديدا ، نشأ فى فترة الحرب أن يتجمع ... وأن يعمل وعيا فى كثير من عناصر الشعب ووعيا فى كثير من عناصر الجيش.. وعيا لا بد ان يحرك اصحابه الى عمــل معين أو اتجــاه معين .. ولا بد لكى تنجح خطى اصحابه ، أن تتجمع وأن تتوحد وان تتحد اهدافها

الجيش والشعب

وكان أيضا يرى عقبات فى الطريق

فعلى الرغم من ثقته بأن العنــاصر الواعيــة فى الجيش ، تسيطر عليها نفس الافكار والمبادىء التى تسيطر على العناصر الواعية فى الشعب .. وعلى الرغم من شعوره بأن ما يسخط منه أفراد الشعب وجماعاتهم هو عين ما يسخط منه ضباط الجيش وجنوده .. وعلى الرغم من ثقته بأن المعركة التى يجب أن تبدأ هى معركة الجيش والشعب معا .. الا انه كان يشعر بانعدام ثقة الشعب فى الجيش وانعزال الجيش انعزالا ظاهرا عن قضايا الشعب ...

فقــد كانت صــورة الجيش فى ذلك الوقت هى صــورة « الكرباج » الذى يلهب به الطغاة ظهور ابناء الشعب ، وهــو سيف التهديد الذى يملكه الحاكم ويملك ان يسخره ضــد هذا الشعب كلما ثار او سخط

انها الصــورة التى رسمها الانجليز وشاركهم فى اظهارها ،

المدارس ، لانه دبها ، حلفاؤهم : القصر ، والاحزاب
عنها الانسانية ، لا يخشي الملك، لا لانه مقدس، او لان القانون
كنا نسمع لانه القائد الاعلى للجيش ، والمسيطر على
الذى تضع فمر فيه والناهى ..
الدعايات ، ظلوم ...
فقد كا مظلوم ..
يعن. ن جيش مصر اجنبيا عن ابنائها ، ولم يكن جيشا من
المخيت او المرتزقة .. ولكنه كان جيشا من الشعب ...
مشاكله هي نفس مشاكل الشعب ..

ولم يكن الشعب يجهل هذه الحقيقة ولكنه كان يضلل عنها باساليب كثيرة وفى مناسبات متعددة ، تجعله يخشى جيشه ، وكانه جيش احتلال

كانت هذه هى الحقيقة الاولى فى الموقف .. ان الشعب يعتقد ان هذا الجيش هو جيش فاروق لا جيشه ... وانه يائس من امكان القيام بالثورة الكبرى ، لان الجيش عندئذ لن يثور فى صفوفه ، ولن يقاتل دفاعا عن مطالبه . وانما سيقف فى وجه ابنائه يضربهم بالحديد والنار ، ويحطم معنوياتهم ، وينصر عليهم الظالم والطاغية والمحتل

وكان حاجزا ليس من اليسير تحطيمه ، فليس من اليسير ان تخلق ثقة وايمانا ، حيث لا ثقة ولا ايمان

وكان هناك الى جانب هذا العامل حلف آخر كبير .. جمعت عناصره مصالح مشتركة كثيرة

وكان هذا الحلف ، يجمع بين الملك والاحزاب ، والرجعية، ويعمل بوحى الاستعمار ، او يعمل لصالحه

وقد لا نذهب وراء الاستنتاجات كثيرا .. فنتهم عناصر هذا الحلف بالخيانة العامدة .. ولكن شيئا فى الوجود لا يستطيع ان ينفى عن هذه العناصر جميعا ، انها كانت تخدم الاستعمار، ضالة .. او عامدة

فاما الملك .. فقد كان عامدا متعمدا ١حـزاب والرجعية
الفهم كان الملك قد عـرف تماما ان الهوة سهـذا الشـعب
هذا الشعب .. وكان الذين حوله ، من الحانه الحقيقى فى
والرواد الخائنين .. قد أقنعوه تمـاما ، بأن عمار وحلفائه
ناحيته الى الشعب ، سيزيد من نهم هذا الشعب
وان هذا الشعب ان لم يضرب بالسياط سيتغول ٠ما تعانيه
الى خطر داهم عليه وعلى اسرته وعلى عرشه ايضا

وكان حسنين يقول بلسان الملك : « لقد عرض الملك سر
فى الطريق فلم يتقدم لانقاذ هذا العرش احد من ابناء شعب
مصر » ...

وهو يعنى يوم ٤ فبراير ، حينما تحدى الانجليز .. فلما
انتصر الانجليز عليه وعين النحـاس رئيسـا للوزراء ، هتف
الشعب للنحاس ولم يلتقط عرشه الذى القى الانجليز به ..
فى الطريق !

وكان حسنين يبرر بهـذا مسلك الملك ، الذى بدا من
تقربه للانجليز ، وخضوعه لاوامرهم وبيعه نفسه لهم ...
فالملك بحاجة الى من يحميه ... وقد اثبت الشعب ، فى ٤
فبراير انه غير مستعد لحماية الملك

احزاب الاقلية

وكان فى هذا الحلف مع الملك .. احزاب الاقلية ، التى لم
تحلم يوما بالوصول الى مقاعد الحـكم عـن طريق انتخـابات
نزيهة بريئة من التزوير ، وكانت هذه الاحزاب منذ نشـأت
تعرف أن طريقها الى الحكم هو الايقاع بين حزب الاغلبية وبين
الملك ، والاعتماد على قوى السلطة المحتلة والسلطة الداخلية
فى حكم البلاد

وكانت لذلك تأتى الى الحكم بفيضة كريهة ، وتذهب عنه
مشيعة بلعنات شعب مصر ..

المدارس ، لانه دبها دخلت عليه عوامل جديدة بعد ٤ فبراير
عنها الانسانية .ه الاحزاب فرصتها لتضليل الشعب بما
كنا نسمع طنية الملك ، ومن انها تأتي الى الحكم ، لتنتقم
الذى تضع نية من قبول حزب الاغلبية الحكم على حراب
الدعايات ،

فقد بدا الشعب يتعرض لحملة تضليل كبيرة مثيرة
بعد بيه احزاب الاقلية ، متحالفة مع القصر .. مع الملك
المخ ه ورواده وحاشيته

أما حزب الاغلبية .. فقد اغرق فى الفساد ، وداخلته
شياطين الشهوة فضم اليه الاقطاعيين والسماسرة .. وربط
بمصالحهم مصيره ، وبدا هو الآخر ينعزل عن تمثيل الشعب ،
تمثيلا صحيحا يقوده به الى اهدافه الحقيقية

لقد تمثلت ديكتاتورية الاغلبية فى أبشع صورها وأصبح من
العبث التفكير فى اصلاح هذا الحزب بعد أن قوض بنفسه
الاساس الشعبى الذى يقوم عليه ..

ولم يكن هذا وحده هو كل شىء فى الجانب الآخر ، كانت
هناك أيضا حملة الرجعية المتجرة بالقيم الروحية لشعب مصر

وشعب مصر شعب مؤمن متدين ولكن الايمان والتدين
شىء ، ومحاولة استغلال هذه الحقيقة العميقة فى الشعب ،
استغلالا يحولها عن الغاية السامية منها تحويلا كاملا .. شىء
آخر

فالايمان والتدين خيران اصيلان فى طبيعة شعب مصر

والاتجار بالدين شر مستطير يخلق للدين أهدافا غير
اهدافه ، ويجعل منه عاملا رجعيا يستتبع الجمود والتحجر،
ويفسد الجماعات

أمراض الشعب

ولكن هذا هو الموج المتلاطم الذى كان يحوط سفينة
الشعب

استعمار قائم .. احلاف من القصر والاحـزاب والرجعية .. ودعايات تنصب انصـبابا فوق رؤوس هـذا الشـعب المسكين ، وكلها تحـاول ان تنحرف به عن دوره الحقيقى فى المعركة الىادوار كثيرة أخرى تخدماهداف الاستعمار وحلفائه المستترين والظاهرين

وفوق هذا كله .. فهناك جبهة الشعب ايضا ، وما تعانيه من أمراض

امراض وراثية بعيدة الغور متأصلة الجذور

امراض اورثه اياها ذله الطويل تحت سياط الاقطاع والملوك والطغاة وجيوش الاحتلال

امـراض منها التردد ، ومنها النفاق ومنها الاستسـلام للواقع ، ومنها الخوف .. ومنها ، ومنها .. ومنها !

أمراض لا سبيل الى بعث هذا الشعب ، الا باستئصالها ، ولا سبيل الى استئصالها الا بازاحة اسبابها من الطريق

لا بد من قوة

فلا بد اذن من قوة تعمل لازاحة هذه الاسباب ...

لا بد من قوة تزيل من البلاد الملكية الطاغية لتزيل بعد ذلك آثارها

ولا بد من قوة تقضى على الاقطاع قضـاء مبرما لتستطيع بعد ذلك ان ترفع مستوى الشعب ، ومعنوياته ، وتزيل منها اثار الخضوع والخنوع والاستسلام والخوف ..

ولا بد من قوة تقود الشعب كله للذود عن حقوقه وحريته المقدسة التى سلبها منه الاستعمار قرونا وقرونا حتى فقـد الشعب الامل فى الخلاص منه ... او كاد يفقد هذا الامل

ولا بد من قوة تستطيع أن تقف فى وجـه الاحزاب التى تستغل الشعب لتخدم مصالحها ومصالح الانجليز ، وتقف فى

وجه الرجعية التى تضلل الشعب ، وتنحرف به عن طريقه الذى رسمته له فطرته السليمة طوال القرون الماضية ، وتثبت اقدامه فى طريق التطور والنهوض

لا بد من قوة تصنع كل هذا .. لتصل بالشعب الى الامل الذى يراوده : ان يحكم نفسه بأيدى ابنائه ، وأن تكون له بنفسه الكلمة العليا فى مصيره

ولم تكن هناك قوة تستطيع أن تقوم بهذا العمل ... غير الجيش

الجيش الذى لا يثق به الشعب ، والذى يعتبره سوطا يلهب ظهره بأمر الطغاة ، والذى استطاع الاستعمار واعوانه أن يعزلوه عزلا كاملا عن الشعب الذى ينبت منه

هذا الجيش الذى كان يطمع الشعب فى معونته ، ولكنه وجد نفسه بمنأى ومعزل عنه

وبدأ جمال يرقب هذه الجبهات ، الاعداء ، والملك ، والاحزاب ، والرجعية ، والانحلال الذى بدأ ينخر فى عظام الامة ...

ووضع جمال عبد الناصر هذه العوامل والقوى جميعا امام ناظريه .. ثم بدأ ...

بدأ يرسم الوسيلة.. ويضع الخطوط، ويعد التنظيم الذى يستطيع ان يقود الجيش الى معركته الكبرى باسم الشعب

بدأ يصنع ذلك ، فى الفترة التى تلت يوم ٨ مايو ١٩٤٥ .. يوم النصر كما اسماه الانجليز

اللجان الخمس

- فتحنا دكانا لبيع الزجاجات القديمة
- الادارات الثلاث
- كان سلاحنا زجاجات مولوتوف
- الذين « وصموا » بالكفاح الوطنى
- كانت الصداقة هى اساس التشكيلات

بعد الدراســـة المستفيضة التى قام بها جمال عام ١٩٤٥ للموقف ، وما يحيط به من ظروف وملابسات قرر ان يبدأ العمل الداخلى فى الجيش

والذين يعرفون « جمال » يعرفون انه رجل لا يبدأ عمـلا حتى ينتهى تماما من بحث جميع تفاصيله ، ولا يخطو خطوة حتى يدرس الارض التى سيخطو عليها ، ويتبين جيدا معالم طريقه يدرس قبل كل هذا ، ما سبقها من خطى ...

ويوم قرر جمال أن يبدأ عمله التنظيمى الجـديد ... كان كمن يقف فى منتصف طريق متصل .. وراءه خطوات تتلاشى مع الليل ، وامامه خطوات تبدو مع النهار ..

وكان لا بد له أن يسلط اضواءه القوية على الليل الطويل من خلفه ، ليدرس كل خطوة من الخطى السابقة فقد تعود ان يستفيد من هـذه الدراسات وان يكسب كثيرا من التأمل فى أفكاره السابقة ، وفى افكار الآخرين

وقد كان هناك شـبه تنظيم حركى لنا ، قبل عام ١٩٤٥ وكان هـذا التنظيم المبدئى ، هو أول شيء أكب جمـال على دراسته ، يوم أراد ان يبدأ العمل الجديد

كنا قبل عام ١٩٤٢ قـد انتهينا فى تنظيم أنفســنا ، الى تشكيل خمس ادارات رئيسية ، تنفرد كل منها بدور خاص فى خدمة التشكيل ..

وكانت هذه الادرات على التوالى هى :

١ ـ الادارة الاقتصادية

٢ ـ ادارة التشكيلات

٣ ـ ادارة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية
٤ ـ ادارة الارهاب
٥ ـ ادارة الامن

وكانت ظروف كثيرة قد اقتضتنا ان ننشىء هذه الادارات الخمس ، لنحقق عن طريق كل منها هدفا معينا ..

وقد نجحنا فى بعض ما أملناه منها وفشلنا فى بعضه الآخر ...

ولكنها جميعا قد قامت بواجبها فى ظروف الحرب القاسية ، واستطعنا عن طريقها أن نحقق كثيرا من الاعمال التى كنا نقررها

وقد تبدو اسماء هذه الادارات اسماء ضخمة ، فيخيل لسامع كلمة « ادارة الاقتصاد » او « الادارة الاقتصادية » مثلا ، انها كانت ادارة منوطة ببحث المسائل الاقتصادية او المالية للبلاد او تصميم السياسة الاقتصادية المستقبلة عند نجاح فكرتنا ..

قد يبدو شيء من ذلك .. وعندئذ تبدو مهمة هذه الادارة عندما نفصح عنها ضئيلة هزيلة ..

فقد وجدت هذه الادارات لتكون فى خدمة التشكيل وحده ، من حيث هو تشكيل عسكرى داخل الجيش ...

وكانت لكل منها اهمية قصوى ، عند انشائها ، والى كل منها يرجع جانب من نجاح هذا التشكيل فى الاحتفاظ بكيانه خلال سنوات الحرب ، وما يحيط بالكفاح فيها من خطر ..

وسأضع امام القارىء هنا صورة لكل من هذه اللجان ، او الادارات ، ووظائفها واهدافها ..

الادارة الاقتصادية

نشأت فكرة هذه الادارة نتيجة للواقع الذى درسناه فى ماضى المكافحين والذى توقعناه لانفسنا ..

فالذى يدرس تاريخ الكفاح الوطنى فى مصر ، والذى يدرسه فى بقاع الارض جميعا ، يعرف دون مشقة كبيرة ، ان من أهم العوامل التى تعوق المكافحين عن مواصلة الكفاح ، والتى تثبط همم المقبلين عليه لقمة العيش .. لقمة العيش التى لا يغرى الحصول عليها ، ولكن يرهب الحرمان منها

ولنحصر انفسنا فى تاريخ مصر لنرى صور المكافحين الذين سبقونا ، وكيف جعل الاستعمار وحكوماته منهم عبرا ، ورموزا للشقاء ، ترهب كل من تحدثه نفسه بالكفاح ..

فقد كان من « يوصم » بالكفاح الوطنى ، ينظر حوله فلا يجد يدا تمتد اليه ..

لا يجد عملا فى حكومة ، ولا فى شركة من الشركات .. ولا رعاية من اصحاب الوطنية والمتجرين بالكفاح ..

وانظر الى الذين حكم عليهم بالسجن سنوات كثيرة وصلت الى حد الاشغال الشاقة المؤبدة فى عام ١٩١٩ وما تلاه من اعوام الثورة المصرية المجيدة ..

منهم من عفى عنه قبل ان تنقضى مدة عقوبته .. ومنهم من قضاها كاملة فى الشقاء ..

فانظر الى الفريق الاول ، تجده قد انقسم طائفتين : طائفة غنمت الغنم كله فأصبح منها الزعماء والحكام والثراة واعضاء مجالس الشركات الكبرى والمساهمون فيها وحملة الالقاب والرتب والنياشين ..

هذه طائفة ...

وطائفة غرمت الغرم كله .. خرجت من السجون لتجد تعاسة الحياة .. لتجد عقوق الوطن والاصدقاء وزملاء الكفاح لتعيش مشردة تسعى الى لقمة العيش ، فان لم تجدها ــ وما وجدتها ــ فى رعاية الوطن ، ذهبت تقتاتها فى معسكرات الانجليز !

واما اولئك الذين خرجوا من ظلام السجون بعد انقضاء مدة عقوبتهم .. فياويلهم ..! خرجوا للنسيان والتشرد .. خرجوا اشبه بفاقدى الرشد .. تزوغ اعينهم فى جنبات الوطن .. لترى الشباب يهتف للزعماء ، ويهتف للحرية .. ولو نظر امام عينيه لرأى كيف يكون عقوق الزعماء ، والى اى مصير ينتهى رواد الحرية والمكافحون عنها ..

وكانت هذه الامثلة كلها امام اعيننا فى تلك الفترة التى اقدمنا على اجتيازها بجراة الشباب ، وحماسة الذين وهبوا للجهاد انفسهم ..

وقلنا اننا بشر ..

واننا لا نريد ان يتعرض احدنا لمثل ما تعرض له هؤلاء المساكين ..

وان علينا ان نتدبر امر تمويل هذا التشكيل بحيث يصبح قادرا على اعالة اى فرد منه يتعرض لنكبة من هذه النكبات ..

ونشأت هذه اللجنة .. لجنة كل مهمتها جمع المال ، واختزانه ، واستثماره — ان امكن — بوسائل مأمونة لاتكشف عن حقيقتها ، لكى لا نسير فى طريقنا ، وظهرنا من هذه الناحية مكشوف ..

وبدات هذه اللجنة تكون لها راس مال ..

وبدأته فى حقيقة الامر على حسابنا ..

فكلفتنا ان يضغط كل منا ميزانيته ضغطا شديدا ليرى كم جنيها — او كم قرشا ! — يستطيع ان يقتطعه من مرتبه كل شهر لصالح التشكيل ..

وفعلنا ...

وكلفتنا بعد ذلك ، ان يستدين كل منا على مرتبه قيمة شهرين من احد البنوك ، كما يفعل كثير من الموظفين ..

وفعلنا . اى فعل اعضاء التشكيل جميعا الا انا فقد اعفتنى

اللجنة من هـذا التكليف لانى اذ ذاك كنت المتزوج الوحيـد بين اعضاء التشكيل ، وكنت انفق على اولادى وزوجى من مرتب « اليوزباشى » المعروف ..!

وعلمت اللجنة ان الفريق عزيز المصرى قد باع محصـول حديقته من ثمار المانجو بخمسين جنيها فاستولت على هذه الجنيهات الخمسين !

ولم تجد وسيلة للتمويل السريع بعد ذلك .. فاكتفت !

وكان يمكن لراس المال البسيط ، الذى جمعناه حينئذ ان يكون نواة لابأس بها لتمويلنا . ولكن عام ١٩٤٢ جاء بأحداثه التى قررنا خلالها الاسـتعداد لابادة الانجليز العـائدين من العلمين .. وكانت وسيلتنـا الى ذلك الزجاجـات المعروفة بكوكتيل « مولوتوف » والقنابل والمسدسات المصنوعة محليا ، والمفرقعات ..

وكانت المشكلة فى هذه الخطة ، هى مشكلة الحصـول على الزجاجات الفارغة .. فوظفنا لذلك راس المال .. ثم فكرنا فى كيفية استخدامه ..

وكان ان فتحنا « دكانا » لتجارة الزجاجـات الفـارغة ، واجلسنا فيه رجلا امينا ، اخذ يتعرف ببائعى الزجـاجـات الفارغة المتجولين .. حتى عرفوه واعتادوا ان يعودوا اليـه آخر كل نهار ، بما جمعوه من الزجاجات الفارغة ..

ولم يكن هذا الفيض يكفى ، فذهبنا الى سوق الزجـاج بشارع كلوت بك وابتعنا منه ما يلزمنا ..

كنا بحاجة الى عشرات الالوف من الزجاجات الفارغة ... وكان راس المال الصغير الذى جمعته لجنة الاقتصاد هو الذى مكننا من اتمام هذه العملية ..

وعلى الرغم من ان المـال الذى جمعته هـذه اللجنة لم يستثمر ، ولم يستعمل فيما جمع من اجله .. الا ان وجود

هذه اللجنة كفكرة ، ظل ماثلا امام جمال عبد الناصر وهو يعد عدته للتنظيم الجديد ..

لجنة التشكيلات

واللجنة الثانية ، او الادارة الثانية ادارة التشكيلات ..

وكانت لهذه الادارة اهمية خاصة نظرا للعمل الخطير الذى كانت منوطة به ..

فهى التى كانت تجمع العناصر التى يمكن ضمها الينا من ضباط الجيش فى مختلف الاسلحة ..

وهى التى كانت تبوب هـذه العناصر باعتبار اسلحتها واختصاصاتها وتكون منهم الخلايا والتشكيلات المختلفة ..

وهى التى كانت تراقب مدى تقدم التشكيل او تأخره بما لديها من المعلومات الدقيقة عن عدد الضباط الذين ينضمون الينا ، والذين يخرجون علينا .. ومعرفة أسباب زيادة الاقبال على التشكيل أو نقصه ..

وكانت هذه اللجنة هى وحدها التى تعرف جميع الضباط الذين يناصروننا ، وهى وحدها التى تعرف ــ فعلا ــ مدى قوتنا ..

فعلى الرغم من اننا حرصنا منذ البدء على ان يضم تشكيلنا ضابط من كل سلاح يكون مسئولا عن صلة سلاحه بالتشكيل الا ان هذا الضابط نفسه لم يكن فى اكثر الاحيان يعرف اكثر ضباط سلاحه ، لانهم ليسوا من دفعته .. او لانهم لم يخدموا معه فى مكان واحد ..

اما هذه اللجنة فكانت مهمتها ان تعرف الجميع .. وان تجمعهم لا على اساس اختبارات الجمعيات السرية المختلفة ولكن على اساس الصداقات القائمة بينهم وبين بعضهم ... فقد كان اساس تشكيلاتنا ، هو الصداقة التى تخلق الثقة وتنفى الشكوك ..

وكان مفروضا ان تنتهى مهمة اللجنة عند هذا ، وان تحيل امر الضباط الذين يخرجون على التشكيل الى لجنة الامن ..
ولكننا لم نكن تقدمنا فى اساليبنا فى الفترة الاولى الى هذا الحد ...
وكانت هذه الصورة للجنة التشكيلات هى التى وجدها جمال امامه .. عندما بدأ تنظيمه الجديد ..

لجنة الدعاية

واللجنة الثالثة كانت لجنة الدعاية والاتصال بالكتل الشعبية
ولم تكن هذه اللجنة تفتعل الدعاية ولا كانت تلجأ الى الاساليب الشائعة فيها كطبع المنشورات او مراسلة الصحف
وانما كانت تساير الاحداث لتثير مناقشات عارضة تستعرض فيها الحالة العامة ، فى جلسات الضباط فى « ميساتهم » او بين الشلل المختلفة فى منازلهم ..
وكانت الحوادث التى تقع فى تلك الفترة الكثيرة الاحداث ، هى التى تدفع بدعايتنا كثيرا الى الامام ..
ومن اهم الحوادث التى استغلتها لجنة الدعاية حادث تسليم فرنسا عام ١٩٤٠ وما تبعه من انعزال انجلترا ووقوفها وحيدة امام العدو ، مما كان يثير حماسة الضباط لكل فكرة تقول بضرب انجلترا فى محنتها ، لانها لن تسلم بمطالبنا ، ولن تخرج من بلادنا الا وهى مرغمة صاغرة ..
ومن الاحداث التى دفعت بدعايتنا كثيرا الى الامام ايضا فى تلك الايام حادث الامر الذى صدر الينا بتسليم أسلحتنا للانجليز ، ورفضنا هذا الامر ، وحادث خروج على ماهر بعد بيانه المعروف .. ثم اخيرا حادث ٤ فبراير الذى غطى على كل ما عداه !..
هذا من حيث الدعاية داخل الجيش اما الاتصال بالكتل الشعبية فقد كان هم هذه اللجنة ان تقوم بعملية موازية تماما

لعمليتها الاولى داخل الجيش .. وهذه العملية الجديدة ، هى جس نبض الكتل الشعبية ومعرفة اتجاهاتها ومدى تأثرها بالحوادث المختلفة .. ونوع هذا التأثر ، ومدى استعدادها للمعركة ..

وعن طريق هذه اللجنة تعاونا حينا من الزمن مع بعض شباب الحزب الوطنى كما عرفنا عن طريقها الاستاذ عبد العزيز على وكان اذ ذاك لايزال مسيطرا على الجهـاز السرى للحزب الوطنى الذى شكله بنفسه عام ١٩١٩ .. وقد ظل يتعـاون معنا بعد ذلك لفترة طويلة .. وافدنا من معونته كثيرا ..

وكان هذا هو كل عمل هذه اللجنة حينما بدأ جمال يضع تنظيمه الجديد ..

اما اللجنتان الاخيرتان ، وهما لجنة الارهاب والامن فانه لم يحن بعد الوقت لشرحهما وتسليط الاضواء عليهما ..



اللقاء الأول

بين عبد الناصر وعامر

- مولد الثورة بين الخرطوم وام درمان
- جهلاء فى منصب القيادة !
- ((فكرة الحياة)) لا تختفى ..
- خمر بأمر القائد !..
- هروب من النافذة !..
- خطة ماكرة !..

بهذه الحلقة يبدأ الطور الثانى من اطوار التمهيد لثورة ٢٣ يوليو .. وهو الطور الذى بدأه جمال عبد الناصر ، بعد التجارب العديدة التى مرت بنا فى تلك السنوات الاولى المليئة بالمخاطر والمشقات ..

وان كان جمال قد اشعل الجذوة فى ليالى منقباد .. وان كانت هذه الجذوة قد ظلت مشتعلة بأيدينا ، نلهب بها سواد الاعوام المظلمة .. فقد ظل جمال مراقبا لهيبها مسجلا لانتصاراتها ، مستفيدا من تجاربها ..

وكان فى صمته ، خلال نقله الى السودان ، وبعد عودته من هناك يعد لجذوة اخرى لا يظهر ضوؤها ، ولا يفرغ زيتها .. جذوة عاقلة حكيمة لا تشعل النار ولكن تضىء الطريق ..

وفى خلال الاعوام التى كنا فيها نظهر لنختفى ، ونختفى لنظهر .. كانت عينا جمال الفاحصة تبحث عن الرجال والاعوان ..

ولعل انتصاره الاول فى هذا الميدان .. كان لقاؤه لعبد الحكيم ..

وبقصة هذا اللقاء .. يبدأ هذا الطور ، من اطوار التمهيد للثورة ..

الى السودان

السودان ...

السودان .. الذى يهرع اليوم شيقا للقاء مصر .. وتهرع مصر للقائه جذلى .. كان فى تلك الايام منفى المغضوب عليهم من رجال الجيش ..

ولا يسأل احد : لماذا كان السودان منفى ؟ ! فهكذا كان .. وكانت اسوان ايضا منفى .. والعريش .. والصحراء الغربية وكل بقعة خلا القاهرة .. والاسكندرية !

وفى الجيش ، كان الملازم جمال عبد الناصر ضابطا صغيرا مغضوبا عليه .. فمنذ ايام منقباد وثورتنا على الاوضاع هناك .. على البعثة الانجليزية .. وعلى اللواء المصرى الذى كنا نسميه السلطان عبد الحميد .. منذ تلك الايام المجيدة من اعوام الشباب .. كسب جمال كراهية القومندانات .. وحقدهم .. وتوقعهم الفرصة لايقاع الاذى به ..

وكان معروفا ان الكتيبة الثالثة ستتحرك الى السودان..

وعندما يقترب رحيل كتيبة الى السودان ، يرسلون الى الكتائب الاخرى فى انحاء الديار ، لكى تبعث اليهم بأسماء « المغضوب عليهم » من ضباطها .. لكى يساقوا الى المنفى يوم الرحيل ..

ولكنه لم ينتظر ان ترسل به كتيبته الى المنفى .. وانما سارع بنفسه يقدم اسمه ، ليكون بين الراحلين ..

ودهش اخوانه لهذا التصرف .. وكانوا يحبونه ، ويحبون ان يبقى بينهم ..

ولكنه كان قد رسم لنفسه طريق السير .. وكان قوة مجهولة تدفعه دفعا الى زيارة شطر الوادى الحبيب .. واستقراء الحقيقة فيه ..

عبد الحكيم ... هناك

وكانت الكتيبة الثالثة التى تتهيأ للرحيل ، لا تزال فى المكس بالاسكندرية وكان على جمال ان يمضى الى الاسكندرية ليلتحق بها ، ثم يرحل معها الى ارض الجنوب ..

وفى ليلة السفر الى الاسكندرية ، التقى به الصاغ عثمان

نصار من ضباط كتيبته ، وكان من اصدقائه المخلصين ... وسأله :

ـ اترحل غدا ؟..

ـ باذن الله ..

ـ هل تعرف احدا من الضباط هناك ؟..

ـ ابدا ...

ـ اسأل اذا عن الملازم عبد الحكيم عامر ، وتعرف به ..

ولعل هذا هو كل ما يذكره جمال من حديث الصاغ عثمان نصار اليه عن عبد الحكيم ..

فلم يكن جمال ممن ينشئون صداقاتهم على هذه الاسس السطحية البسيطة .. ولم يتوقع ابدا ان يكون عبد الحكيم ـ هذا ـ صديق عمره ، ورفيق جهاده الكبير ..

ولا يذكر جمال عن يوم لقائه الاول بعبد الحكيم شيئا .. ولكن عبد الحكيم هو الذى يذكر ...

يذكر ان نبأ وصول جمال الى الاسكندرية كان قد سبقه الى هناك ..

ويذكر انه قام من فوره ، وذهب يستقبله كصديق ، او زميل جديد ..

ويذكر انه قدم اليه نفسه .. ثم قدم اليه كل التسهيلات المستطاعة ..

ويذكر ايضا .. ان جمال كان « قرفانا » وانه قابل صنيعه شاكرا .. ولم يبد عليه اثر لهذه التوصية التى كان يحملها من الصاغ نصار ..

نقيضان ...

وقد تسجل الايام ان لقاء عبد الحكيم وجمال قد تم فى ذلك اليوم .. بالاسكندرية ..

ولـكن هذا اللقاء ، لم يكن شيئا ..

لم يكن هو اللقاء الحقيقى بين الصديقين اللذين لم يفترقا بعد ذلك كثيرا فى حياتهما .. واللذين ارتبطا معا بأقوى ما يرتبط به صديقان .. رباط العقل والقلب والـكفاح المشترك ..

اما اللقاء الحقيقى .. والتعارف الـكامل .. فقد بدأ فى الخرطوم ..

هناك عاشا معا .. وعرف كل منهما صاحبه ..

ولـكنهما لم يقطعا مرحلة التعارف فى يوم او اثنين ، ولا فى اسبوع او اسبوعين ..

فقد كانا نقيضين فى كل شىء ..

كان جمال شديد التحفظ ..

وكان عبد الحكيم شديد الاندفاع ..

كان جمال هادىء الاعصاب دائما .. مهما حدث ، ومهما راى .. وما اكثر ما كان يرى مما يشقى النفس الابية ..

وكان عبد الحكيم سريع الانفعال ، سريع الغضب تستفزه الصغيرة والـكبيرة على حد سواء !

والذين يعرفون عبد الحكيم اليوم ، فى هدوئه ، وصمته ، واتزانه البالغ ، قد لايصدقون هذا الـكلام ، وقد ينكرون هذه الصورة ..

ولـكن الايام التى مرت بعبد الحكيم فى اثنى عشر عاما .. والاحداث التى هزته هزا .. قد استطاعت ان تغير فيه كل شىء .. وان تبدله انسانا آخر لايعرفه اليوم من عرفه بالامس القريب ...

الاسد الهصور

واخذت عوامل كثيرة تعمل فى توطيد الصلة والصداقة بين الضابطين الصغيرين ..

وكان اول هذه العوامل .. قومندان الـكتيبة ..

كان قومندانا من نوع فريد قل ان يوجد بين الضباط مثله

فقد عرفنا قومندانات ذلك الزمان ، قططا فى ثياب اسود ..

عرفناهم اذلة للضباط الانجليز .. اعزة علينا ، نحن ابناء الفلاحين ..

عرفناهم يتحكمون فى مصائرنا واعمالنا وخطواتنا بالباطل اكثر مما يتحكمون بالحق ..

بل لعلنا لم نعرفهم يتحكمون بالحق ابدا .. ولو كانوا كذلك ما غضبنا ولا اعتبرنا صلفهم من مستلزمات الحياة العسكرية

ولكن الصلف والغطرسة ، كانا مظهر التعويض عن مركبات النقص التى كانوا يعانون منها ..

جهلاء .. فى مناصب القيادة ..

اذلة لاصغر ضابط انجليزى .. وعلى اكتافهم المزيد من النجوم والتيجان ..

وتحت أمرتهم ، شبان صغار .. كبرت بالعلم مقاييسهم ، وبالعزة والوطنية انفسهم وقلوبهم ..

هكذا كان موقف القومندانات منا ..

او هذه كانت اسباب هذا الموقف ..

ولكن قومندان الكتيبة الثالثة فى السودان ، كان يجب ان يتحكم فى ضباطه الصغار ، تحكما من نوع جديد ، لم تعرف له فى الجيش مثيلا ...

من النافذة !

كان الرجل ولوعا بالشراب .. ما يكاد المساء يقبل ، حتى يعد عدته ، لسكرة تذهب بعقله .. وتريه نفسه اسدا هصورا يملأ زئيره الفلوات ..

ولم يكن يحب الشراب وحده ..

ولم يكن يظفر بفرصة الشراب مع الانجليز ..

فكان الحل الطبيعى عنده .. ان يأتى بضباطه .. بالامر !!
وان يكلفهم بمجالسته وبمشاربته كلما جاء المساء ..

وتصوروا .. شرابا بأمر القائد .. وفى مجلس الاسد الهصور ..

لقد كان الضباط جميعا — حتى الذين يشربون الخمر منهم — يضيقون بهذا التكليف الثقيل ..

ولكن جمال ، لم يكن يضيق فقط ، بل كان يضيق ويسخط ويقاوم .. ويفسد على القائد مجلس الشراب ..

وماذا يستطيع ان يصنع ، وقد امتنع عن المشاركة فى الشراب ، فصدر اليه الامر بالمشاركة فى جلسة الشراب ..

وكانت ليلة لا ينساها جمال ، ولا عبد الحكيم .. حينما حاولا ان يتركا مجلس القائد .. فرفض وزمجر وقام الى ابوابه فغلقها ..

وتلفت جمال حوله .. وانتظر حتى شرب القائد كاسين او ثلاثة .. وبدا يصول فى المكان ويزأر ..

ثم اشار الى عبد الحكيم .. وقفز من النافذة .. وقفز عبد الحكيم خلفه .. وتبعهما الضباط جميعا ..

وعاد القائد الى مجلس الشراب ، ليجده خاليا خاويا من السمار ..

ولم يغن صراخه ولا زئيره شيئا !.. فبعد دقائق كان الضباط جميعا قد استقروا فى احدى دور السينما يشاهدون فيلما ضاحكا .. ويضحكون ..

والذى لم يضحك فى تلك الليلة هو القومندان المهيب !..

ومنذ الصباح التالى ، بدأت حرب باردة بين القومندان وبين جمال وعبد الحكيم .. فقد فهم انهما كانا راس الحربة التى فتحت الثغرة فى نافذة داره ..

وبلغ التفنن من الطرفين اقصاه فى هذه الحرب الباردة .. حتى جاء يوم تنفس فيه القائد الصعداء شيئا ما .. لان

عبد الحكيم قد هبط الى القاهرة ليلتحق « بفرقة » دراسية من فرق الجيش ..

انتفاع ...

وادرك القائد انه لم يعد امامه سوى جمال .. وان جمالا وقد اصبح وحده الآن ، لن يجد من يشاركه فى معارك كل يوم ! ..

ولكنه لم يلبث ان نكب فى فطنته .. فقد استمرت الحرب الباردة بينه وبين جمال .. وزادت فنونها ..

وفى يوم من الايام .. اصدر القومندان أمره بنقل جمال الى جبل الاولياء .. ليستريح منه ..

واستراح فعلا .. ولم يره بعد ذلك حتى اليوم ..

واتم عبد الحكيم فرقته ، وعاد الى الخرطوم .. فلم يجد « جمال » ووجد أركان حرب الكتيبة يسأله فى حذر :

ـ ماذا بينك وبين القومندان ؟..

ويجيب عبد الحكيم فى حذر ايضا :

ـ لماذا ؟ ..

فيسر اليه اركان الحرب ، ان القومندان لم يكد يعلم نبأ عودته ، حتى استشاط غضبا واصدر امره بنقله الى كسلا..

خطة ...

وكان عبد الحكيم قد عرف ان « جمال » قد نقل قبله الى جبل الاولياء .. وفهم ان القومندان يريد التخلص منه كما تخلص من جمال ..

وكان عبد الحكيم يعرف نفسية القومندان جيدا .. ويعرف ان هذا النقل ليس الا انتقاما ..

وكان يريد ان يذهب الى جبل الاولياء بدلا من كسلا بأى ثمن ..

وابتسم عبد الحكيم فى وجه اركان الحرب ، وقال له :
ـ ان « عفشى » لايزال مربوطا .. وانا احب ان اذهب الى كسلا ..
وتركه قليلا ريثما يبلغ هذا للقومندان .. ثم طرق باب القومندان ، ودخل .. ولم يكد ينته من التحية حتى ساله فى تلهف :
ـ متى اذهب الى كسلا ؟ !..
ودهش القومندان ، وقد وقع فى روعه ان لعبد الحكيم اصدقاء او اقرباء او مصالح من اى نوع هناك .. ثم زمجر وقال :
ـ من قال لك انك ذاهب الى كسلا .. انى لن ابعث بك اليها .. وستذهب غدا الى جبل الاولياء ! !
ولعل هذه كانت اول خطة من خطط عبد الحكيم الماكرة الماهرة !
وكان صباحا مشرقا عندما ذهب عبد الحكيم الى جبل الاولياء .. الى صديقه .. جمال ..

فكرة الحياة

وفى جبل الاولياء .. زادت الصداقة عمقا بين الزميلين .. واكتمل التفاهم بينهما .. فى كل شىء ..
كانا يقضيان معا سهراتهما يلعبان الشطرنج
وكانا يقضيان معا ايامهما .. فى رحلات الصيد
وعندما يذكر احدهما تلك الايام وتلك الليالى ، لايكاد يذكر الشطرنج ، ولا الصيد ، بقدر ما يذكر المشاجرات الكثيرة التى تقع بينهما ..
فليس يسيرا ان تقوم صداقة حقيقية بين هذين الرجلين دون ان يسبقها عدد كبير من المشاجرات ..
ولم يكن فى جبل الاولياء من الضباط سواهما ..

فكان جمال هو القومنـــــدان ، وكان عبد الحكيم ضابطه الوحيد ..! ولم يكن بد اذا تشاجرا صباحا ان يصطلحا فى المساء .. واذا تشاجرا مساء أن يصطلحا فى الصباح ..!

ولـكن هذه الفترة .. قد انتهت بالتفاهم التام بينهما .. وبالتفكير المتصل الموحد .. فى حالة الجيش ..

فقد اقتنعا تماما ، ان المشكلة ليست مشكلة الـكتيبة .. ولا القومندان ولا الرؤساء الانجليز ..

ولـكنها مشكلة الجيش كله .. والبلد كلها ..

وكان الحاكم العام فى الســـودان يزودهما بكؤوس المرارة والحقد على الاستعمار والاوضاع القائمة فى البـــلاد .. كان الحاكم العام فى السودان ، هو القائد الاعلى للجيش هناك ، بما فى ذلك الجيش المصرى .. وكان لايخفى احتقاره لجيش مصر ولا كراهيته للمصريين ولا نزعاته الاســتعمارية العاتيــة التى لاتقاوم ..

وما حدث فى تبات الشريف ..

حدث فى جبل الاولياء ..

انها الجذوة التى يوقدها جمال فى بساطته وعمقه واتزان تفكيره ..

انها القرار ، والتصميم الذى تتمخض عنه المناقشات معه

انها الفكرة « فكرة الحياة » التى انبعثت هنـــاك فى تبات الشريف ، قد كسبت رجلا جديدا .. عبد الحكيم عامر ..

لا بد من القضاء على الاستعمار .. بأى صــورة ، وبأية وسيلة ..

لابد من تطهير ارض مصر والسودان من هذا العار الجاثم فيهما ..

لابد من عمل شىء .. شىء عظيم ..

ومثلما حدث معنا ايام تبات الشريف..حين صدرت حركة

التنقلات فى الجيش ، فذهب كل منـا الى مكان .. حدث مع جمال وعبد الحكيم ..

فلم تلبث الاوامر ان صدرت بنقل عبد الحكيم الى منقباد وبنقل جمال الى الصحراء الغربية ..

وافترقا فى ذلك اليوم افتراقا ظاهرا .. ولـكن الصلة بينهما لم تزد الا وثوقا وقربا ، حتى التقيـا مرة اخـرى فى القـاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ .. عقب حادث ٤ فبراير المشئوم ..

وعندما التقيا .. بدات احـداث جـديدة .. لم تعرف القاهرة اكثرها .. ولـكن تسجلها هذه الصفحات ..



أوّل ثورة
فى نادى الضباط

- لحساب من كان يعمل احمد حسنين ؟ !
- خطة الحركة الاولى ..!
- احمد حسنين ينصح ...
- حناء ... وليس قنبلة ...
- معركة من نوع جديد ...
- اين الطريق .. ؟

الحقيقة التى يجب ان يدركها كل من يقرأ هذه الصفحات ، او يحاول دراسة تاريخ هذه الثورة ، والخطوات التى مر بها التمهيد لها ، هى ان الذين قاموا بها واعدوا لها ، لم يبدأوا خطواتهم بوعى كامل وانما تدرجوا فى وعيهم السياسى ، مع الاحداث والايام ..

ولعلهم احسنوا الظن يوما برجل او جماعة او حزب .. ولعلهم علقوا على هذا الرجل ، او هذه الجماعة ، او هذا الحزب املا ... ولعلهم ساروا اشواطا خلف هذا الامل ..

ثم جاءت الايام ، تكشف لهم عن حقائق لم يكونوا يعرفونها ، وجاءت الاحداث تطرق اعصابهم طرقا عنيفا يهز كيانهم هزا ، ويفتح عيونهم لادراك جديد ، ويوجه خطواتهم الى طريق اكثر وعيا ، واقرب صلة بالهدف ..

والهدف الواحد .. الهدف الكبير الذى لم يتغير ، والذى تعتبر كل الاهداف الجزئية فى تاريخ هذه الثورة ، وسائل اليه ، هو القضاء على الاستعمار ، وازالة كابوسه الجاثم فوق صدر مصر ...

وليس غريبا فى سبيل الوصول الى هذا الهدف ، ان تلتقى جماعتنا بكثير من الاحزاب والهيئات والافراد .. فقد كان هذا الهدف ، هو البيرق الذى يرفعه كل تشكيل سياسى فوق بابه ، والذى يخطف بريقه انظار الشباب المتعطش للخلاص ..

وليس غريبا ايضا فى سبيل الوصول الى هذا الهدف ، ان تنأى جماعتنا بنفسها نأيا شديدا ، عن كل وسيلة يظهر عنصر التضليل فيها ، سواء أكانت الوسيلة حزبا ، ام جماعة ، ام فردا .

وقد كانت الفترة التى بدأت بعد حادث ٤ فبراير ، فترة نشاط ثورى كبير ، لا فى جماعتنا وحدها ، ولكن هنا ، وهناك .. فى الجيش ، والجماعات ، وطوائف الشباب القومى والحزبى ، والتكتلات الصغيرة العلنية والسرية ، المدنية والعسكرية ..

وكانت هذه الفترة لذلك ، محكا للافراد والجماعات .. ومختبرا يظهر معادن النفوس وفرصة للتعارف بين المخلصين

بعد ٤ فبراير

كانت فترة عصيبة تلك التى تلت حادث ٤ فبراير ..

وكانت مجالا لنشاط كبير .. هنا وهناك ..

فقد كان الملك ــ مثلا ــ يظهر امام الشعب بمظهر الوطنى الذى تحدى المستعمرين ، واراد ان يقود شعبه الى الخلاص منهم فغلبوه على امره ، واستلوا منه سيفه وصولجانه والزموه قصره كالطير السجين ..

وكانت الاحزاب المعادية للوفد ، تحاول بنشاطها الخفى والظاهرى ، ان تكسب من تصويرها للحادث نفسه ومن نقائص الحكم الوفدى المعروفة ومن عطف الشعب على موقف الملك المطعون فى قصره ، وسيلة لاكتساب الانصار ، وبث الدعاية الحزبية ، والتمهيد للوثوب الى الحكم فى ثوب وطنى ، بعد أن كانت لا تعرف طريقها الى الحكم الا وانف الشعب راغم تحت اقدام القصر والانجليز ..

وكانت طوائف الشباب المجاهد المختلفة الاتجاهات ، قد زج بها فى السجون والمعتقلات ومستشفيات المجانين ..

وبقيت خارج الاسوار جماعة الاخوان المسلمين من ناحية ، وجماعات صغيرة ضئيلة العدد من الشباب الساخط تجتمع لتفكر ، وتزداد سخطا ، او تجتمع لتدبر امرا كهذا الذى كنا

ندبره والذى اعتقلت بسببه واعتقل معى بسببه عزيز المصرى وآخرون ..

جماعات ... واتجاهات

كنت انا اذن اعمل من ناحية ..

وكان الاخوان المسلمون يعدون انفسهم على النحو الذى تحدثت عنه فى بعض الصفحات السابقة ..

وكانت هناك اجتماعات متفرقة تعقد هنا وهناك ، تضم شبابا ثائرا ساخطا ..

فمن هذه الاجتماعات مثلا ، اجتماعات كانت تعقد فى حى الزيتون ضمت عددا من ضباط الجيش من بينهم الصاغ كمال الدين حسين وضباط آخرون ..

واجتماعات اخرى كانت تضم اليوزباشى مصطفى كمال صدقى وعددا من الضباط وضباط الصف ، على نحو سنفصله على صفحات قريبة ..

كان كل يعمل فى طريق .. وكانت اغلب الخواطر والافكار تتجه ناحية القتل والارهاب .. قتل الانجليز واعوانهم ، فلم يكن هناك متنفس حقيقى للثورة المكبوتة فى الصدور .. ولم تكن هناك آمال واضحة تدعونا الى التريث والتفكير ، او تستطيع ان تحدد خطواتنا اليها فى اتزان .. كنا قد فقدنا كل صمام يحمينا من الانفجار ، حتى صمام التعزى بالامل ..

وكان جمال وعبد الحكيم فى ذلك الوقت ، كسائر هذه الجماعات الشابة الساخطة ، يحاولان ان يصنعا شيئا ..

ولكن الميزة التى امتاز بها جمال ، ميزة الصبر والتريث والتفكير الكثير .. استطاعت ان تنأى بهما وبمجموعة اصدقائهما عن كل عمل طائش ، او خطوة غير مأمونة ..

الحركة الاولى

حتى كان عام ١٩٤٤ .. اى بعد ان قضت وزارة النحاس فى الحكم ما يقرب من العامين ..

وكان قد اصبح واضحا ان هذه الوزارة قد وطنت نفسها على تسليم كل ما يطلبه الانجليز اليها .. وان الملك قد اصبح عاجزا عن كل مقاومة .. وان مقاليد الحكم الداخلى نفسه فى مصر ، قد وضعت نهائيا بين يدى تشرشل رئيس وزراء انجلترا ..

ولم تعد الاعصاب تستطيع مزيدا من الاحتمال ..

ولقد اصبح هذا الوضع الشائن مثارا لاحاديث بين الضباط فى كل مكان .. الكل يتكلم .. الكل يهمس .. الكل يفكر ..

ورای جمال ان فى الامكان استغلال هذه الحركة الواسعة من الهمس والنشاط والسخط فى دوائر ضباط الجيش ، بتحويلها الى حركة موحدة واضحة ، وسيلتها معارضة هذا اللون من الحكم ، وهدفها تحدى الانجليز ..

واشترك جمال وعبد الحكيم فى تنظيم هذه الحركة واعداد العدة لكل احتمال ..

ثم اتفق جمال وعبد الحكيم على الا يظهرا بصورة واضحة فى هذه العمليات ، على ان يكون عبد الحكيم هو المحور الظاهر فيها ..

ومرت ايام ، فوجىء بعدها اعضاء مجلس ادارة نادى ضباط الجيش ، وكبار اللواءات والقواد فيه ، بدعوة موجهة الى الضباط لعقد اجتماع عام فى النادى للبحث فى شئون البلاد والحكم ..

ثم فوجئوا بعدد ضخم من الضباط يحضر هذا الاجتماع فى موعده .. ثم فوجئوا بمناقشات واضحة ، وخطابات جريئة ، وقرارات تتخذ ..

وقام اللواءات يحاولون الاعتراض على هذه الحركة وهذه الخطابات السياسية ، وهذا النشاط الذى لا تقره تقاليد الجيش ..!

واذا بعاصفة من السخرية والتحدى تثور فى وجوههم ، من جانب الضباط الصغار .. واذا بالاجتماع يواصل برنامجه الموضوع له ، رغم هذا الموقف من اللواءات المسيطرين على الجيش والنادى جميعا ..

نصيحة حسنين

وانتهى هذا الاجتماع بتشكيل لجنة من ضباط مختلف الاسلحة ، كان من اعضائها الصاغ صلاح سالم ، ولم يدخل اللجنة جمال ولا عبد الحكيم ، طبقا للقرار الذى اتخذاه من قبل ...

وكلفت هذه اللجنة من قبل الضباط المجتمعين جميعا بالتوجه لمقابلة المرحوم احمد حسنين (باشا) للتفاهم معه فيما يمكن عمله لوضع حد لهذا الحكم الانجليزى السافر فى البلاد .. وافهامه ان الضباط جميعا مستعدون لاى امر ، مهما كان هذا الامر .. انهم اذ يلجأون اليه فى هذا السبيل .. انما يريدون بذلك ان يوجههم الوجهة السديدة التى تضمن الا تضار مصلحة البلاد بشىء ..

وذهبت اللجنة فعلا الى المرحوم احمد حسنين وقابلته فى مكتبه .. وناقشته كثيرا .. ولكنه خذلهم .. واضاع هذه الجهود التى جمعتهم ، وكتلتهم ، بنصيحة واحدة وجهها اليهم ، ثم تشبث بها تشبثا شديدا .. هى الا يقوموا بأى عمل من اى نوع كان لأن الظرف ــ فى نظره ــ غير مناسب لشىء ..

وعادت اللجنة بهذه النصيحة .. ولم تكن تعلم ، ولا كان احد فى البلاد يعلم بما كشفت عنه الوثائق والوقائع بعد ذلك من الاسرار ..

وعندما تكلمت الوثائق والوقائع ، اثبتت ان احمد حسنين رائد فاروق ، ورئيس ديوانه وظهيره ومرشده يوم حادث ٤ فبراير ، وقبله ، وبعده .. والرجل الاول فى القصر المعتدى عليه .. احمد حسنين هذا ، كان طوال حكم الوفد فى تلك الفترة ، يتصل بالانجليز .. لا لمصلحة البلاد .. ولكن لكسب ثقتهم فيه كحاكم جديد ، يستطيع ان يقضى لهم من المصالح ما كان الوفد يقضيها .. وان ينفذ لهم سياستهم «الديمقراطية» فى حكم البلاد وتوجيهها ..

احمد حسنين كان يريد ان يكون بطل ٤ فبراير الثانية .. ولكن بغير دبابات .. !

ومع ذلك ، فلم تكن شكوكنا فى احمد حسنين قد بدات فى ذلك الوقت .. ولم نكن لذلك نجد تحليلا سليما لموقفه ..

وعندما علم الضباط بهذه النصيحة ، هاجوا وماجوا .. واوشكوا على الانفجار ..

سباب فى الطريق

وكان لابد من صمام امن آخر ..

ولم يكن صمام الامن هذا سوى التنفيس .. التنفيس بالقول ، بالصوت ، بالكلام .. ما دامت الكتابة ممنوعة ، والاعمال الايجابية ... لا يرضى عنها الرجل الاول فى قصر الملك ! ..

وتم الاتفاق على ان يخوض الضباط معركة من نوع جديد .. معركة لا تجمع فيها ولا تكتل ولا منشورات ، ولا اعتداءات ؛ معركة ليست بالفردية ، ولا بالجماعية ، وانما هى جماعية الحقيقة فردية المظهر ..

ورات القاهرة ضباط الجيش ، بملابسهم الرسمية ، يختلطون بالناس فرادى ، فى المقاهى والمجتمعات ، وعربات الاوتوبيس والترام .. وساعات الصلاة .. ويثيرون مسائل

الحكم ، ويوجهون السباب علنا ، للانجليز ، والوزارة التى اقامها الانجليز ..

ولم يكن المراد بهذه العملية ، مجرد اثارة الشعور الشعبى ضد الانجليز وضد حكومة النحاس .. ولكن كان الغرض منها اشعار الانجليز والحكومة نفسها ، بأن ضباط الجيش قد فاض بهم ، وانهم قد اصبحوا على استعداد لاى شيء ..

حذاء ... لا قنبلة

وظلت القاهرة تسمع هذا السباب العلنى وترى هذا التحدى السافر من صغار الضباط فترة طويلة من الوقت .. حتى كان حادث ، لم يكتف فيه بطله « الضابط » بكلمات السباب والتجريح ..

كان النحاس ذاهبا لصلاة الجمعة بمسجد الرفاعى ..

وما ان انتهت الصلاة وخرج النحاس ليركب عربته ، الا وتقدم منه ضابط شاب من السواحل هو أبو شبانة والقى بحذائه على عربة النحاس ..

ويبدو انه لم يستطع ان يسدد قذيفته جيدا على العربة .. فقد اخطأ الحذاء عربة النحاس ، والتقى بعربة عبد الحميد عبد الحق ..

وثارت ثائرة الحكومة ورجالها .. وظن البعض ان الحذاء يخفى قذيفة من نوع آخر اشد خطرا وفتكا .. فارتاعت القلوب ، وهلعت الافئدة ، وحوقلت الالسنة ، وبسملت الشفاه .. وانتهى الامر بالقبض على الضابط .. صاحب الحذاء ..

... ومحاكمات !

وفى ثوان معدودة ، كان الفريق حمدى سيف النصر (باشا) وزير الحربية ، قد ابلغ بنبأ العدوان الاثيم .. وفى الدقائق

التالية ، كان قد توجه الى وزارته ، وجمع هيله وهيلمانه ، وقرر عقد مجلس عسكرى مستعجل لمحاكمة هذا الضابط المقبوض عليه ..

ولاول مرة عقد المجلس العسكرى ، فى الدور الاسفل من وزارة الحربية .. وجىء امامه بالضابط المتهم .. وشرع فى محاكمته على وجه السرعة ، بينما كان حمدى سيف النصر فى غرفة مكتبه ، يستجوب الشهود بنفسه قبل ان يمثلوا امام المجلس ، ويلقى اليهم بتفاصيل ما يشهدون به ، ويهددهم بكل تهديد مستطاع !

وليس امر هذه المحاكمة ، هو ما يهمنا فى هذه الصفحات فقد كان الضباط جميعا فى انتظار محاكمات مثلها ، لكل منهم .. وكانت كل كلمة مما كانوا يقولون علنا فى الطرقات والمجتمعات كافية لادانة قائلها .. وسامعيها !..

ولكنها حادثة من الاحداث ، التى وقعت فى تلك الايام ، نتيجة لعدم اكتمال الوعى السياسى فينا ..

فحقيقة كنا الى ذلك العام ، نأمل كثيرا فى وطنية الملك ... وكنا نصنع كل هذا لمقاومة الانجليز فى شخص الحكومة التى فرضوها ...

ولكن عاما واحدا لم يكد يمر بنا ، حتى ادركنا اننا كنا على خطأ عظيم .. وحتى تغيرت فكرتنا تغيرا كاملا ، واصبح واضحا امامنا ان كل شخص ممن كنا نعرفهم ، ونعلق الآمال عليهم ، كان يضع مصلحة البلاد تحت كعب حذائه ، وانهم جميعا كانوا يعملون فى سبيل تقوية نفوذهم ، والوصول الى مقاعد الحكم ، والسيطرة والسلطان ...

حتى الملك المطعون فى قصره ، ادركنا من امره ما لم نكن ندركه ، وما لم نكن نتصور حقيقته ..

وحتى الاحزاب التى لبست اثواب الملائكة ، لم نكن نستطيع

ان نتصور مدى القذارة الموغلة فى ابدانها تحت هـذه الاثواب البيضاء الناصعة ..

اين الطريق !..

الـكل سواء ..
الـكل يعمل لنفسه ..
الـكل لا يهتم بمصلحة البلاد فى شيء ..
الـكل على استعداد للبيع .. والتسليم ..
الـكل عدو لمصر .. صديق لاعدائها ..
والظلام كثيف ..
لا امل فى الملك .. ولا امل فى الاحزاب ..

والامل الوحيد قد يخالج خيالنا فى وجوه جديدة مجهولة .. وجوه خرافية تصنعها اوهامنا ، وتتمنى ان تلقاها على مسرح الحياة ..

ولـكن .. اين الوجوه .. واين مقام هذا الامل ، فى عالم الحقيقة ..

هذا ما لا بد ان نصل الى جواب اليه ..
ولـكن كيف تستطيع هذه الوجوه ان تظهر والظلام كثيف ؟
لابد اذن ان ينقشع الظلام ..
ولـكن .. كيف ينقشع الظلام ؟

هذا محور التفكير الذى ادى الى تشكيلات كثيرة عسكرية وشعبية .. تتناولها هذه الصفحات ..

عزيز المصري
في معركة الحرية

- حقيقة منشورات مصطفى صدقى ..
- قصة اعترافات حسين توفيق ..
- حيلة القاويش ...
- ضباط يحلفون يمين الاخوان المسلمين !
- نصيحة العمر ...

عندما يتكاثف الظلام ، وتتعذر الرؤية ، ويتخبط الناس فى طرقات الحياة ، وتتشعب بهم مسالكها .. يختار الله من عباده المخلصين من يتيح لهم البصيرة التى تغنى عن البصر ، فاذا هم يتوقفون عند العثرة ، لانهم يتوقعونها ، وان لم ترها منهم الابصار ..

وقد كان الله معنا فى طريقنا الطويل الى هـــذه الثورة ، فأودعنا البصيرة كلما أدلهمت الظلمة .. وجنب خطواتنا أكثر العثرات ..

وفى طريقنا هذا الطويل، لمعت أمامنا أضواء، وتبعت أقدامنا اقدام .. ولـكن خطواتنا ظلت محتفظة باتزانها وشخصيتها، واستقلال توجيهها واستطاعت أن تؤكد للجميع ، انهاتستطيع أن تلتقى بخطوات الآخرين ، ولكنها لا تستطيع أن ترتبط بها، لا متبوعة ولا تابعة ، لانها خطوات لا تمضى الا بارادة أصحابها، وأصحابها لم تكن تعوزهم البصيرة ، مهما افتقدوا الضوء فى الطريق ..

منذ عام ١٩٤٢ .. وعقب حادث ٤ فبراير ببضعة اشهر تقررت هذه الحقيقة ، حقيقة استقلال خطواتنا داخل الجيش عن كل مؤثر خارجى وعن كل قيادة خارجية ..

وكان لهذا القرار ، الذى اصبح تقليدا راسخا لنا بعد ذلك، سبب مباشر وظروف

ففى يوم من الايام ، وجه المرحوم الشهيد « وجيه خليل » الى عبد الحكيم عامر وكان يعرفه ويعرف حماســه واتجاه تفكيره ويعرف أنه واحد من جماعة الضباط الاحـرار الذين يتشاورون دائما فيما ينبغى عمله عقب ذلك الحادث المشئوم..

ولاشك أن بعضناكان يرى العنف ويفكر فى القيام بأعمال ارهابية واسعة النطاق ... فالارهاب دائما هو أول الحلول التى تتبادر الشباب المتحمس فى أيام المحن القاسية التىتجتاح الوطن ...

ولم تكن هذه الفكرة تجد معارضة كبيرة أو محسوسة من اكثرنا .. بل لقد كان بعضنا يدبر الامر للتنفيذ وكأنها خطة مرسومة لا اختلاف عليها

ولم تكن زيارة الشهيد « وجيه خليل » لعبد الحكيم عامر الا صدى لوجود هذا الاتجاه بيننا .. فقد كان مقصودا بهذه الزيارة تدبير اغتيالات متعاقبة واسعة النطاق تشل حركة الانجليز واعوانهم فى الايام العصيبة من أيام الحرب

وانتهت هذه الزيارة والتقى عبــــد الحكيم بجمال فأنبأه بنبئها ..

لا آلات ولا أدوات

وكعادة جمال أنصت طويلا الى هذه القصة .. والاسلوب الذى سيتبع فى التنفيذ ، وتمويل الفدائيين ورعاية أسر من يتعرض منهم لسوء ، والاستعدادات الموجودة لهذه المعركة التى « سوف » تدور فى الظلام ...

وشىء واحد لم يستطع جمال ان يستخلصه من حديث عبد الحكيم ..

من الذى سيدير هذه المعركة .. وما هى أهدافه منها ..

ولم يكن الشهيد وجيه خليل قد قام بهذا الاتصال باسمه الخاص ولكن باسم جماعة تقف من خلفه هى التى بعثتهرسولا الى جمال ..

وقال جمال فى هدوء :

ـ لا ...

ثم أردف :

قد نرى القيام بحملة ارهابية واغتيالات ، ولكننا عندما نصنع ذلك يجب أن نصنعه بأنفسنا ونتحمل وحـــدنا كل مسئولياته ونتائجه ... فالخط الذى يجب أن نســير عليه كضباط فى الجيش هو الا نكون آلات ولا أدوات فى يد أحد من الناس ولا جماعة من الجماعات مهما كانت وحدة أهدافنا ومهما كانت درجة اخلاصهم ..

قال هذا جمال فى عام ١٩٤٢ .. وانتهت بهذا قصة «وجيه خليل» .. قبل أن تبدأ .. !

ولكن قصة أخرى لوجيه خليل قد بدات بعد ذلك .. قصة عظيمة ، مجيدة وهب فيها حياته كأشجع ضابط فى أقدس الميادين ..

فقد انضم وجيه بعد ذلك الى الاحرار واصبح عنصرا من أهم العناصر فى تشكيلاتهم .. فلما كانت حرب فلسطين كان من اسبق الضباط اليها

وهناك فى الميدان جرح زميل له وكان هو فى مصفحته فهبط ليحمل زميله الجريح .. هبط تحت نيران اليهود ليخر صريعا شهيدا كأشجع ما يكون ضابط وكأنبل ما يكون انسان

يمين الاخلاص للدعوة

وفى عامى ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ .. فى الفترة التى تتناولها هذه المجموعة من الصفحات ، تكررت الصلات بين الضباط الاحرار وبين تشكيلات كثيرة عسكرية ، ومدنية .. ولكن هذا القرار الذى صدر فى عام ١٩٤٢ . ظل دستورا لهذه المجموعة من الضباط ..

فى هذه الفترة نشطت جماعة الاخوان المسلمين نشاطاكبيرا فى اجتذاب عدد من ضباط الجيش اليها .. ونشطت نشاطا كبيرا فى الاتصال بجمال عبد الناصر ، ومجموعة أصدقائه ..

وليس سرا أن عددا من الضباط كانوا قد ألفوا دعوة الاخوان ، وأحبوها .. ورأوا فيها أملا ومخرجا لمصر من محنتها ..

وعندما تلتقى ببعضهم اليوم قد يقص عليك قصة ذلك اليوم الذى تم فيه « اختياره » بواسطة الجماعة ، ثم طلب منه أن يذهب الى مكان ما .. لحلف اليمين ..

كانوا اذ ذاك يذهبون ليلا ، الى حى الصليبة فاذا ما انطوى الحى عليهم ، قادهم رسول الاخوان فى ازقة مظلمة متعرجة.. حتى يصلوا الى بيت عتيق .. فيصعدون درجا يؤدى بهم الى غرفة مظلمة ، لا أحد فيها ، ولا تفتح نوافذها ..

ويجلس الضابط الى منضدة ، وضع عليها مصحف ، ومسدس .. ثم يدخل الى الغرفة فى الظلام رجل لا يراه الجالس ، ويلقنه يمين الاخلاص للدعوة ، فيؤدى هذا القسم ويداه موضوعتان على المصحف والمسدس

وتنتهى هذه العملية فيخرج الرجل من الغرفة اولا .. ثم يخرج الضابط ليجد رسول الاخوان الذى جاء به فى انتظاره يقوده مثلما جاء به الى خارج الحى ..

التعاون .. لا الانضمام

وكان الصلة بين الاخوان ، وبين ضباط الجيش ، ضابط هو الصاغ عبد المنعم عبد الرءوف .. وكان عبد المنعم ، يدعو ضباط الجيش الى الانضمام لصفوف الاخوان ، ويعرفهم دائما بالصاغ « محمود لبيب » ليتولى هذا قيادتهم فى طريق الدعوة

وكان الضباط يرحبون بهذا التعاون .. انهم كانوا يريدون متنفسا ينفسون به عن آلامهم الحبيسة ، كقوة وطنية مقيدة باغلال الحياة العسكرية ..

وكانت كثرة الضباط ترى أن يقوم التعاون دون الانضمام .. فمن سمات الرجل العسكرى الا يخضع لاوامر تأتيه عن غير

الطريق العسكرى الذى يندرج فيه ..

ولعل اخطاء كثيرة قد وقعت من جماعة الاخوان فى صلتهم بالضباط .. فقد كان الضباط ينضمون الى هذه الجماعة ، أو يتعاونون معها ، وفى يقينهم أن دورهم فى هذا التعاون هو دور التنظيم والتدريب لشباب الاخوان المتحمس الذى يتحرق شوقا للتدريب العسكرى وحمل السلاح فى انتظار الفرصة التى تأتيه للعمل ..

ولكن تنظيمات الاخوان ، كانت لا تفرق بين الضباط وغيرهم .. حتى لقد كانوا يحددون للضباط مواعيد التدريب .. فاذا أقبلوا ، وجدوا واحدا من المدنيين ، يعطيهم دروسا فى كيفية استعمال المسدسات .. !

وكانت هذه الاساليب تزعج الضباط ازعاجا شديدا .. فهم يقبلون على الاخوان ، وعلى دعوتهم ، كضباط مدربين ، لا كجماعات فى حاجة الى التدريب .. وهم يشعرون بمرارة وأسى يملآن قلوبهم عندما يجدون الجزاء الوحيد لهم على هذا الاقبال والرضى ، هو أن يعلمهم مدنى ، كيف يستعملون السلاح !

فوق ذلك ، فلم تكن خطة الاخوان واضحة لهم .. ولم يكن احد يصارحهم بشىء ..

وكانوا يتساءلون .. متى نعمل ، وما هو نوع العمل الذى نعد انفسنا ونعد شباب الاخوان له .. فلا يجابون على سؤال ..

وكانوا يسألون : فما هو المطلوب منا ..

فيقال لهم : ان تثقوا فى قيادة الدعوة .. وان تعملوا ما يطلب منكم فى حينه فحسب ...

ولم تكن هذه الفترة قصيرة .. فقد امتدت اكثر من عامين .. وحدثت فى خلالها احداث ظن هؤلاء الضباط أن كل حدث منها ، سيكون الناقوس ، الذى تصدر على أثره أوامر العمل المطلوب ..

ولكن هذه الاحداث مرت ، بكل رنين النواقيس ..والاخوان فى جمود .. والضـــباط المنضمون فى حيرة من أمرهم .. لايعرفون ماذا يصنعون ..

نصيحة العمر

وكضباط لم يكونوا يستطيعون أن يأخذوا أنفسهم هـذا المـأخذ الشديد .. فـكانوا يتـكلمون فيما يضيقون به من الامر . وكانوا يلجأون الى أصـحاب الرأى يسألونهم العون والتوجيه ..

وكان ممن ذهبت اليهم جماعة الضباط المنضمين للاخوان الفريق عزيز المصرى ..

وللفريق عزيز المصرى ، طبيعته النزاعة الى التحرر من كل قيد .. وشخصيته المستقلة دائما وطريقته فى تربية ضباطه وابنائه على الاسـتقلال بالرأى وقوة الشخصية . والعمل بالارادة ..

ويقول لك هؤلاء الذين ذهبوا الى الفريق عزيز المصرى ، انه قال لهم « كونوا اخوانا اذا شئتم .. ولـكن لا تقفوا عند هذا الحد » ..

ولمـا سألوه عما يصنعون اجابهم :

ـ اقرأوا .. اقرأوا كل كتاب .. اقرأوا فى السياســة ومذاهبها .. والاقتصاد وفنونه ، والاجتماع وأبوابه..اقرأوا وأضيئوا فى رؤوسكم هذا المصباح الذى وضعه الله فيها لكى يضاء لا لكى يهمل ويهال عليه التراب ..

اقرأوا .. ثم اضربوا فى الارض . واعرفوا الناس ،وجربوا بأنفسكم كل شىء .. ولا تتقيدوا بدعوة ، ولا بزعيم .. ولا تربطوا أنفسكم برأى ، قد ترون غيره غدا اذا ما اسـتنارت بالعلم رؤوسكم ..

ينضمون للاحرار

هذه كانت نصيحة عزيز المصرى للضباط الذين ذهبوا اليه فى تلك الايام ..

وقد ظل هؤلاء الضباط على صلتهم بدعوة الاخوان ،ولكنهم جميعا أخذوا هذه النصيحة مأخذ الجد .. وبدأوا يقراون ..

ومن هؤلاء عدد من الضباط الذين يفخر بهم جيش مصر .. لانهم استطاعوا أن يجمعوا بين روحانية الدين ، وبين ضوء العلم ، وحقائق الحياة المادية التى خلقنا لكى نعيش فيها ..

وكل هؤلاء قد انضموا الى الاحرار بمجرد تكوينهم على النحو الذى سنفصله فى هذه الصفحات ..

وفى خضم تلك الايام العصيبة من أعوام ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ .. حدثت أحداث أخرى من تشـــكيلات أخرى .. بعضها مدنى .. وبعضها عسكرى ..

منشورات مصطفى صدقى

وكان أول هذه الاحداث ، هو حادث التدبير للاعتداء على الفريق ابراهيم عطا الله .. الذى اتهم فيه اليوزباشى مصطفى كمال صدقى وزملاؤه

وكان مصطفى كمال صدقى قدكون مجموعة من العسكريين، اكثرهم من ضباط الصف .. تهدف الى تطهــير الجيش من رؤسائه الجهلاء .. وكان اسم الفريق ابراهيم عطا الله فى رأس القائمة التى فكر مصطفى كمال صدقى وجماعته فى التخلص منهم ..

وكان مصطفى كمال صدقى ضابطا فى المخابرات فى الجيش فاختار فى مجموعتـــه عددا من صولات الادارة .. واخذ يعد المنشورات ويطبعها داخل الادارة ، وبآلاتها ، ظنا منه أن هذه الوسيلة هى أسلم الوسائل لكى لا ينكشف أمر مجموعته ..

ولكن تقديره لم يكن سليما .. فقد ضبطت المنشورات .. وضبطت قائمة فى داخل ادارة المخابرات تحوى اسماء ثلاثة وعشرين ضابطا .. وصولا ..

والقى القبض على الجميع ، وتقرر حبسهم وتقديمهم الى المحاكمة

حيلة من القاويش

وكان الحادث الثانى الذى أحدث دويا فى البلاد هو حادث اغتيال أمين عثمان .. وقد قام بهذا الحادث تشكيل فدائى خارج الجيش .. وكان متفقا عند تقريره ، الا يبوح القاتل اذا قبض عليه بأى شىء أو بأى اسم من أسماء اخوانه ..

وكان حسين توفيق ، هو الذى تقدم فى اللحظة الاخيرة واصر على ان يوكل اليه امر التنفيذ .. وعندما قبض عليه ، ظل مصرا على عدم الاعتراف ، حتى استطاع كامل القاويش وكيل النيابة الذى تولى التحقيق ان يلعب بأعصابه ، بقصة مختلقة ، ان دلت على شىء فعلى ذكاء القاويش وادراكه الصحيح لنفسيات من يقوم بالتحقيق معهم ...

فقد أدرك القاويش أن حسين توفيق قد قام بهذا العمل ، كعمل من اعمال البطولة يذكره له التاريخ .. فأراد أن يطعنه فى حلمه العزيز طعنة دامية ، تجعله ينسى عهده للجماعة ، ويبوح بكل شىء ..

وذهب القاويش الى احدى الصحف الكبيرة ، وأملى عليها خبرا مؤداه ان التحقيق قد أسفر عن وقوع الحادث لاسباب نسائية .. وجعل فى الخبر تلميحا الى قيام صلة بين أمين عثمان وبين سيدة عزيزة جدا .. على القاتل حسين توفيق

وفى الصباح دعا القاويش القاتل الى مكتبه .. واطلعه على هذا الخبر ..

وجن جنون حسين توفيق ..

لقد قتل أمين عثمان ، وفى يقينه انه يعمل عملا من اعمال البطولة الوطنية .. فكيف يقبل أن تذهب كل هذه البطولة هباء .. وان تلوث أيضا سمعة أسرته ، وسمعة أعز النساء عليه ..

وانفجر يعترف .. يعترف بالجماعة التى دبرت هذاالحادث واسماء أعضائها ، واهدافهم ، ومكان اجتماعهم ، وتفاصيل ما يملكون من أسلحة .. اعترف بكل شىء ..

وكنت بين من شملتهم اعترافات حسين توفيق ، فالقى القبض علىوشاركته السجن واحدا وثلاثينشهرا ، حتى برأنى القضاء ..

سياسة جمال

وهكذا ...

كانت هذه الفترة فترة نشاط كثير .. نشاط من الاخوان كجماعة منظمة .. ونشاط فى داخل الجيش أو ألوان من النشاط فى داخل الجيش ، واتصالات بالفريق عزيز المصرى .. وتدبيرات عنيفة واغتيالات ..

وكان لجمال عبد الناصر رأى فى كل هذا ..

فى يوم طلب منه عبد المنعم عبد الرؤوف ان تقوم بينه هو وجماعته صلة مع الاخوان .. رحب بقيام هذهالصلة .. على أن تظل لجماعته شخصيتها المستقلة ، وتفكيرها الخاص ..

ويوم وقع حادث الفريق ابراهيم عطا الله قرر معاونة جميع المقبوض عليهم من الضباط وضباط الصف فقام هو ومجموعة اصدقائه بجمع الاشتركات ودفع مرتبات المقبوض عليهم جميعا طيلة فترة ايقافهم ..

وحدث ان علمت ادارة الجيش بهذا الصنيع فأصدرت أمرها بمنع الاتصال بهؤلاء الضباط ، ومنع القيام بأية معاونة لهم..

ولكن جمال واصدقاءه رفضوا هذه الاوامر ، وتحدوها علنا وواصلوا العمل لمعاونة المعتقلين ..

وقد ظنت هذه الجماعة يوم خرجت من الاعتقال ، ان هذا الموقف من جمال معناه رضاؤه عن العمل معها .. ولكن جمال رفض ذلك عندما عرض عليه ..وقررت المجموعة عـــدم التعاون مع هذه الجماعة ، لانها تضم افرادا أكثرهم يتصف بالعبث وعدم المبالاة وحب الشهرة ، وعدم التقدير لحقيقة العمل ، الذى يريدون عمله ..

أما لماذا قام بمعاونتهم .. فقد قام بذلك ، لانه رأى اشعار الرؤساء فى الجيش ، بان هذا الراى الذى رأته فيهم جماعة مصطفى صدقى ..يمكن جدا ان يكون رأى الجميع !

ويوم قام التشكيل الفدائى باغتيال امين عثمان ، ظلت المجموعة على صـــلة بى ، حتى اعدت خطـــة لتهريبى من السجن ..

وهكذا كانت تقاليدالمجموعة قد بداتتتخذ صورا واضحة فى مواقف متعددة ..

وكان أهم هذه التقاليد ، هو أنتظل الجماعة قائمةبنفسها ، عاملة بارادتها ، محددة لخطواتها ..

وفى كلمتين اثنتين ..

الا تكون آلة ، ولا أداة فى اى يد

اما وسائلها .. فقد تطورت ..

تطورت من صداقة تجمع الضباط ، الى تشكيل له نظام وأدوات ..

وتطورت من السريـــة .. الى العلنيـــة الى السرية مرة أخرى .. وكان لـكل مرحـلة من هذه المراحل ظروفهـــا وأسبابها وغايتها الوقتية المحددة أيضا ..

وظلت الجماعة تسير .. خطوة خطوة .. نحو اعـــداد كبير ..

قواعد حركة الأحرار

- العمل الجماعي وحده هو الطريق الى النجاح
- النقراشي يهاجم الانجليز ويضرب الشعب !
- أهداف ... وهدف ...
- الاخوان المسلمون يهادنون صدقي ..
- لا بد من قيادة ..
- مصابيح فى الطريق ...

ان السر الحقيقى فى نجاح هذه الثورة ، راجع الى الروح التى سادت فى التمهيد لها ..

فقد يجتمع الناس حول مبادىء ، حول نظريات يقرءونها ، او أفكار يبشر بها دعاتها وقد يبلغ بهم الاقتناع بهذه المبادىء والنظريات ، والافكار غايته ،ويبلغ بهم التعصب لها ذروته ،وما بعد الذروة أيضا ان صح هذا القول ..

ولـكن هذه المبادىء ، والنظريات ، قد تتعرض للجدل ، فتتعرض الجماعة للانقسام .. وقد يتفاقم الجدل ، فينحرف عن الآراء الى أصحابها ، وتبرز الاشخاص ، وتختفى الآراء .. وتتلاعب أهواء النفوس .. ثم تنهار الجماعة وما اجتمعت عليـه ..!

حدث هذا كثيرا .. حدث فىمصر ، وحدث فى غير مصر .. وفقدت الشعوب فرصا كثيرة للتحرر والتطور ، لان مجادلات قامت بين قادتهـا ، أورثتهم التفكك والتحزب ، وفتحت الثغرات بينهم لمطامع النفوس واهوائها ..

ولست اكتب هذا غضا من قيمة المبادىء والنظريات فما استحق الحياة من لا مبدا له يعيش من أجله .. ولكننى فقط أرى أن المبادىء وحدها لاتكفى ،لان الرباط الذى يربط العقول، لا يستطيع دائما أن يربط القلوب ، وان يذيب الهوى ، ويقتل الاطماع ..

ولذلك أرجع الفضل فى نجاح هذه الثورة ، وعدم انكشاف امر مدبريها والممهدين لها .. الى شىء أهم كثيرا من المبادىء التى قامت عليها ، وقامت من أجلها .. الى الصداقة العزيزة الوثيقة ، التى ربطت بين كل من شارك فيها ، صغيرا كان أم كبيرا ..

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة أن يزيد عدد الضباط الاحرار قبيل الثورة على الالف ضابط ، فلا يوجد بينهم خائن، ولا وجل ولا ثرثار ؟ ! ..

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة ، أن تقوم الثورة فعلا ، وتنجح ،فلا يعرف من الاحرار الا هذا العدد الضئيل ، الذى الزمته ظروف الثورة ان يظهر بوجهه على مسرح الاحداث ، وأن يتحمل بنفسه مسئوليات العمل الكبير ؟ ! ..

انها الصداقة فقط . الصداقة .التى استطاعت ان تحوط مبادىء الثورة بسياجها المتين،وان تحمى النفوس من نزواتها .. لانها احتلت من كل قلب منزل الاطماع ..

وبهذا الدستور .. دستور الصداقة .. بدأ التكوين الفعلى للاحرار فى عام ١٩٤٤ ..

اجتماعات

كانوا قد اصبحوا جماعة من الاصدقاء .. جماعة صغيرة عرف بعضهم بعضا فى ظروف كثيرة مختلفة .. وقربت بينهم صداقة اثيرة واعية ..

ومنهم من عرفه الناس فى مجلس الثورة بعد ذلك .. ومنهم من لا يزال يقوم بنصيبه من العمل فى وحدته او سلاحه او الادارة التى ينتمى اليها ..

كان منهم مثلا ، جمال عبد الناصر ..

وكان منهم طلعت خيرى وعبد المجيد فؤاد من سلاح المدفعية .. وكان منهم عثمان نورى من ضباط المخابرات وكان منهم كمال الدين حسين .. وكان منهم حسين حمودة . وعبد المنعم عبد الرؤوف ..

وكان معهم آخرون ايضا .. فلست اذكر الاسماء هنا على سبيل الحصر .. فقد كان معهم مثلا الصاغ خالد محيى الدين، وكانوا يجتمعون احيانا فى بيته بشارع الخليج بالحلمية

كانوا يجتمعون فى بيت جمال الذى كان يقع عند تقاطع شارع الملك مع شارع الملكة نازلى .. واحيانا كانوا يجتمعون فى بيت عثمان نورى بشارع جسر السويس بضاحية مصر الجديدة .. واحيانا فى بيت حسين حمودة بمنشية البكرى

رأى عام

اصدقاء متفاهمون .. يريدون ان يعملوا شيئا ..

ويستعرض هؤلاء الاصدقاء حالة البلاد .. فيخرجون بعدد من الحقائق التى يجب ان يحسب لكل منها حسابها ..

يستعرضون حالة الجيش ، فاذا هى حالة اليمة غير مشجعة .. فلم يكن لضباط الجيش اذ ذاك رأى عام .. ولو فرض ان كل ضابط صغير كان اذ ذاك ساخطا فى نفسه .. فان هذا السخط لايمكن ان يؤدى الى نتيجة عملية ، ما لم يصبح سخطا عاما ، محدد الاسباب ، دافعا الى التكتل والعمل

فالمشكلة الاولى اذن ، هى مشكلة خلق راى عام واع بين ضباط الجيش ، حتى يستطيع هذا الراى العام ان يحرك الجيش كله نحو هدف واحد ، بصورة منظمة منسقة تؤتى ثمارها ..

ولم يكن يغيب عن ذهن هذه المجموعة ، ما سبق من احداث خلال الفترة الاولى من ايام الحرب .. فقد كنا اذ ذاك نعمل.. ولكننا كنا نعمل اعتمادا على انفسنا ، لا على رأى عام موحد بين الضباط .. ولذلك كانت اعمالنا فردية ، او شبه فردية.. وقد تأكد لهذه المجموعة الا جدوى هناك من اى عمل فردى . وان العمل يجب ان يكون عملا جماعيا كبيرا يأتى نتيجة لرأى عام يجمع الضباط ..

والمشكلة الثانية التى كانت هذه الجماعة تفكر فيها .. هى مشكلة انعزال الجيش عن الشعب ، وتسخيره دائما ضد كل حركة شعبية تقوم فى البلاد ..

فقد كان الشعب فى تلك الفترة يتحمل العبء كله .. عبء الثورة بعد الثورة .. عبء التضحيات الجسيمة والاستشهاد برصاص السلطات المصرية والانجليزية ايضا ..

وكان الجيش .. الجيش المصرى .. هو القوة الخارقة التى يحسب الشعب حسابها ، كلما فكر فى الثورة من اجل تحقيق أهدافه ..

كانت هذه هى صورة الجيش فى نظر الشعب .. او كان هذا هو الوضع المتعارف عليه .. ولم يحدث ابدا ان حاول الجيش ازالة هذه الفرقة بينه وبين الشعب ، لا لان ضباط الجيش كانوا يكرهون ذلك ، ولكن لانهم كانوا منصرفين عنه انصرافا غير واع .. اى انهم كانوا مستسلمين للامر الواقع المتعارف عليه ..

وكانت هذه المجموعة ترى ان الشعب الذى تحمل حتى اليوم كل التبعات والتضحيات ينبغى ان يطمئن الى جانب جيشه .. وان يدرك ان هذا الجيش معه لا عليه .. وعلى الاقل ، ان يدرك أن هذا الجيش ، ان لم يستطيع ان يكون معه بحكم ظروفه وواقعه ، فلن يكون عليه بحكم مصريته ..

اهداف ... وهدف

واستقرت المجموعة على خطة طويلة المدى ..

خطة لها اهداف صغيرة يتبع بعضها بعضا .. ولها هدف كبير وغاية ، يجب ان تصل اليها مهما بعدت الشقة وطال المدى

واصبح دور هذه المجموعة منذ تلك الايام ، هو السير خطوة خطوة حسب برنامج مرسوم على الوجه التالى :

* خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش
* اشعار الضباط ان عليهم مسئولية كمواطنين ، لا تقل عن مسئولية افراد الشعب العاديين ..

* التدرج فى بث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن توجيههم الى ان يكون للجيش نفسه دور فى عملية انقاذ البلاد ، او ان يكون على الاقل محايدا بين الشعب والسلطات الغاصبة الحاكمة ، بحيث لايشترك فى تسديد الضربات الى الشعب اذا تقدم احد لحمل تبعة الانقاذ ..

اما الهدف البعيد من كل هذا فهو الوصول بأى صورة من الصور الى تغيير النظام الملكى القائم فى البلاد ..

لا سرية ..

وبدأت المجموعة بعد ذلك تسير الى هذه الاهداف وفق نظام معين ايضا تم الاتفاق عليه ..

فقد تم الاتفاق مثلا على نبذ السرية نبذا تاما فى هذه المرحلة من مراحل الدعوة ..

فان السرية توحى بالتآمر ، وتنذر بالخطورة ولا تستطيع ان تجمع الانصار بسهولة ، لان عامل الخوف والحذر قد يتغلب فى آخر الامر ..

فلتكن العلنية اذن هى الوسيلة .. ففى جوها يمكن تكوين الصداقات وتعزيزها ، واختيار الاشخاص الذين يبدو اخلاصهم وقدرتهم على العمل دون اثارة لغط او شكوك فى صفوف الضباط او فى الاوساط الحاكمة ..

وكانت هذه هى الخطوة الاولى .. فقد اصبحت هذه المجموعة بين جماعات الاصدقاء فى الجيش تثير المناقشات العلنية فى جميع مشاكل الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. الداخلية والخارجية ..

وبدأت هذه المناقشات العلنية تستهوى الضباط الشبان المتحمسين .. وتملأ حياتهم بشىء جديد يعطيها قيمة اكثر .. فقد كانت حياة ضباط الجيش حتى ذلك الوقت حياة خاوية

الا من النظريات العسكرية التى يدرسها والتدريبات التى يقوم بها ، ومشاكله الفردية الجدية او العابثة على حد سواء ..

وانتشرت هـذه الجماعات المفكرة .. او انتشرت هـذه المناقشات العلنية بين الضباط بصورة مبشرة ناجحة ..

لابد من قيادة

وبدأت بواكير النجاح تظهر سريعا ..

فقد بدأت تسمع نفس المناقشات هنا ، وهناك .. وبدأت ترى الضباط يلتقون ، فاذا هم متفقون فى السخط ، متفقون فى الشعور بحاجات الوطن ، متفقون فى التفكير فيما يجب عمله من اجل انقاذه ..

ومعنى هذا ان الرأى العام قد بدأ يتكون .. وان عقبة كبيرة من عقبات الطريق ، قد اخذت تزول ..

وكان لابد بعد ذلك من التوجيه .. فقد كان واضحا ان هذا السخط عندما ينمو ، يمكن ان يكون خطرا كبيرا ، اذا لم يصحبه توجيه سديد ..

فقد تقع احداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر وبين يوم وآخر من تلك الايام العصيبة السوداء .. واذا بالساخطين ينفجرون فرادى .. او ينفجرون دون وعى ، فيؤخرون الحركة بدلا من ان يساعدوا على تقدمها ..

وقد تستطيع بعض الهيئات او الجماعات ، اذ تشعر بهذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش ، ان تحاول ضمهم اليها بصورة او بأخرى .. وعندئذ تفلت من الجيش قيادته ، الى أيد قد لا تحسن التوجيه ..

وعادت المجموعة تتفق على اساسين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهريا من عوامل النجاح :

* العمل على الا يتأثر الضباط بالاحداث الجارية اى تأثر

يدفعهم فرادى او جماعات على القيام بأى عمل دون وعى اساسى ، ودون خطة حكيمة مرسومة ..

* والعمل على ان يحتفظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم ، فلا يرتبطون كأفراد ، او كجماعات بأية هيئة او حزب خارج نطاق الجيش لان الجيش عنصر خطير يجب ان يظل توجيهه فى الايدى القادرة على تقدير خطره ، فلا يكون اداة فى يد احد او جماعة من الناس ..

تجمعات ...

وكان لابد لضمان هذين العنصريين من نشاط منظم تسيطر على توجيهه المجموعة بنفسها ..

ويوما بعد يوم ، وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا ، وفى نطاق واسع ، وعلى اساس الصداقة ايضا ..

وعن طريق هاتين الحركتين ، بثت الافكار ، وحذر الضباط من التأثر بالحوادث تأثرا فرديا ومن الارتباط بأية جماعة او فرد خارج نطاق الجيش ..

وبدأت هاتان الفكرتان ترسخان فى نفوس الضباط .. واصبحتا جزءا لايتجزأ من الراى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الاسلحة

واطمأنت المجموعة الى ان الجيش لن يقوم بأى عمل اخرق او احمق .. وان الضباط سيظلون بمنأى عن التأثر الفردى .. وانهم لن يعملوا الا جبهة واحدة منظمة ..

وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة المجموعة قد شملت جميع ضباط الجيش ، ولا نسبة كبيرة منهم ..

فقد كانت فى الجيش العناصر السلبية التى لا تضر ولا تفيد ، والتى لايمكن الاعتماد عليها فى اى شىء ..

وكانت فى الجيش عناصر اخرى مستقلة عن هذا التكوين ، كجماعة مصطفى صدقى التى رفضت جماعتنا التعاون معها ..

وكانت فى الجيش عناصر انتهازية ، لم يكن من الصعب تحديدها ، واتقاء خطرها ..

وفى ظلال هذه الاجتماعات العلنية ، والمناقشات المخلصة ، والوعى الذى بدأ ينمو ، تكونت الصداقة القوية بين الضباط . التى كانت سياج الحركة منذ ذلك التاريخ .. وظلت سياجها حتى اليوم ..

ومثلما كان من المستحيل الوصول الى السيطرة الكاملة على جميع ضباط الجيش وعناصره ، فقد كان من المستحيل منع الضباط من التأثر بالاحداث الجارية فى البلاد .. ولكن المبدأ الذى اتفقت المجموعة عليه ، منذ البدء .. وهو الا يؤدى هذا التأثر الى أى عمل فردى ، قد ظل سائدا طول الوقت..وكان تأثر الضباط بالاحداث ، عاملا مساعدا لاكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد ، ولتحديد دورهم تحديدا واضحا وضوح الشمس ..

الاخوان وصدقى

ففى فبراير سنة ١٩٤٦ ـ مثلا ـ وقعت حوادث الجامعة المشهورة ، فأثارت حماسة الضباط للحركة الشعبية ، وحقدهم على السلطة الحاكمة والمستعمرين ..

وفى خلال الايام التى تلت هذه الحركة ، وقعت المهادنة بين صدقى وجماعة الاخوان المسلمين .. فأيدت هذه المهادنة دعوتنا الى عدم الارتباط بأية جماعة خارج نطاق الجيش ، اذ وضح فى اثنائها التناقض بين ضباط الجيش الذين كانوا ـ كأفراد ـ على صلة بالاخوان المسلمين ، وبين جماعة الاخوان كجماعة لها سياستها التى اوحت لها فى ظرف من الظروف ان تهادن حكومة صدقى ضد حركة الشعب ..

... ثم الوفد

وعندما ذهب النقراشى الى مجلس الامن يعرض قضية

مصر .. قوبلت الطريقة التى هاجم بها الانجليز هناك باعجاب شديد فى صفوف الضباط جميعا .. وفى الوقت نفسه ، كشف النحاس عن وجه غير وطنى عندما ارسل برقيته المشهورة الى سكرتير الامم المتحدة يعلن فيها ان النقراشى لايمثل شعب مصر .. فى وقت كان النقراشى فيه يهاجم الانجليز ..

ولعل هذين الموقفين قد احدثا مقارنات كثيرة بين موقف النحاس وموقف النقراشى ، فقد كان شعور الاعجاب بالنقراشى فى موقفه ، يقابله شعور الاشمئزاز من النحاس فى موقفه ..

ولكن عودة النقراشى من مجلس الامن ، واعماله التى تبعت ذلك لقمع الحركة الشعبية بالحديد والنار ، قد بعث فى الضباط الشعور باليأس من كل الرجال .. وسوت بينه وبين غيره من الذين تشدقوا بالوطنية وخانوا قضية الوطن ..

مصابيح فى الطريق

هذه الاحداث بالذات ..

حادث الكبارى ، وحادث المهادنة بين الاخوان وبين صدقى وحادث برقية النحاس ، وحادث قمع الحركة الشعبية على يد النقراشى .. قد كان يمكن ان تؤدى جميعا ، او ان يؤدى اى حادث منها الى انفجار فردى او جماعى من ضباط الجيش على غير وعى ، او تنظيم سليم ..

ولكن المبدأ الذى كان قد ساد الضباط وشاع بينهم ، جعل من هذه الاحداث مجرد مصابيح تضىء لهم طريق العمل القادم ، وتزيد من وعيهم الحقيقى بما يجرى فى البلاد ، وبالدور الذى يجب ان يقوموا به ..

ومع الايام التى تمر .. بدات المرحلة الثانية ، مرحلة التنظيم والتكوين .. بعد ان اطمأنت المجموعة الى المرحلة الاولى .. مرحلة اشاعة الوعى ، وتكوين الصداقات ..

تشكيل سرى داخل الجيش

- كيف ابيح للضباط التطوع فى حرب فلسطين ؟
- حرب فلسطين تزيد سخط الاحرار ..
- تزوير قسائم العهدة .. والحرب بالبنادق فقط !
- الاخوان والمفتى والجامعة العربية ..
- خطابات وحماس ..
- مساعدة فى الطريق ..

كانت الروح التى سادت الجيش قد بدات تبشر بنجاح عظيم خلال الاحداث الكثيرة المتعاقبة فى عامى ١٩٤٦ ــ ١٩٤٧

فقد ازدادت جماعات الساخطين بصورة ملحوظة وانتفت السلبية انتفاء يكاد يكون كاملا .. وادرك الضباط ادراكا كاملا انهم على وشك ان يخوضوا معركة من اجل الخلاص.. خلاص الشعب وخلاص الجيش الذى ينبت من صميمه ..

وشعر الحكام .. الملك الطاغية ، والقواد « العظام » والسياسيون ، بعدوى السخط التى بدأت تنتشر فى صفوف الضباط .. وخيل اليهم ان « المصل الواقى » من وباء السخط يكمن فى خزائن الدولة ، وانهم اذا استطاعوا ان يحقنوا بهذا المصل جيوب الضباط لأمكنهم ان يعيدوهم الى السلبية المطلقة التى كانت قد اصبحت من تقاليد الجيش المصرى الراسخة دهرا طويلا ..

وكانت السلبية هى كل ما يأملون فيه ، ليستطيعوا عن طريقها عزل الجيش عن معارك الشعب ، وتسخيره فى الوقت المناسب لالهاب ظهره ..

وبدأت ترقيات الضباط تنشر فى الصحف متتابعة متلاحقة كوسيلة لارضائهم من جانب ولايقاع الفرقة بينهم وبين طوائف الشعب المأزومة من الجانب الآخر ..

ولكن حسابهم كان مليئا بالاخطاء الجسيمة .. والخطأ الاول والاكبر فيه ، هو ان الروح الوطنية عندما تستيقظ ، يصعب تخديرها .. وان الاغداق المفتعل يكشف بنفسه عن دوافعه ويصبح عاملا من عوامل اشاعة السخط لا اشاعة الرضى ..

وفى الوقت نفسه .. كانت الاحداث تتلاحق .. وكانت احداثا جسيمة كشفت الغطاء عن كل شىء ، وبدأت تجرف الضباط جرفا .. نحو المعركة ..

تحول الى العمل السرى

فى ذلك الوقت كانت حلقات الساخطين ، تضم كل منها خمسة ضباط على وجه التقريب ..

وكانت الاسلحة جميعا ممثلة فى هذه الحلقات ، والصداقة القوية تربط بين افرادها ، من مختلف الاسلحة ، ومختلف الرتب التى لم تكن قد تجاوزت رتبة الصاغ فى ذلك الوقت ..

ورأت المجموعة ان تبدأ تنظيمها بداية تدريجية.. فلا تنتقل من الاجتماعات العلنية الى العمل السرى دفعة واحدة .. وانما تتدرج الى ذلك ، حتى يصبح واقعا طبيعيا تؤمن عواقب السير فى طرقاته ..

فقد كان رأى المجموعة قد استقر فعلا على تكوين جهاز سرى فى داخل الجيش يناط به الاعداد للعمل الكبير ، والقيام بهذا العمل ايضا فى اللحظة المناسبة ، مطمئنا الى تأييد الضباط جميعا فى المرحلة الحاسمة ، بعد ان اشتعلت فى قلوبهم شرارة السخط ، ونما الوعى الشعبى فيهم ، كأفراد .. وكجماعات

وكان اختيار اعضاء هذا الجهاز السرى ، يحتاج الى دقة ، ووقت غير قصير .. خصوصا وانه لم يكن من تقاليد هذه المجموعة ، ان تركن الى اساليب الاختبارات المفتعلة التى تركن اليها الجمعيات السرية على اختلافها كما لم يكن من تقاليدها الاعتماد على حلف يمين ايا كان شأنه .. وانما الاعتماد ــ فقط ــ على الاخلاص الواعى المقترن بالصداقة الكاملة ..

وبدأ التدرج الى الهبوط ــ تحت الارض ــ والايذان ببدء العمل السرى يأخذ طريقه هادئا حتى لا يشعر الضباط بأن

هناك حركة غير عادية ، او عمليات فصل بين الجهازالسرى وبين جموعهم الساخطة ..

اشتراكات ... ومنشورات

وكانت الخطوة الاولى فيه ، هى اقتراح جمع اشتراكات من الحلقات الساخطة جميعا ..

وفهم الضباط من هذا الاقتراح ان هناك اتجاها الى عمل فعند مناقشة الاقتراح ، وتعليل اسبابه .. ذكر احتمال اللجوء الى طبع منشورات .. واحتمال ايقاع الحكومة لونا من الاذى ببعض الضباط ، وانه يجب ان يكون لدى « الضباط » لا لدى « المجموعة » قدر من المال ينفق منه على المنشورات ، وعلى معاونة الضباط الذين يمكن ان يصيبهم الاذى من جراء هذه الاعمال ، واعالة اسرهم اذا اصابهم شر ..

وفى الوقت نفسه .. نوقشت جبهة الاعداء .. وحددت تحديدا واضحا ، بأنها مكونة من الاستعمار .. والملك .. والاحزاب السياسية جميعا

وادرك كل ضابط انه مشترك اشتراكا فعليا فى محاربة هذه الجبهة .. فسهل بعد ذلك انشاء التنظيم السرى ، فى مأمن من الفضول ، لقد كان كل ضابط بعد ذلك يعتقد انه واحد من التنظيم السرى ، ولا يفكر فى اكتشاف امر ، يعتبر اكتشافه خطرا داهما على الحركة كلها .. وعلى المشتركين فيها ، وعلى البلاد ..

فلسطين

وبينما كانت المجموعة تدبر أمر البدء فى التشكيل السرى.. جاءت الاحداث ، تؤجل هذه الخطوة وتحول اتجاه السخط الى ناحية اخرى ، لم تلبث ان كانت حجر الزاوية فى تهيئة الجو لنجاح هذه الثورة ..

فقد اقبل عام ١٩٤٨ .. واقبلت معه احداث فلسطين .. او بصورة عامة .. حرب فلسطين ..

والقراء يذكرون كيف التهبت المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من السلاح .. وكيف قرر الشباب العربي فى مختلف البلاد خوض الحرب المقدسة ، دفاعا عن العروبة فى اعز ديارها ..

وفى الايام الاولى لهذه الاحداث ، لم يكن قد تقرر ان يخوض الجيش هذه المعركة .. ولكن الحكومة كانت فى موقف لا تستطيع معه منع الجماعات الثائرة من الشباب ، من خوض هذه الحرب كمتطوعين ..

وكانت المجموعة ترى من واجبها تدريب الشبان الذين يتطوعون للقتال ، والتطوع معهم لقيادتهم خلال المعركة ..

الاخوان .. والمفتى .. والجامعة العربية

وبدات فى تلك الفترة صلات جديدة مع جماعة الاخوان .. صلات بين ضباط المجموعة ، وبين قيادة الجماعة ..

فقد عقدت اجتماعات فى بيت المرحوم حسن البنا ، ضمت جمال عبد الناصر ، وكان اذ ذاك فى كلية اركان الحرب ، وكمال الدين حسين ضابط المدفعية ، وبعض الضباط المنتمين للاخوان ..

وفى نفس الوقت نشأت صلات بين المجموعة وبين الحاج امين الحسينى مفتى فلسطين .. وبين المجموعة وبين الجامعة العربية ..

وكان هدف المجموعة من هذه الصلات جميعا ، هو تكوين تنظيمات وتشكيلات مسلحة ، وتدريبها واعدادها اعدادا كاملا بكل ما تحتاج اليه من خبرة ومن سلاح ، قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة ..

وكان الاخوان يقولون انهم مستعدون الى اقصى الحدود ، وانهم لاينقصهم شيء سوى السماح لهم بالسفر الى ميدان المعركة ..

وكان المفتى والجامعة العربية الى جانبه ، يكونان تشكيلات من المتطوعين ، وقد اعلنت الجامعة انها على استعداد لتسليحهم والانفاق عليهم ..

الاستيداع او الاستقالة

وبقى دور الضباط .. فقد كان الضباط لايستطيعون الاشتراك فى الحرب الا اذا اعلنت الحرب من الدولة اعلانا رسميا ، واشترك الجيش فيها ، ولم يكن قد تقرر بعد اعلان الحرب ..

ولذلك فكر الضباط فى الخروج من الجيش ، والاشتراك فى الحرب كمتطوعين ..

وبدأت الطلبات تنهال على قيادة الجيش من ضباط المجموعة ومن عدد كبير من الضباط الآخرين .. وكانوا يكتبون فى طلباتهم ، انهم مستعدون لتقديم استقالاتهم ، او طلبات الاحالة الى الاستيداع ، على ان تتركهم الحكومة يذهبون الى الميدان بأسلحتهم ..

وكانت الحكومة مترددة فى ذلك اشد التردد ، مما اوجد الضباط فى حالة من الغضب ، وزاد من حدة السخط فى قلوبهم ..

ولكن ضغط الحوادث كان قاسيا وخطيرا .. وشعرت الحكومة بأنها لابد ان تعمل عملا .. واقتربت اللحظات الحاسمة ، مع ازدياد فظائع اليهود يوما بعد يوم ..

قبول التطوع

وفكرت الحكومة فى ان ترسل جماعة من ضباط سلاح

المهندسين الى فلسطين ، ليقوموا ببعض الاعمال الاستكشافية ووجدت ان خير وسيلة لذلك ، هى ان تقبل ما كان الضباط يطالبون به من اباحة احالتهم الىالاستيداع اوقبول استقالاتهم وتركهم للذهاب الى الميدان بأسلحتهم كمتطوعين ..

وفوجىء الضباط باشارات تأتيهم لمقابلة الفريق عثمان المهدى (باشا) رئيس هيئة اركان حرب الجيش فى ذلك الوقت

ولبى الضباط الاشارة ، وفى مكتب رئيس اركان الحرب ، وجدوا الفقيد أحمد عبد العزيز .. واخبرهم الفريق عثمان المهدى ، ان طلباتهم قد قبلت ، وانهم يستطيعون اعداد أنفسهم للتطوع للقتال ..

٤ قطاعات

كانت الجامعة العربية اذ ذاك قد بدات تنظم تشكيلاتها بالاشتراك مع مفتى فلسطين ، وكان قد تقرر تقسيم فلسطين الى اربعة قطاعات بأربع قيادات ميدان ، على ان تخضع القيادات الاربع للجنة العسكرية التى جعل مقرها دمشق ، ومثل مصر فيها اللواء صالح حرب ..

وكان القطاع المصرى فى فلسطين هو قطاع الجنوب ، وقد عينت الجامعة لقيادته اللواء سليمان عبد الواحد سبل ..

وكانت المجموعة تعرف اللواء سبل من قبل .. فقد كان الفريق ابراهيم عطا الله قد اخرجه من الجيش .. فأقام الضباط له حفلة تكريم فى نادى الضباط . لا لتكريمه فعلا ولكن تحديا لابراهيم عطا الله ..

وكان مع اللواء سبل ، ضابط مخابرات هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وقد سافر سبل الى فلسطين مع متطوعى الجامعة العربية والمفتى .. ولكنه لم يمكث هناك طويلا ، فقد دب النفور بينه وبين ضابط مخابراته .. ثم عاد هو ، ولم يرجع مرة اخرى الى الميدان ..

استعداد ...

وكان الضباط المتطوعون فى تلك الايام يعدون انفسهم للسفر .. يعدون انفسهم بالسلاح ، وتدريب الجنود الذين سيحاربون تحت امرتهم .. فلما عين المرحوم احمدعبدالعزيز قائدا لقوات المتطوعين فى فلسطين ، ذهبت المجموعة معه الى منزل اللواء سليمان عبد الواحد سبل لتحصل منه علىمعلومات عن الجبهة ..

وكان مؤسفا انها لم تستطع الحصول على اية معلومات ذات قيمة عسكرية ..

ومضى الضباط يوآصلون استعداداتهم ..

وكان اقسى ما يواجههم هى عمليات الاستعداد .. فللاسف الشديد كانت ظروف الاعداد قاسية موئسة لأى ضابط ، مثبطة للهمم ، قاتلة للارواح ..

بنادق فقط ! ..

كانت الحكومة مثلا تريد من الضباط والجنود ان يسافروا الى ميدان القتال غير مزودين الا بالبنادق !

وكان الضباط يحاولون اقناع المسئولين بأن البنـــادق وحدها لاتكفى وان السفر بغير مدافع ، يعتبر انتحارا ، او يعتبر مهزلة يدفع المتطوعون ثمنها من ارواحهم .. ولـكن الحكومة لم تكن تتحرك لصرخاتهم ..

وبدأت الايام تمر ، ومع مرورها بدأ اليـأس يخيم على النفوس ، حتى لقد عاد كثير من الضباط فى قرار التطوع ، ورجعوا الى خدمة الجيش بعد ان كانوا قد قطعوا شوطا فى استعداداتهم ..

وأى ضابط يسمح لنفسه ان يذهب الى القتال .. ومعه بندقية ، وليس مع جنوده سوى البنادق .. والميدان ميـدان

حرب حديثة لم يكن احد يشك فى انها حرب ضد عدو مجهز بأحدث وسائل القتال ..

واخيرا .. وبعد جهود طائلة سمحت الحكومة للمتطوعين بأن يأخذوا معهم عددا من المدافع .. وكان هذا انتصارا عظيما ، فرح الضباط والجنود به .. !

خطابات ..

وجاءت ليلة السفر .. وفى ليـــــلة السفر وقعت بعض المفارقات والحوادث التى لا تنسى

فى ذلك اليوم .. يوم الســـفر .. اعتــذر عبد المنعم عبد الرؤوف عن الذهاب الى الميدان .. وكان متطوعا ، ولا يدرى احد لماذا تردد ، فقد كان حتى ذلك اليوم شديد الحماس ..

ولم يكد نبأ اعتذاره يعرف حتى تقــدم اليوزباشى خـــالد فوزى ليحل محله فى التشكيلات المسافرة ..

وعندما ذاع نبأ اعتذار عبد المنعم عبد الرؤوف ، دب الذعر فى نفس أحد الضباط ، فاعتذر بدوره ايضا ، واذا بالمرحوم اليوزباشى انور الصيحى يتقدم لكى يحل محله ، وكأنما كان يسعى الى قدره .. فقد استشهد انور الصيحى فى اول معركة عقب وصوله الى ارض فلسطين ..

وفى مساء ذلك اليوم جمع احمد عبد العزيز جميع المتطوعين وخطب فيهم قبل السفر .. وكل من حضر تلك الليلة يذكر خطاب احمد عبـــد العزيز .. ويذكر قوله بحمـــاس لهؤلاء المتطوعين ، انكم لا تذهبون لقتال عدو فحسب .. ولـــكنــكم ذاهبون لتكتبوا التاريخ

وفرغ احمد عبد العزيز من خطابه .. واذا بالجمع يرى المرحوم حسن البنـــا ومعه الشـــيخ فرغلى ، قادمين لوداع المسافرين .. وخطب حسن البنا ، وخطب الشيخ فرغلى .. واشتد الحماس وبلغ اوجه ..

المتطوعون ...

وفى الحقيقة كانت الروح عالية .. وكان الحماس شديدا .. وكان الكل ذاهبا لكى يموت اقدس ميتة واشرفها .. ولكن هذا لم يكن يعنى امام الضابط العارف بأسرار القتال وفنون المعارك ، ان العمل من اوله الى آخره لن يؤدى الى نتيجة تذكر مهما حسنت الظنون ..

فقد كان المتطوعون خليطا من شباب الاخوان المسلمين ، ومن افراد الليبيين .. وما تعرفه الجيوش النظامية جميعا باسم الضبط والربط .. كان مفقودا تماما بين هذا الخليط الذى لم يتعود الحياة العسكرية ، ولا يستطيع ان يفهمها فى ايام معدودة ..

وكان الضباط حيارى بين الاخوان المسلمين بنظمهم الخاصة وتقاليدهم المعروفة ، وبين الليبيين الذين كان السيد عبد الرحمن عزام قد اتى بهم وقال انهم خير المحاربين واشدهم بأسا واقواهم شكيمة ..

ولكن روح الفداء التى كانت مسيطرة على الجميع كانت توحى بامكان التغلب على جميع المصاعب والعقبات ..

ورحلت قافلة المتطوعين ..

والذى افادته حركة الجيش من هذه الرحلة .. رحلة المتطوعين الى ارض القتال ، لايمكن تقديره بحال من الاحوال .. فقد كانت هذه الرحلة وحدها كافية لكى تخلق فى كل ضابط قدرا من السخط ، يكفى لكى يدفعه دفعا الى الموت فى سبيل تغيير الاوضاع القائمة فى البلاد ، اذا حدث ان عاد من الحرب سليما ..

كشوف العهدة

بدأت المهازل بما رآه الضباط من قوات الاسلحة المختلفة

بخصوص العهد التى كانت لديهم فى اسلحتهم .. فأسوا الاسلحة اعطيت للمسافرين واسوا العربات اعطيت لهم .. واكثر من ذلك ، قام كل صاحب عهدة بجرد عهدته جردا خاصا ، لكى يحصر الناقص منها ، ويكتبه فى كشوف الاسلحة والمعدات المسافرة الى الميدان ...

وهكذا كنت تجد فى الكشوف ما لا تجد فى الحقيقة ... بل كانت الكشوف تحوى اضعاف الاسلحة والمعدات الموجودة فعلا فى ايدى الجنود لان اصحاب « العهد » وجدوا فى هذه المناسبة فرصة العمر لتغطية ما فى ذمتهم من نقص شديد ..

مساعدات

والذين كانوا يعطفون على المسافرين فعلا ، ويساعدونهم فعلا ، هم اخوانهم الضباط والجنود والعمال الذين التقوا بهم فى الطريق ..

ففى العريش مثلا ، قام رجال الصيانة بفحص العربات المسافرة ، والذعر والاسى والحزن مخيم عليهم جميعا .. فقد كانت كلها سيارات قديمة لا تصلح لشىء .. وقضى رجال الصيانة هناك ليلهم ونهارهم عاكفين على اصلاح السيارات واعدادها لكى تستطيع ان تكمل الرحلة الى الميدان ..

وكان الضباط يقولون لاخوانهم : « الله معنا .. فالذهاب الى الحرب بسيارات كهذه نوع من الانتحار .. »

ومع كل هذا ، فقد كانت الروح اقوى ، والحماسة اشد من ان يجرفها اليأس ..

وسافر المتطوعون ، وقد لزموا فى طريقهم فلنكات السكة الحديد ، حتى وصلوا الى رفح .. ثم الى خان يونس ..

وفى خان يونس .. فوجىء الضباط فى اليوم التالى بحضور

عبد المنعم عبد الرؤوف .. وهكذا لم يتخلف هذا الضابط الذى كان معروفا بين اخوانه بالحماس ..

ولنترك المتطوعين الآن .. فلسنا بسبيل كتابة تاريخ حرب فلسطين .. لنتركهم ، والحقد على الاوضاع يغلى فى قلوبهم .. ونلتقى بالجيش المصرى المسافر رسميا الى فلسطين بعد هذه الرحلة بأسابيع قليلة ..

فلسطين
كيف ذهبنا وكيف عدنا

- القيادة تأمر بانشاء ركن فاروق فى غزة !
- القاعدة فى القاهرة ..
- عبد الهادى يقبض على جمال عبد الناصر ..
- أهداف الضباط الاحرار ..
- السرية المطلقة ..
- نظام الخلايا ..

ان قصة حرب فلسطين على حقيقتها قصة مثيرة مفجعة.. هى مأساة حقا ومأساة من النوع الذى لا ينسى ..

ولقد حاولت ان اكتب الصفحات الخاصة بالتمهيد لهذه الثورة فى اثناء حرب فلسطين .. ولكننى امسكت .. فما اعرفه انا عن هذه الحقبة المجيدة من حياة شعب مصر وجيشها اعرفه بالسمع ، لا بالممارسة والتأثر والانفعال .. وعندما اتذكر ما كنت اسمعه خلال تلك الايام من مآسى الحرب ، وخيانة القيادات ، ترتبط هذه الذكريات بأيامى الخاصة ، ومتاعبى الشخصية اذ كنت اذ ذاك سجينا .. فلم يكفنى حبس حريتى، ولكن كان مقدرا على ايضا ان احرم من خوض هذه الحرب المقدسة ، التى طالما تاقت نفسى لخوضها ..

وايام السجن يمكن ان تكون لها صفحات ..

وايام الحرب ، لها بدورها صفحات ..

وان ارتاحت نفسى الى ذكر صفحات من ايام سجنى فى يوم من الايام ، فلن ترتاح لكتابة شىء عن ايام الحرب التى لم اخضها ، والتى خاضها زملاء لى ، كاتبون ..

الحرب

والذى لابد من ذكره لكى تستقيم هذه الصفحات هو الصورة الذهنية والعاطفية ، لضباط الجيش ، ومنهم ضباط مجموعتنا يوم دخولها . والصورة الذهنية والعاطفية لضباط الجيش وضباط مجموعتنا يوم عادوا منها ..

اما يوم الخروج للحرب .. فيوم ذكراه مجيدة فى نفوس الضباط والجنود جميعا ..

لقد اعلنت الحرب .. وسواء أعلنها فاروق أم أعلنتها حكومة البلاد القائمة ـ حكومة النقراشي فى ذلك الوقت ـ وسواء اكان اعلانها خطأ ، ام كان اعلانها صوابا ـ وسواء اكان الجيش مستعدا لخوضها ، أم لم يكن مستعدا . فالحقيقة الوحيدة هى ان الضباط جميعا لم يفكروا فى شىء من هذا كله .. لم يفكروا فى الخطأ او الصواب لم يفكروا فى احتمال النصر او احتمال الهزيمة .. ولكنهم فكروا فى شىء واحد فقط .. ان حربا اعلنت باسم مصر ، وان جيش مصر يجب ان يخوض هذه الحرب ، كأشجع ما تخوض الجيوش حروبها ، وان يموت رجاله ، ضباطه وجنوده ، فداء لكل ذرة من ثرى الارض المقدسة ، ثرى العروبة والمجد والتاريخ والقداسة ..

هذا هو ما فكر فيه ضباط الجيش وجنوده .. وهذا وحده هو ما جعلهم يندفعون اندفاعا الى ميدان الشرف ، دون نظر الى الحقائق الاساسية التى يهتم بها كل محارب وخاصة اذا ما اشعرته الظروف بأن قيادته نفسها لم تول الامر ما هو جدير به من الاهتمام ..

فالذين سافروا الى الحرب سافروا مجردين من اقوى سلاحين يسافر بهما المحارب

المعلومات الحقيقية او شبه الحقيقية عن العدو ..

والاطمئنان الى حسن استعداد الجيش نفسه ..

والذين سافروا الى حرب فلسطين ، لم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا عن جيش اليهود ، ولم يكونوا يعرفون شيئا مطلقا أيضا عن جيش مصر نفسه ومدى استعداده وحقيقة امكانياته !

ولكنهم سافروا .. سافروا حماسة .. وسافروا ذودا عن شرف الوطن الذى ادخرهم للذود عنه .. وقد آن ان يلبوا نداءه المقدس رغم كل شىء ..

فى ارض المعركة

وكل ما يفيد الآن فى هذه المذكرات ، هو ما شعر به الجيش المصرى فى فلسطين منذ الاسابيع الاولى ، من حقائق تثبط اى همة ، وتقصم أى ظهر ..

فهناك .. فى ارض المعركة ، وضح تماما ان كل ما يلزم لجيش يحارب لا وجود له فى جيش مصر .. كل ما يلزم .. من سلاح او عتاد او ذخيرة او مواصلات .. لا وجود لشىء يصلح للحرب ابدا ..

وهناك فى ارض المعركة ، وضح تماما انها معركة تسير وفق نظام غريب لم يسبق له مثيل فى تاريخ المعارك الناجحة والفاشلة فى العالم بأسره .. فالجيش يحارب فى فلسطين ولكنه يقاد من القاهرة .. وهو يقاد من القاهرة وتصدر له الاوامر .. اوامر التحرك والهجوم دون نظر لا الى اصول الحرب ، ولا الى مقدرة الجيش نفسه ..

وهناك فى ارض المعركة ، وضح تماما ان الانجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانتنا .. لخيانة هذا الجيش فى معركته الاولى المقدسة .. فهؤلاء الانجليز الذين وعدوا حكومة النقراشى بمساعدة جيش مصر بالسلاح والعتاد والذخائر .. قد امسكوا ايديهم مرة واحدة .. ولم يعطوا الجيش شيئا ..

وهناك فى ارض المعركة ، وضح تماما ان الانجليز قد دبروا تدبيرهم لخيانة جيش مصر لا بهذه الوسيلة فقط ولكن بالتدخل لدى بعض الدول العربية ، لكى تحيك بنفسها الفخاخ لجيش مصر ..

وركن فاروق ! ..

وهناك فى ارض المعركة ، شاهد الضباط والجنود المصريون مهزلة المهازل ومأساة المآسى يوم ذهبوا الى غزة — ولم يكن فى

غزة حرب ولا قتال ـ واذا بالاوامر تأتى من قيادتهم بالقاهرة ، بانشاء استراحة لفاروق هناك تسمى « ركن فاروق بغزة »

هكذا فجعوا فى الحرب من اوائلها ..

اما اواخرها فكانت فترة تأمل ويقين ..

النتائج ... توحى

اواخرها كانت الفترة التى ادرك فيها كل ضابط وكل جندى فى جيش مصر .. ان هذه القيادة يجب ان تتغير .. قيادة الجيش وقيادة البلاد ..

اما قيادة الجيش ، القيادة التى لم يكن لها وجود ابدا .. فلو وجدت ، او وجد نوع من القيادة الحقيقية .. لما امكن ان يهزم جيش مصر ابدا رغم النقص البالغ الذى كان يعانيه فى سلاحه وعتاده ..

وليس هذا مجال مناقشة هذه النتيجة فكل ذلك متروك لقصة حرب فلسطين الكاملة ..

ولكن النتيجة التى عاد بها الجيش على اى حال .. هى المرارة والسخط والتصميم على تغيير هذه القيادات جميعا .. تغيير الاوضاع القائمة فى البلاد من اساساتها ..

قاعدة للعمل

ولعل القارىء لم ينس ان هذه الحرب قد انتهت فى عهد عبد الهادى المعروف بعهد الارهاب

وفى هذا العهد عادت القوات المصرية من فلسطين .. وقررت المجموعة ان تبدأ العمل فورا ، فقد كانت هذه هى اللحظات المناسبة فعلا لتكون نقطة البدء فى العمل السرى الكامل الذى يؤدى الى تغيير الاوضاع فى البلاد ..

وكان لابد للمجموعة ان تتخذ لها قاعدة تعمل منها ، اى ان

تعمل على ان يستتب بعض رجالها فى مكان معين ، وان تحرص كل الحرص على ابقاء هذه القاعدة حتى لا تعمل فيها يد التشتيت

القبض على جمال

وبينما كانت المجموعة تفكر فى هذا الارتكاز فوجئت المجموعة بزيارة غير مرغوب فيها من الفريق عثمان المهدى « باشا » رئيس هيئة اركان حرب الجيش حينئذ ، لمنزل جمال عبد الناصر

ولم يكن الفريق عثمان المهدى وحده فى هذه الزيارة ، فقد كان معه عدد من ضباط البوليس الحربى ..

ولم يكن هدف الزيارة هدفا عاديا .. وانما كان الهدف هو القبض على جمال عبد الناصر ، وتفتيش بيته . .

وقام رجال البوليس الحربى بالتفتيش ، فلم يجدوا فى البيت سوى بضع طلقات .. فقد كان جمال عبد الناصر حريصا دائما

اما جمال ، فقد اصطحبه عثمان المهدى ، الى « دولة » ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام والمسئول الاكبر فى عهد الارهاب

وهناك فى مكتب رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام ، جرت مناقشة طويلة بين جمال وبين عبد الهادى .. فقد وجه عبد الهادى لجمال تهمة التعاون مع الاخوان المسلمين مستدلا على ذلك بأنه ــ اى جمال ــ قد قام بتدريب بعض شبان الاخوان على السلاح ، اثناء الحرب وقبيل قيامها

اما جمال .. جمال الثائر الذى كان عائدا من الفالوجا .. فلم يكن لديه من الصبر مايمكنه من عدم الاحتداد فى المناقشة على الحاكم العسكرى العام

ولعلها كانت مفيدة .. فقد تريث ابراهيم عبد الهادى فى اصدار الأمر باعتقاله .. وارسل رسله يأتونه بأخبار جمال .. ثم أفرج عنه فورا .. لانه أدرك ان لهذا الضابط

شخصية معينة بين ضباط الجيش ، وان له كيانا خاصا فى صفوفهم ، فخشى أن يعتقله ، فتكون القشة التى تقصم ظهره ، وظهر العهد من بعده

القاعدة فى القــاهرة

وانتهينا من هذه المشكلة .. وبدأنا فى التكوين .. تكوين القاعدة أولا ..

وكانت القاعدة مكونة من جمال وعبد الحكيم وزكريا محيى الدين وصلاح سالم

واستطاع كل منهم أن يجد له مكانا شبه ثابت فى القاهرة

فجمال ، وكان برتبـــة صاغ فى ذلك الوقت قــد عين فى مدرسة الشئون الادارية بالجيش

وعبد الحكيم عين فى مدرسة المشاة

وزكريا عين فى الــكلية الحربية

وصلاح استقر فى وحدته بالقاهرة

وفى الايام التى تلت ذلك ، فرغ جمال من وضـــع اساس التنظيم كله ..

الاهداف والنظام

واختار جمال للتشكيل اسم الضباط الاحرار .. الاحرار فى كفاحهم فى سبيل الحياة ، والاحرار فى سعيهم الى تحرير وطنهم من الاستعمار والاستغلال والفساد ، وكذلك الاحرار من الانتماء الى أية هيئة أو جمعية أو تشكيل معروف

ووضعت أهداف التشكيل وطبعت .. وتم توزيعها فعلا على الضباط الاساسيين فى التشكيل .. وظهر اسم « الضباط الاحرار » لاول مرة ..

وكانت أهم الاهداف التى تضمنها هذا المنشور الاول :

- القضاء على الاستعمار الاجنبى واعوانه من الخونة المصريين
- تكوين جيش وطنى قوى
- ايجاد حكم نيابى سليم

وفى نفس الوقت ، وضع النظام الاساسى للتشكيل على الوجه التالى :

- السرية المطلقة فى كل شىء
- تخصيص كل ضابط من ضباط مجلس قيادة التشكيل لسلاح من أسلحة الجيش يكون هو المسئول عن تنظيمات التشكيل فيه
- الاخذ بنظام الخلايا ، ووجوب عقد اجتماعات الخلايا أسبوعيا وبانتظام
- تكليف كل ضابط من ضباط مجلس القيادة بتقديم تقرير أسبوعى الى المجلس يوضح فيه مدى تقدم التشكيل فى داخل سلاحه وعدد المنضمين وعدد من رئى استبعاده
- وجوب ضم أعضاء جدد فى كل أسبوع
- أصدار المنشورات بصفة منتظمة اسبوعيا

وعلى هذا الوجه بدأ التشكيل مرحلته الحاسمة ، وخطته المدروسة .. على أساس نظام معين ، وأهداف محددة واضحة وخلايا .. كاملة ..

لماذا نجحنا؟

- نجحنا لاننا عرفنا كيف نسير ..
- اللواء الذى جعلناه قائد نفسه فقط
- الضابط الذى حملناه مسئولية طبع المنشورات
- القصر وحيدر
- ((التيتل)) الذى دفناه فى مكان أمين

كنا قد انتهينا من اقرار التنظيم العـام للتشكيل السرى داخل الجيش ، واخترنا له اسم « الضباط الاحرار » وكنا قد انتهينا من تحديد أهداف هذا التشكيل السرى ، وعرف بصورة كاملة .. ووضعنا قواعد العمل ..

ومنذ تلك اللحظة ، لم يهدأ لنا بال ، ولا للحكومات ، ولا للانجليز ، ولا للقصر ..

ففى أيام قليلة ، كانت منشوراتنا قـــد أصبحت تصدر بانتظام .. وكانت هذه المنشورات تزعج السلطات الداخلية والخارجية ازعاجا شديدا . لان صـــدورها بتلك الصورة المنظمة ، كان يعطى فكرة لهذه السلطات بأن التشكيل الذى يصدرها ، ليس من ذلك النوع الذى اعتاد الجيش ان يفاجأ بظهوره بين فترة واخرى ، ليصدر منشورا أو منشورين ، ثم يختفى ، او يكتشف أمره

وكان شغل السلطات الشاغل فى تلك الايام هو ان يضعوا ايديهم على اى حلقة من حلقات هذا التشكيل ، او يمسكوا بأى خيط يؤدى الى اكتشاف أمره .. ولكننا كنا من جانبنا فى منتهى اليقظة .. فلم نمكن أية سـلطة من السلطات من العثور على شىء .. لم نترك ثغرة واحدة تستطيع هـــذه السلطات مجتمعة أو متفرقة ان تنفذ منها الينا

وكانت هذه اليقظة ، الى جانب التجـارب الـكثيرة التى مارسناها منذ الشباب الاول ، من أيام منقباد ، هى السبب الرئيسى فى نجاح خطتنـا نجاحا كاملا .. كما ان ارتبـاط أهدافنا بعواطف الشعب واتجاهاته ، كان من أكبر العوامل المساعدة التى مكنت لنا من هذا النجاح ..

لقد نجحنا لاننا عرفنا كيف نسير .. ولاننا سرنا فى اتجاه الشعب .. ولاننا استفدنا من تجربتنا الطويلة السابقة ..

جواسيس !

وكنا فى بدء أيامنا كتشكيل سرى ، عندما اتصل مصطفى كامل صـــدقى بجمال وحاول التفـاهم معه على أن تنضم مجموعته القديمة ـ أى مجموعة مصطفى صدقى ـ الى تشكيلنا ، توحيدا للجهود ..

وكان معنى هذا ان تشكيلنا كله قد بات فى خطر .. فان معلوماتنا عن مصطفى صدقى وجماعته كانت تدل دلالة كبيرة على انهم يعملون لحساب القصر

وكان لابد أن يقتنع مصطفى صدقى بأنه ليس هناك أى تشكيل يضمنا ، وان جمال عبدالناصر لايعمل شيئا على الاطلاق

ولم يكن هذا صعبا على جمال .. فقد استطاع فى لحظات قليلة أن يقنع مصطفى صدقى بأنه قد اصبح بعيدا عن كل نشاط ، أو كل اتصال بنشاط .. وانه أكثر من هذا صمم منذ عاد من فلسطين على ان .. يأكل العيش ... وبس !

واقتنع مصطفى صدقى بهذا الـكلام .. ومضى ..

وفى الحقيقة ، كان مصطفى منجما جيدا للمعلومات .. وكنا نستغله كيفما نشاء .. دون أن يشعر .. فقد كان مولعـا بالتباهى والتفاخر ويحب أن ينسب الى نفسه أشياء كثيرة مما يحدث ، يحيطها بما يعلمه جيدا من ملابســات .. كنا نستفيد من ذكرها فائدة لا تقدر ..

الخلايا ..

وفى ذلك الوقت بدأت الخلايا تعمل ..

كانت خلايا خماسية .. تبدأ كل خلية بأحد ضباط القيادة الذى يكون من نفسه نواة لخليتـه .. ثم تتسلسل الخلايا

على هذا الوجه ، كل عضو من اعضاء الخلية الاولى يكون هو نفسه نواة لخلية جديدة لا يعرف أعضاؤها أحـدا غيره من أعضاء الخلية الاولى ..

وللحقيقة نذكر اننا لم نتعد فيتسلسلنا هذه الطبقة الثانية من طبقات الخلايا .. وان هذا كان فى حد ذاته سـببا من أسباب نجاح التشكيل وضبط جميع أموره ضبطا كاملا ..

وكانت واجبات أعضاء الخلايا هى :

١ ــ ضم الموثوق بهم الى التشكيل

٢ ــ اثارة الموضوعات العامة فى وسط الضبـاط ، لخلق مجموعة كبيرة من العاطفين على أية حركة يمكن ان يقوم بهـا التشكيل فى يوم من الايام ..

وبالطبع كان اعضاء الخلايا يدفعون اشتراكات شهرية ، وكانت هذه الاشتراكات توضع فى صـندوق توفير باسـم البكباشى احمد حمدى عبيد .. وكأنها مجرد نقود يدخرها من دخله الخاص ..

وكنا نحاول الاستفادة من كل شىء .. من كل الظروف والعلاقات الشخصية والاحداث التى تقع : وأحيـانا كانت تسنح لنا فرص طيبة ، لا تخلو من طرافـة . ولـكننا كنا دائما نحسن استغلالها .. كما كانت الظروفنفسها تساعدنا كثيرا .. وعندما كانت الظروف تلعب دورها الى جانبنا كنا نشعر براحة نفسية كبيرة وأمل ساطع يشع فى قلوبنا .. فقد كانت الدلالة الوحيدة لمساعدة الظروف لنا ، هى اننـا مرموقون من الله عز وجل ... بعنايته

القصر وحيدر !

وكان أخوف ما نخافه جهتان :

القصر ومخابراته الخاصة ..

وقيادة الجيش ..

وكنا لذلك قد رتبنا أمورنا جيدا ، على تطويق الجبهتين كلتيهما .. وبينما كان صلاح سالم يقوم بدوره فى كسب ثقة حيدر «باشا» واعطائه المعلومات المضللة وتغطية نشاط الضباط الاحرار ، كلما تعرض لخطر الانكشاف .. كنت أنا أقوم بهذا العمل نفسه بالنسبة للقصر ، وعن طريق الدكتور يوسف رشاد

وبهذه الطريقة كنا نضمن دائما ، أن نعرف أولا بأول كل ما يمكن ان يكون قد وصل الى علم احدى هاتين الجهتين من معلومات ــ صادقة أو كاذبة عن نشاطنا وان نعرف أيضا أولا بأول كل مايمكن ان تفكر فيه احدى هاتين الجهتين من اجراءات خاصة بنا ، وان نضمن أيضا تغطية الموقف فى كل حالة من الحالات ..

والى جانب هذا ، كانت الفرص الطريفة تسنح لنا وكانت الظروف تساعدنا فى كثير من الاوقات ..

هو الذى يطبع !

حدث مثلا ، ان قبض على الضابط حسن علام اثناء قيامه بكتابة منشور ضد الاوضاع التى كانت قائمة حينذاك ..

ولا أحد يدرى ان كان هذا الضابط قد نوى فعلا طبع هذا المنشور وتوزيعه .. فلعله كان ينفس عن نفسه مجرد تنفيس بهذه الوسيلة ..

ولكن الحادث وقع على كل حال .. فقد قبض عليه متلبسا بكتابة كلام شبيه بما كان الضباط الاحرار يكتبونه فى منشوراتهم .. ورفع الامر الى الفريق حيدر باشا .. واذا به يتهلل ويشرق ويشعر انه قد وضع يده على التشكيل الخطير المزعج الذى يسمى نفسه بالضباط الاحرار ..

وكانت فرصة لنا .. فانا أذكر أننا لم ندع وسيلة فى تلك الايام الا استعنا بها لاثبات هذه التهمة عليه .. وقد ثبتت فعلا واتجهت انظار القصر والقيادة و[illegible] تماما الى كل

أبحاثهم الخاصة بالكشف عن حقيقة الضباط الاحرار
ولعلنا ان نكون قد تألمنا كثيرا لهذا الحادث ، ولموقفنا منه .. ولكن مصلحة الوطن التى كنا نعمل بصدق من أجلها كانت تقتضي منا ان ننتهز هذه الفرصة ، والا ندعها تفلت من أيدينا أبدا ...

المعركة .. لم تنته

ولم تكن هذه هى الفرصة الوحيدة الطريفة . أو الفرصة الوحيدة التى عرفنا كيف نستغلها استغلالا كاملا مفيدا ..
فقد حدثت أحداثاخرى أثناء معركةالقنال ، كانت كفيلة باضعافنا أو الكشف عن سرنا الكبير ..
وقد كانت معركة القنال من وجهة نظرنا ، معركة مجيدة تبدى فيها شعور الشعب واستعداده الكبير للتضحية بكل شيء ..
وهناك قصتان .. لعل احداهما قد كسبت شهرة معينة إذ جاء ذكرها فى محكمة الثورة أثناء محاكمة فؤاد سراج الدين ، عندما ذكر « المتهم » قصة اللغم البحرى ..
أما القصة الثانية .. أو هى الاولى باعتبار تاريخ الحوادث فكانت قصة على هامش الاحداث ، ولكنها كانت ذات خطر كبير ، لولا أننا أحسنا استغلالها ..

مجاهد فى سينا !

ولنبدأ بهذه القصة .. وقد وقعت فىالايام الاولى للمعركة .. وكنا اذ ذاك فى سينا .. كنت هناك أنا وعبد الحكيم وصلاح .. وكنا نشعر بالضيق الشديد الذى يملأ نفوسنا ونفوس جميع الضباط فى سينا ، فقد كان الجميع هناك يشعرون بأن عليهم واجبا يجب أن يؤدوه فى هذه المعركة وانه لا حق لاحد فى منعهم من القيام به ..

وتكاثر الضيق ، وغلت الصدور ، واصبحت القوات هناك في شبه هياج مستمر ، ينذر بالخطر ..

ووصلت التقارير الى قيادة الجيش عن هذه الحالة المسيطرة على القوات فى سيناء فأرسلت القيادة ضابطا كبيرا هو اللواء توفيق مجاهد ، وكلفته بتهدئة الحالة هناك ..

وجاء اللواء يهدئنا !

جاء ، فجعل يخطب فينا ويناقشنا ، ويحاول اشعارنا بأن دور الجيش لم يأت بعد ، لا لأن الجيش يجب أن يستعد .. ولكن لان عدونا الحقيقى فى نظر اللواء مجاهد ، ومن ارسلوه — هو اليهود .. وان علينا أن نفرغ من اليهود اولا ثم بعد ذلك نفكر فى الانجليز ..

واطال اللواء مجاهد كثيرا فى هذا المعنى ، حتى ضاقت الصدور .. واذا بصلاح سالم يصرخ فى وجهه قائلا :

ان عدونا الاساسى هو الانجليز ، هو هذا الاستعمار القائم فى بلادنا .. واننا يجب علينا أن نطهر ارض الوطن من هذا الاستعمار أولا . وقبل كل شيء ..

ويبدو أن صرخة صلاح قد لاقت تأييدا من الضباط .. واذا باللواء مجاهد يبدى ضيقه الشديد بهذه الصيحة ، ثم لا يفتأ أن يبدى رايه علنا فى صلاح ... وكان هذا الرأى هو أن صلاح سالم ... رجل خطر

واحسسنا بالخطر يحدق بنا .. فقد ايقنا ان اللواء مجاهد لا بد أن يكتب تقريرا عند عودته الى القاهرة ، يتهم فيه صلاح سالم بالخطورة .. ومن يدرى كيف يمكن أن يتجه نشاط القصر الى كشف حقيقة صلاح واتصالاته ، وكيف يمكن أن يؤدى هذا الى الايقاع بالتشكيل كله ..

وقررنا أن نلغم الارض للواء مجاهد قبل أن يعود الى القاهرة ، ويقدم تقريره المنتظر ..

وفى نفس الليلة اجتمعنا ، عبدالحكيم عامر وصلاح وأنا ..

فى منزلى الصغير فى رفح .. ثم رأينـــا أن نكتب خطابا الى الفريق حيدر باشا ، نضمنه شكايتنا من أن اللواء مجاهد قد أثار الضباط اثارة شديدة فى زيارته لهم ، وانه اســتفزهم استفزازا يمكن ان يؤدى الى ما يجب اتقاؤه من شرور .. خصوصا وان لهذا اللواء تاريخا أثناء حرب فلسطين .. وان هذا التاريخ معروف لسائر الضباط ..

وكتبنا الخطاب فعلا ، وارسلناه الى حيدر ..

وفى اليوم التالى هبط اللواء مجاهد الى القاهرة .. ولكنه لم يكد يحط قدميه فيها حتى كان حيدر « باشا » قـــد استدعاه اليه وبدأ التحقيق معه فيما الصقناه به من اتهامات!

وانتهى التحقيق بقرار نقله الى المنطقة الجنوبية ..

وكان اللواء مجاهد اذ ذاك نائبا لرئيس هيئة اركان حرب الجيش المصرى ، كان يتمتع بهذا المنصب الخطير ، وهــذه الادارة الضخمة .. واذا هو ينتقل الى المنطقة الجنوبية .. حيث لا جنود ولا ضباط .. اى حيث يصبح قائد نفسه .. فقط .. لا غير !!

التيتل أو اللغم !

والقصة الثانية من قصص معركة القنال ، هى قصة اللغم البحرى التى اشار اليها سراج الدين اثناء محاكمته

وقد وقعت هذه القصة فى ٢٥ ديسمبر ١٩٥١ اى قبـــل حريق القاهرة بشهر كامل على التحديد ..

وأذكر هذا التاريخ جيدا .. لانه كان يوم ميلادى .. او عيد ميلادى .. كما يسمى الناس تاريخ مولدهم ..

وكنا ثلاثتنا فى رفح .. عبد الحكيم ، وصلاح ، وأنا .. وكان معنا هناك سبعة وعشرون ضابطا ..

والضباط فى مثل هذه الوحدات النائية ، ينتهزون فرصة

المرح انتهازا .. وكان « عيد ميلادى » احدى هذه الفرص .. ولذلك قرر الضباط ان يحتفلوا بهذه « المناسبة » على حسابى ، فى سينما المدينة ..

وذهبنا الى السينما .. وبقى عبد الحكيم وصلاح فى الميس وحدهما ...

لماذا ..؟

لا أدرى لعل ذلك لاننا لم نود أن يخلو الميس من ضباط ..

ولعل الامر أكبر من هذا كثيرا .. فقد كان لابد فعلا من أن يوجد ضباط فى الميس ، وان يكون هؤلاء الضباط هم عبد الحكيم وصلاح بالذات .. فقد عودنا الله طيلة أيام استعداداتنا لهذه الثورة ، أن يكون معنا فى كل شىء ..

ودق جرس التليفون فى الميس ، فقام اليه عبد الحكيم .. وكان المتكلم هو جمال عبد الناصر .. من القاهرة ..

وقال جمال لعبد الحكيم جملة واحدة .. « التيتل جاى النهارده فى الطيارة .. استعد لاستلامه .. »

وقطع جمال الخط .. وانتهت المكالمة ..

وكانت كلمة « التيتل » من كلمات قاموسنا « الحركى » .. وكان معناها « اللغم »

وكنا قد اتفقنا من قبل على اعداد لغم بحرى كبير لنضعه فى القنال قبل مرور باخرة انجليزية كبيرة .. فننسفها بذلك

وكان هدفنا من هذه « العملية » هو تعطيل القنال ، وتقديم الدليل الكافى للعالم ، على أن الانجليز لا يستطيعون حماية القنال ، مادام المصريون لايمكنونهم من ذلك

وجلس عبد الحكيم وصلاح ينتظران « التيتل » .. وكانا بالطبع لا يعلمان شيئا عن حقيقة حجمه ..

وبعد قليل .. اتصل ضابط من العريش بعبد الحكيم ..

وقال له بلغتنا « الحركية » استلمت « التيتل » ولكنى لا أعرف كيف أوصله الى القنطرة ، لان امكانياتى اقل من ذلك كثيرا ..

وأجابه عبد الحكيم بقوله :

ـ ارسله الى فى رفح .. وسأتصرف انا فى الامر ..

وعاد عبد الحكيم وصلاح ينتظران « التيتل » مرة أخرى .. وقد علما انه سيصل اليهما ساعيا على الارض لا هابطا من السماء .!

وبعد قليل ، وصل « التيتل »

وصل ، فى حراسة ضابط كيماوى ، كان هو الذى قام باعداده ، وكان أيضا هو المكلف بتركيبه فى القنال ..

وكانت الساعة اذ ذاك ، الثامنة مساء ..

وكان هذا « التيتل » عبارة عن اربعة صناديق كبيرة الحجم ثقيلة الوزن جدا ..

وتعاون عبد الحكيم وصلاح والضابط الكيماوى على انزال الصناديق .. وكان جليا انها لايمكن أن تدخل من الابواب ، ولا أن تختفى فى احدى الغرف ..

وكان الحل الوحيد ، هو أن توضع هذه الصناديق الى جوار الباب .. ثم أن يسرع عبد الحكيم وصلاح الى السينما ليخرجانى منها ، حتى أجلب لهم بعض جنود سلاح الاشارة ، ليساعدوا فى عملية نقل هذا « التيتل » .. غير المنتظر ..

وخرجت من السينما ، وتوجهت فورا الى سلاح الاشارة فأحضرت بعض جنودى بينما ذهبا هما الى سلاح خدمة الجيش فأحضرا ضابطين من الاحرار ، وعربة لورى كبيرة ..

وكان الوقت الذى أمامنا يحسب بالثوانى لا بالدقائق .. فقد أوشكت السينما أن تنتهى .. وبانتهائها سيحضر

الضباط الى الميس .. وينكشف أمر « التيتل » الذى كنا نحرص اشد الحرص على اخفائه ..

وفى هذه الثوانى التى كانت قد بقيت لنا ، استطعنا أن نضع التيتل فى اللورى ، وان نجهز اللورى بالبنزين الذى يكفيه لقطع ٣٥٠ كيلومترا .. الى القنطرة .. وان نعد بعض قطع الساندوتش ، للضابط الكيماوى ومرافقيه ..

وسار اللورى على بركة الله ..

واتصلنا نحن بزملائنا من الضباط الاحرار فى العريش لكى يدعوه يمر .. ثم اتصلنا بزملائنا فى القنطرة ، لكى يتسلموه

ولم نكد نفرغ من كل هذا ، حتى كانت مظاهرة قوامها سبعة وعشرون ضابطا تقترب فى مرح من الميس ..

كانت السينما قد انتهت .. وكان الضباط عائدين ..

ولعل قصة « التيتل » هى احدى قصص معركة القنال

والذى نستطيع اليوم أن نضيفه الى ماذكرت هو أن القنطرة قد استلمت « التيتل » وان الضابط الكيماوى قد ركبه فعلا .. ثم قامت فى وجهنا عقبات لم تسمح لنا بتنفيذ خطتنا .. فقررنا دفنه .. دفنه فى مكان امين .. ولا أحسب الا انه لا يزال يرقد فى مكانه الى هذا اليوم

موعـــد الثورة

- حددنا موعد الثورة سنة ١٩٥٠
- قلنا لسراج الدين ((حافظ على الدستور ونحن نحميك))
- فؤاد سراج الدين يقول ((ان شعب مصر لا يهتم بالدستور))
- تم الانتخاب فى منزل كمال الدين حسين ..
- الاتصال برجال الوفد .. جريمة ..
- سراج الدين يقول : ((احنا خايفين من الجيش))

ان دور الاحـــرار الذى بدا اذ ذاك كان قـد بدا ليستمر لا ليتوقف وكنا نمر فى تلك الاثناء بفترة كمل فيها استعدادنا ، وأصبحنا قادرين فعلا على التحرك من وحداتنـا ، لنضرب الضربة التى تطهر البلاد من راس الفساد فيهـا .. الملك ، والاقطاع . وما يتفرع عنهما من احزاب وسياسات قادتهـا طويلا الى الخراب ..

فالسنوات التى مرت بنا بعـد اكتمال تنظيمنا ، وهى سنوات ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .. قد كانت سـنوات الاستعداد والدراسة الـكاملة للموقف ، وتحديد موعد البدء .. وفى نهاية هذه السنوات أو قرب نهايتها ، وقعت معركة القنال ، وأدركنا ان دورنا الـكبير قد حان وقته ..

انها فترة مترابطة اذن .. سـنمر اليوم مرورا ببعض أحداثها ، لنعود الى ذلك مرة أخرى

ففى عام ١٩٥٠ كنا قد اكتملنا من حيث التنظيم الداخلى .. للخلايا ، والمخابرات ، وجمع الاشتراكات وعقد الاجتماعات وضم الضباط

كان كل شىء يجرى على مايرام .. وكنا نفكر دائما فى الزمن الذى يجب أن نقضيه فى الاستعداد والتهيؤ للمعركة .. وكنا ــ ككل من يقدم على خطوة كبيرة جريئة ــ نقدر قوة العدو بحدها الاقصى ، ونقدر قوتنا بحدها الادنى ، ونعتقد اننا لن نبدأ حتى نكون على يقين من ان الحد الادنى لقوتنا ، قد أصبح أقوى فى كل شىء مما يمكن أن يكون عليه الحد الاقصى لقوة العدو ..

والعدو ، كان بالطبع ، فاروق وجهازه الرهيب ، مع وضع الاستعمار وما يمكن أن يقدم من مساعدة فى الحساب ..

وكنا فى بدء عام ١٩٥٠ قد قدرنا للاستعداد خمس سنوات، أى اننا حددنا موعدا للحركة عام ١٩٥٤ أو ١٩٥٥

ولكن الظروف السياسية التى لابست الاشهر الاولى من حكم الوفد الاخير جعلتنا نعيد التفكير مرة اخرى ، ونحدد للحركة موعدا بعد ثلاثة أعوام بدلا من خمسة أعوام

فقد كانت سياسة المهادنة التى فاجأ بها الوفد البلاد فىأول شهور حكمه تستدعى هذا التقريب لموعد الحركة

اذ كانت هذه السياسة وحدها ، هى النذير الاكبر بوجوب انفجار الشعب وقرب هذا الانفجار ..

فقبل عهد الوفد الاخير .. كان الشعب يرى امله فى حزب الوفد رغم مساوئه .. وحتى نحن كنا نعتقد أن حزب الوفد رغم كل هذه المساوىء المعروفة للجميع : هو الحزب الذى نستطيع أن نركن اليه يوم نقوم بضربتنا الكبيرة ، لنسلمه زمام البلاد ، على أسس واضحة من التطهير والعمل الخالص للوطن

كنا نعتقد هذا ، بل لقد خطونا فى هذا السبيل خطوات سيأتى تفصيلها ..

وكنا رغم كل هذا ، مضطرين الى أن نحسب حسابا للحقيقة الكبرى وهى أن حزب الوفد اذ يجىء بهذه الاغلبية الساحقة فى عام ١٩٥٠ ثم يهادن القصر تلك المهادنة المكشوفة المزرية ، قد صدم الشعب فى أمله الوحيد الباقى ، ولم يجعل هناك مجالا يستطيع الشعب أن يتنفس فيه الا أن ينفجر فيطيح بكل شىء

وكنا نقدر هذا الانفجار الشعبى ، وعواقبه ونريد أن نكون ميزانا حساسا لانفعالات الشعب ، حتى لا يأتى انفجاره دون توقع منا ، فيتعرض لملحمة رهيبة بينه وبين القوة الغاشمة قد لا تكون سليمة العواقب

وفى الوقت نفسه كنا نخشى أن يدب الملل فىنفوس ضباطنا، وأن يعطى التراخى فرصة للقضاء على قوتنا ، بعوامل التشتيت

المقصودة أو غير المقصودة على حد سواء ..

لذلك قربنا الموعد الذى حددناه للحركة ، وجعلناه عام ١٩٥٢ أو ١٩٥٣ بدلا من ١٩٥٤ أو ١٩٥٥

انتخاب جمال

وكنا فى ذلك الوقت فى القاهرة . نحن جميعا وكنت انا أعيش كالحبيس فى دائرة ضيقة ، لم يسمح لى جمال بالتحرك فى أى دائرة أوسع منها بحال من الاحوال ، فقد كان تاريخى السابق ، تاريخى الذى لم يمر عليه أكثر من عامين منذ خرجت من السجن فى آخر مرة ، يجعل أى حركة أقوم بها مثار شكوك

ومر عام ١٩٥٠ ، واقبل عام ١٩٥١ .. وفى هذا العام نقل بعضنا الى سينا .. نقل صلاح وعبد الحكيم وأنا .. الى سينا ، ونقل جمال سالم الى العريش ..

أما باقى مجموعتنا .. فقد ظلوا فى القاهرة

وكان هذا النقل .. وتشتيتنا فى ثلاث جهات مدعاة الى اتخاذ اجراء لا بد منه ، لم نكن قد فكرنا فيه قبل ذلك العام

كان لابد أن يكون لنا رئيس مسئول ، يقوم بتنسيق أعمالنا واصدار الاوامر والتصرف الوقتى فيما يجد من مشكلات ..

وعقدنا اجتماعا لبحث الامر ، ثم انتخبنا بالاجماع رئيسا لنا .. جمال عبد الناصر ..

وبدأ بذلك تقليد جديد لهذه المجموعة ، أن نحدد موعدا للاجتماع فى كل عام لانتخاب الرئيس ..

وفعلا ، تم ذلك أيضا فى يناير ١٩٥٢ .. اذ اجتمعنا فى منزل الصاغ كمال الدين حسين وانتخبنا جمال رئيسا لمدة سنة أخرى من ذلك التاريخ ..

واختيار الرئيس

على أن هذا الاجتماع ، قد تضمن قرارا آخر اتخذناه ، واتفقنا على ابقائه سرا بيننا

وكان هـــذا القرار هو اختيار اللواء أركان الحـرب محمد نجيب لكى يكون قائدا لحركتنا فى يوم تنفيذها

وكان سبب اتخاذ هذا القرار .. هو اننا لا بد أن نضع فى حسابنا شخص القائد الذى نتقدم خلفه الى الشعب ، لكى نستطيع ان نمهد لشخصيته التمهيد الـكافى فى صـــفوف الجيش

وكان الرئيس نجيب قد عرف لمجموعتنا عن طريق عبـد الحكيم عامر ، اذ كان عبد الحكيم عامر أركان حربه أيام معركة فلسطين .. كما كان عبدالحكيم قد قام بتعريف اللواء نجيب بالبكباشى جمال عبد الناصر عقب عودة جمال من الفالوجة ..

ورغم اتخاذنا هذا القرار ، فلم نشأ أن نعلنه حتى للرئيس نجيب نفسه .. لان الوقت لم يكن قد حان بعد لاتخاذ هذه الخطوة

وبعد أسبوع عقدنا اجتماعا آخر .. فقد كنا نشعر فى ذلك الوقت أن موعد الحركة قد يكون اقرب بكثير مما يتصور، ومما نقدر ..

تقدير الموقف

وفى هذا الاجتماع طلب جمال سالم أن نقرر البدء فى اتخاذ موقف الاستعداد الكامل للعمل فى أى وقت .. وأن تكون المهلة التى تعطى لضباطنا قبل البدء شهرا على أكثر تقدير

ووافق المجلس على ذلك ..

وفى نفس الاجتماع ، كلف المجلس عبد الحكيم عامر ، بعمل « تقـدير موقف » للحـالة من جميع نواحيهـا ، الشعبية والسياسية والعسكرية ، وأن يقوم بعرض تقريره على المجلس فى أسرع وقت ..

كنا جميعا نشعر بوطاة الاحداث وبتحكمها الواضـح فى تحديد موعد حركتنا .. فقد كان الشعب يغلى ، وكان الجيش يغلى .. وكان لا بد من عمل ..

وانتهى هذا الاجتماع الذى عقدناه بمنزل قائد الاسراب ـ حينئذ ـ حسن ابراهيم

ثم اجتمعنا بعد يومين اثنين ، لكى ندرس التقرير الذى أعده عبد الحكيم عامر ..

وفى هذا الاجتماع .. استطعنا أن نطمئن تماما .. وانتهينا الى أننا قادرون على القيام بالحركة فى أول فرصة ممكنة .. وان امكانياتنا تضمن لنا النجاح ..

ولم يكن هذا التقرير نتيجة لدراسة يومين من عبد الحكيم .. فقد كان مسبوقا بجولة قام بها جمال وعبد الحكيم فى داخل الجيش للقيام بعملية حصر كاملة لاول مرة ، ومعرفة حقيقة القوة التى نستطيع الاعتماد عليها ..

وبالطبع كان هذا الاجتماع ، قبل حريق القاهرة .. ولم يكن أحد يتوقع وقوع ذلك الحادث المشئوم

الاتصال بالوفد

ولنترك الآن التفاصيل العسكرية ، لنلم بما قمنا به الى جانب ذلك من محاولة لاستغلال الموقف السياسى ، والتهيئة لاوضاع ما بعد الثورة من الناحية السياسية ، والناحية الشعبية

الوفد ..

الوفد الذى كان يحكم .. والذى هادن الملك فى أول عهده، ثم اضطرته الظروف واضطرته نفس القاعدة الشعبية التى لم يكن يستطيع أن يغفل حسابها الى الغاء المعاهدة ، وبدء الكفاح المسلح ضد قوات الاستعمار فى القنال ..

هذا الحزب ، كان أملا من آمالنا رغم كل شىء وكنا نريد أن نقويه فى موقفه ، وأن نجعل منه الشرارة التى تطلق قذيفتنا

وقررنا أن نتصل بالوفد ، وأن نترك أمر تدبير الاتصال به الى جمال عبد الناصر ..

ولن اسبق هنا الحوادث ، ولكنى سأحاول أن أذكر تفاصيلها كما يذكرها الذين شاركوا فيها ..

بدأ جمال بدعوة اليوزباشى جمال القاضى ، وطلب منه ان يتصل بعمه « عبد اللطيف محمود باشـــا » الوزير الوفدى آذ ذاك ، وللتفاهم معه على أوجه المساعدة التى يحب الوفد أن يحصل عليها من تشكيلنا العسكرى فى سبيل ايقاف الملك عند حده ، ومنع اعتداءاته على الدستور

جريمة كبرى

وكان السر فى اختيار جمال القاضى ، هو هذه القرابة بينه وبين عبد اللطيف محمود ، فقد كان اتصال اى ضابط بالجيش بأى رجل من رجال الوفد حينئذ ، يعتبر فى نظر قادة الجيش، ورجال القصر ، جريمة تستوجب الحساب والعقاب ..

ولذلك كان علينا ان نغطى هذه الاتصـــالات باللجوء الى صلات القربى ، التى لاتثير الريب والشكوك ..

وذهب جمال القاضى الى عمه .. ثم عاد ليقول ان عبد اللطيف محمود صارحه بأنه لا يستطيع ان يتكلم شخصيا فى هذا الامر ، ولكنه مع ذلك على استعداد لتقديم جمـال القاضى الى رجل الوفد المسئول ، فؤاد سراج الدين ، ليتم التفاهم بينهما مباشرة ..

وفـكر جمال عبد الناصر فى الامر واسـتعرض فى ذاكرته أسماء الضباط الذين يمكن أن يعتمـد على واحد منهم فى الاتصال المباشر بفؤاد سراج الدين ، ثم استقر على أن يكلف القائمقام رشاد مهنا بهذا الاتصال لانه أيضا تربطه أواصر القربى بفؤاد سراج الدين

تخاذل ..

وتقابل جمال مع رشاد مهنا ، وطلب منه ان يذهب لمقابلة سراج الدين وجس نبضه ، وابلاغه ان الجيش اليوم لم يعد

مستعدا للوقوف الى جوار الملك ضد أى اجراء شعبى تتخذه حكومة الوفد ، ويؤدى الى محاولة الملك البطش بها أو اقالتها

وتحدد موعد المقابلة بعد بعض تأجيلات من جانب رشاد مهنا

ولكن الموعد المحدد بصفة نهائية اقبل .. واذا برشـــاد يعتذر عن مقابلة سراج الدين ، بدعوى أنه قد جد ما يشغله فى قريته ، وانه مسافر اليها فى اليوم نفسه ..

وللتسجيل والتاريخ ، اذكر هنا ان هذا الموقف من رشاد مهنا ، قد اثر كثيرا فى نفسية جمال ، فقد كان أول تخاذل من رجل يحاول أن يعتمد عليه فى شىء ..

واندفاع ..

بلغ هـذا النبأ البكباشى أحمـد أنور ، فمضى بنفســه الى البكباشى جمال عبد الناصر ، وأبدى استعداده للقيام بهـذا الاتصال ، وقال انه غير معروف بنشاط معين ، وانه مستعد للتضحية حتى ان كانت هناك تضحية ، وان اكتشاف صلته بالوفد لن يؤدى ــ على كل حال ــ الى أى عواقب تصيب تشكيل الضباط الاحرار

وكلفه جمال بهذه المهمة ، وان كان قد أبدى له شكه فى أن يستجيب سراج الدين ، واحســـاسه بأن سراج الدين سيحاول استدراجه دون أن يبوح له بشىء .. ثم أوصـاه اذا أراد سراج الدين أن يصل معه الى أى قرار ، بأن يفهمه أن له اخوانا وقيادة لا بد أن يرجع اليها قبل التصريح بأى شىء ..

وتمت المقابلة

وسأترك الآن البكباشى احمد أنور يروى تفاصيل هــذه المقابلة ..

قال أحمد أنور ..

طلبت مقابلة سراج الدين ، واتفقنا على موعد المقابلة .. الساعة الخامسة والنصف ، فى بيته بجاردن سيتى ..

وارسل الى فؤاد سراج الدين الاستاذ فاروق القاضى ، وكان اذ ذاك يشغل منصب السكرتير البرلمانى لفؤاد سراج الدين ، بصفته وزيرا للمالية ، ارسله الى ليقابلنى فى ميدان الاسماعيلية ، ويأخذنى الى داره . وكان معى شقيقه جمال القاضى الذى جاء يصحبنى ليعرفنى بشقيقه ..

والتقيت بفاروق القاضى ، ثم ذهبنا ، واذا بفاروق يقودنا الى الباب الخلفى للدار حسب التعليمات التى كان قد تلقاها من فؤاد سراج الدين

وجلسنا فى أحد الصالونات الكبيرة .. ثم أقبل علينا فؤاد « باشا » وامر الخدم باغلاق الابواب وعدم السماح لأى أحد بالدخول ..

وجلس ..

كنا أربعة ..

فؤاد سراج الدين وجمال القاضى ، وفاروق القاضى .. وأنا ..

وانتظرت فى تحرز شديد وتحرج ، أن ينسحب فاروق ، ويدعنا وحدنا فى هذه المقابلة البالغة الخطورة والاهمية .. ولكن فؤاد « باشا » لمح منى هذا التحرج والتحرز .. فابتسم لى مشجعا .. وقال لى : تكلم .. فليس فاروق غريبا .. وبدأت أتكلم ..

باطنا والريح

قلت له :

ـ لقد جاوز الملك كل حد ، وخصوصا بتعيينه حافظ عفيفى

رئيسا لديوانه .. فلماذا لا تتخذون موقفا حازما تجاه هذا التحدى الصريح من الملك ..

وابتسم فؤاد سراج الدين .. وقال فى بساطة خبيثة ..

ـ احنا طبعا .. خايفين ..

ـ من ايه ؟

ـ من الجيش .. هى دى عايزه تفسير ؟

ثم استطرد :

ـ احنا ناس « باطنا والريح » .. واحنا صحيح كنا بنحايله لغاية مانقدر نلغى المعاهدة . انما دلوقت اذا انزنقنا .. فمفيش مفر .. حانخرج .. ونقول للشعب كل حاجة

وثار جمال القاضى ، وهو فى طبعه عصبى شديد الانفعال .. وقال :

ـ ولماذا لم تفعلوا ذلك وقد عين الملك عبد الفتاح عمرو « باشا » مستشارا له ، رغم سحبكم اياه من سفارة لندن !

وكان سؤالا محرجا .. ولكنه كان أيضا سؤالا فى الصميم .. ومع ذلك فقد ابتسم فؤاد سراج الدين .. وقال أيضا فى بساطة :

ـ احنا رفضنا هذ التعيين رفضا حاسما .. ولكن الملك أصر ، وعينه بنفسه .. ثم وجدنا ان هذه المسألة مسألة صغيرة ، لا تستحق أن نعطيها من الاهتمام ما ينسينا قضيتنا الكبرى ..

الشعب لا يفهم فى الدستور

وسألته :

ـ أليست فى اعتباركم اعتداء على الدستور

وضحك سراج الدين وهو يقول :

ـ الدستور .. هى البلد دى بتفهم فى المسائل الدستورية

والقى براسه الى الوراء كمن يتذكر أياما ماضية ثم قال :

ـ عندما وقعت الازمة بين الملك وبين النحاس فى الوزارة الماضية بشأن حق اعطاء الالقاب .. كانت هذه أزمة دستورية لا شك فيها ، فقد كان رأينا أن الملك لا يمنح القابا الا بناء على طلب حكومته .. ومع ذلك ، مع كونها أزمة دستورية .. فقــد استطاع الملك أن « يسرح » شيوخ الازهر فى البلاد ، وأن يوعز اليهم بأن يخطبوا فى البلاد ، وان يخطبوا فى المساجد ضد النحاس ، ويوقعوا فى روع الشعب أن النحاس يريد أن يصبح ملــكا يمنح الرتب والنياشين .. وللاسف .. فهم الشعب هذا .. واضطررنا الى التراجع ، لان الشعب لا يفهم كثيرا فى المسائل الدستورية ..

والتفت فؤاد سراج الدين فجأة .. ثم ســـألنى مغيرا مجرى الحديث :

ـ فيه ضباط كتير معاكم ؟

قلت :

ـ نعم .. من جميع الاسلحة ..

فعاد يسألنى محاولا أن يخفى ما أدركته أنا من سؤاله ، وهو أنه كان على علم بصورة ما بحركة الاحرار ..

ـ أظن كان فيه سلاح .. تعبان !!

وأجبته على الفور :

ـ لا .. غير صحيح .. فجميع الاسلحة الآن مســـتعدة لاتخاذ أى موقف نراه .. ونحن جئنا هنا لكى نتفاهم معــك على امكان الاستناد الى الجيش .. فهذا الجيش هو جيش الشعب ولن يكون بأى حال جيشا للملك .. وعليـــكم أن تتخذوا أى موقف قوى .. وعلينا نحن أن نقف الى جواركم

ورأيت من فؤاد سراج الدين انطواء شديدا ، ونظـرات لمحت فيها بعض الشك والارتياب ..

ولم يكن أمامى الا أن أندفع فى حماس مبينا أخطاء الملك ،

وجرائمه ، حتى يطمئن الينا .. ويتكلم ..

وفعلا شعرت أن نظراته قد تغيرت .. وبدأ يتكلم بصراحة اكثر كثيرا ..

كان يحاول ان يعرف مني تفاصيل كاملة عن عدد الضباط ومدى استعدادهم ، وحقيقة الثورة الكامنة فى داخل الجيش

ثم ترك موضوع الضباط ، وراح يتكلم فى السياسة المصرية والاحزاب ، والوطنية والسياسيين ..

وفجأة .. اعتدل فى جلسته ، وسألنى سؤالا .. لم اكن قد أعددت نفسى للاجابة عليه بحال من الاحوال ..

كان سؤالا ماكرا فى صيغته .. وفى طريقة المفاجأة التى وجهه بها الى ، فؤاد سراج الدين



مارس ١٩٥٢
وموعد الثورة

- أوشكنا ان نقوم بالثورة فى مارس سنة ١٩٥٢
- فاروق يحاول مغادرة البلاد بعد حريق القاهرة
- سراج الدين يستدرجنا ليصبح وزيرا للحربية
- حيدر وطه حسين ..
- ١٢ شيشكلى ..
- اللعب على الحبلين

ان المقابلة التى تمت بين فؤاد سراج الدين « باشا » وبين البكباشى احمد أنور فى أواخر ديسمبر من عام ١٩٥١ ، والتى تركنا لاحمد انور تسجيلها فى صفحتنا الاخيرة من هذه الصفحات ، كانت من أهم المقابلات التى تمت قبيل ظهور حركة الجيش ..

ولم تكن أهميتها عندنا ناجمة عن شعور منا بأهمية معاونة الوفد لنا فى حركتنا فقد كنا منذ مدة طويلة قد قررنا نهائيا أن ينفرد الجيش بالحركة دون تعاون مع أية هيئة سياسية أو غير سياسية خارج نطاقه .. ولكن هذه الاهمية جاءت من شعورنا بوجوب اكتشاف كل شبر من الارض التى نمشى عليها ، قبل أن نقدم على خطوتنا

لقد كان جمال عبد الناصر قليل الامل فى امكان قبول الوفد لما نعرضه عليه .. ولكن هذا لم يمنعه من السعى الى الوفد هذا السعى الحميد .. ولو أن الوفد قبل ان يكون الشرارة التى تطلق الثورة ، لتغيرت ملامح كثيرة من تاريخ مصر الحديث .. ولكنه لم يقبل .. وسأترك للبكباشى احمد أنور اتمام حديثه الذى نشرنا بدايته فى الفصل السابق ليعرف القراء كيف كان تخاذل الوفد عن المضى فى الطريق الوحيد الذى كان يجب أن يمضى فيه .. وكيف أثر هذا التخاذل فى الاحداث المتلاحقة التى شاهدتها مصر فى مطلع عام ١٩٥٢ .. والتى انتهت بظهور الثورة ، وانتهاء عهد الفساد ..

قال البكباشى احمد أنور ..

كنت قد مهدت الجو تماما لكى يشعر فؤاد سراج الدين بملء الثقة فى شخصى فيتكلم ويفصح ، ولا يخشى أن تكون هناك دسيسة أو مكيدة قد دبرت له

وكان فؤاد سراج الدين قد بدأ يشعرنى بأنى اصبحت فعلا موضع ثقته .. وأخذ يتكلم بصراحة وحرية فى موضوعات سياسية ووطنية محاولا ايهامى بأنه يذكر لى اسرارا خطيرة لا ينبغى أن تذكر الا لمن يكونون فى الموضع الاول من ثقة الرجل فيه ..

وفجأة سألنى السؤال الذى لم أكن قد توقعت أن يوجه الى ولا أعددت نفسى للاجابة عليه

قال لى فؤاد سراج الدين فى بساطة :

ـ مين تفتكر يصلح لقيادة الجيش ؟

قال : قيادة الجيش .. ولم يقل قيادة الحركة .. وقالها فى بساطة لا مثيل لها وكأنه يسأل عن الصحة أو يتحدث عن حالة الطقس

ولم أفهم أنا مغزى سؤاله الا بعد انصرافى من منزله عندما جلست استعيد ما دار فى الجلسة حرفا حرفا لكى اقدم به تقريرى الى البكباشى جمال عبد الناصر .. فقد ادركت عندئذ من وضع اسئلته المتناثرة سؤالا الى جوار الآخر انه لم يكن يسألنى مجرد سؤال برىء عمن اظنه أصلح من الفريق حيدر باشا لقيادة الجيش وانما كان يقصد تماما الى معرفة رئيس حركة الضباط الاحرار

أدركت هذا بعد خروجى من منزل سراج الدين .. وحمدت الله عند ذلك كثيرا .. فعلى الرغم من مفاجآته لى بهذا السؤال وعلى الرغم من جو الثقة الذى كان قد سيطر على الجلسة ، وعلى الرغم من اللهجة البسيطة التى ألقى بها سؤاله فقد سيطر على ـ دون أن أدرى لذلك سببا ـ الحذر الطبيعى الذى كنا قد تعلمناه فى الفترة السابقة من الاعداد للحركة وكنت بالطبع فى مأزق ، فلابد لى أن أجيب .. والا فقدت ثقة الرجل التى أجهدت نفسى فى اكتسابها .. ولم يكن ممكنا أن أجيب لان شخص القائد كان لا بد أن يظل سرا حيث لا يعلم به أحد ..

ووجدت نفسي اختار اسم رجل بعيد كل البعد عن حركتنا رجل لا صلة له مطلقا بالضباط الاحرار ولا بتشكيلاتهم ولكنه فى الوقت نفسه شخصية يمكن اذا ذكرت الا يقابل ذكرها فى هذا المقام بأى قدر من الارتياب ..

وقلت له وكان ذلك بعد لحظات قصيرة جدا من سؤاله :

ــ اعتقـــد ان اللواء سيف اليزل هو الذى يصلح اليوم لقيادة الجيش ..

وهز سراج الدين راسه وقال لى :

ــ اختيار موفق

ولم أفهم مغزى هذه الكلمة أيضـــا ، فقد كنت لا أزال مأخوذا بالمأزق الذى وجدت فيه ..

ويبدو أن سراج الدين قد سره أن عرف منى اسم « قائد حركة الضـــباط الاحرار » وأراد أن يصل عن طريقى الى معلومات اخرى أعم واشمل .. ولكنه كان فى كل كلمـــة حريصا وكان لا يسأل سؤاله الا بعد أن يمهد له كثيرا ..

هذا كله أدركته بعد انصرافى من منزله اما أثناء وجودى فقد كنت احاول فقط أن أجيب على أسئلته وأن اعرف منه رأيه فيما جئت أعرضه عليه ..

حيدر وطه حسين !

وبدأ سراج الدين تمهيده الطويل الثانى بالحـــديث عن الفريق حيدر باشا

وكان طرق هذا الموضوع أمرا طبيعيا ما دمت قد حددت له اسم القائد الجديد ..

فأخذ يتحدث عن انتخابات النادى الاولى ، ثم قال :

ــ انتم خذلتمونا فى مسألة حيدر ..

وكانت الحكومة قد قبلت استقالة حيدر باشا من قيادة الجيش على أثر التحقيقات التى أجريت فى قضية الاسلحة

الفاسدة ، ولكن الملك أعاده بعد ذلك رغم ارادة الحكومة

وقال سراج الدين :

ــ لقد قلنا للملك ان اعادة حيدر ستؤدى الى كارثة وأن الضباط جميعا سيثورون .. ولكنه عندما أعاده . ثم ندبه عنه فى حضور حفلة نادى الضباط ، صفق له الضباط طويلا فى حضور وزير الحربية الوفدى ، مصطفى نصرت ــ مما أوجد الوزير فى حرج شديد ، وشلنا فى موقفنا من الملك شللا كاملا

وكانت هذه القصة قد وقعت بالفعل وكان تصفيق الضباط لحيدر هو أكبر لطمة وجهت الى حكومة الوفد وأضعفت موقفها

وأردت أن أطمئن سراج الدين ، بافهامه أن ما حدث لايعبر مطلقا عن رأى الجيش .. وأن هذه المظاهرة قد افتعلها عدد معين من الضباط .. ثم قلت له :

ــ اننا لو أتينا بطه حسين وعيناه قائدا عاما لكان أحسن كثيرا فى منصبه من الفريق حيدر باشا

ورأيت فؤاد سراج الدين يبتسم . فاستطردت قائلا :

ــ لأنه ــ على الأقل ــ يفهم فى السياسة ..

وضحك سراج الدين ثم قال :

ــ على كل حال انتم صفقتم لحيدر .. وأحرجتمونا ..

وفى الحال ، قال لى :

ــ هل سمعتم عن أتجاه النيـــة الى التخلص من بعض الضباط ؟

وكنا على علم بذلك فعلا فقد كانت هناك قائمة قد أعدت لطرد عدد من ضباط الجيش وكانت هذه القائمة تتضمن أسماء سبعة ضباط من تشكيلنا

١٢ شيشكلى

وقلت له : لقد سمعنا أن الملك قال لحيدر بغضب « ازاى

تسيب ١٢ شيشكلى قاعدين فى الجيش ؟! »
وطرب سراج الدين لهذه الاجابة .. ثم سألنى :
ـ زى مين
ولما وجدنى تلكأت فى الاجابة .. استطرد هو قائلا :
ـ انك تستطيع اذا عرفت الاسماء وكانت تهمكم أن تبلغنى شخصيا بما تعرف .. فقد استطيع أن اكون مفيدا !
وكنا نحن نعلم أن هناك مباراة بين الوفد وبين الملك فى السيطرة على الجيش .. وكان فؤاد سراج الدين يريد أن يعرف ما لدى من معلومات لكى يشعر الملك بأنه على علم بكل شيء ثم يستغل هذا فى الوصول الى هدفه الذى سعى اليه كثيرا .. وهو أن يكون وزيرا للحربية .. فقد كان همه فى تلك الايام أن يقنع الملك بأنه اذا أصبح وزيرا للحربية لاستطاع أن يسيطر على الجيش تمام السيطرة ..

من أنتم ؟!

وعاد سراج الدين يؤكد لى استعداده لكى يكون مفيدا لنا اذا عرف منى أسماء من يهمنا أمرهم ..
ولكننى فى هذه اللحظة كنت حاسما فقلت له على الفور :
ـ ارجو الا تهتم معاليك كثيرا بالاسماء .. ويكفى أن تتأكد من وجود قوة مخلصة كافية داخل الجيش .. وانك انت تستطيع أن تعتمد علينا وان تجدنا فى أى وقت اذا أردت منا مساهمة فعلية فى شد أزركم تجاه الملك ، فى أية خطوة دستورية أو وطنية تريدون اتخاذها
واطرق سراج الدين .. ثم قال :
ـ يعنى ؟!
فأجبته :
ـ يعنى اننا نريد منكم بصراحة أن تتخذوا موقفا وطنيا شديدا من الملك

فقـــال :
ـ واذا أقالنا الملك ؟!
قلت له :
ـ تتمسكون بمراكزكم وتتركون الباقى لنا .. فالجيش كله على استعداد للوقوف الى جانبكم فى هذه الحالة وقوفا قويا فعالا مؤازرا ...
وابتسم سراج الدين وهو مطرق .. ثم قال :
ـ ربنا يسهل .. وان كان رأيى الصريح هو أن الجيش يجب أن يلزم شئونه الخاصة
وانتهت المقـــابلة بذلك .. وتوجهت الى البكباشى جمال عبد الناصر ، فرويت له كل تفاصيلها ..

اللعب على الحبلين

ولنعد الى حديث الحركة .. فقد درسنا موقف الوفـــد بعد ذلك على ضوء هذه الاجابة الواضحة منسراج الدين .. وعلمنا بوسائلنا الخاصة أن سراج الدين قد اخفى نبـأ هذه المقابلة عن جميع وزراء الوفـــد فى ذلك الوقت .. وانه أراد أن يبقى امرها سرا بينه وبيننا .. وبين مصطفى النحاس
والواقع أن هذا الموقف من الوفد قـــد أثر تأثيرا كبيرا فى الايام التى تلت ذلك ..
فقد كانت حوادث القنال تتفاقم يوما بعـــد يوم .. وكان شباب مصر يقوم بأعمال عظيمة وهو أعزل من كل سلاح الا وطنيته وايمانه ، وكان رجال البوليس يتحملون العبءالاكبر من أعباء الجهاد ضد جيشكبير كامل التسلح.. وكانالموقف يفلت من يد حكومة الوفد يوما بعد يوم .. لمحاولتها السير فى اتجاهين واللعب على حبلين فى وقت واحد ..
فقد كانت تساير الملك ، وتعبىء الشعب .. والملك خائف من الشعب متآمر عليه ، والشعب حانق على الملك ثائر عليه

.. والحكومة تريد أن تسير فى هذين الاتجاهين المتناقضين

ولم يكن لنا بد من الانتظار ، لان هذه الحكومة لا تريد ان تقف الموقف الحازم الذى يمكننا من التدخل واقرار الامور ، وايقاف الملك عند حده ، أو الاطاحة به . والسير بالكفاح فى طريقه القويم

وفجأة تغيرت الظروف جميعا بالمؤامرة الكبرى .. حريق القاهرة ..

حدث هذا الحريق الذى أكل اقتصاديات البلاد ، واطاح بسمعتها ومكن للقوى الرجعية من الانتكاس بانتفاضتها فى لحظة واحدة .. دون انتظار ولا توقع من احد ..

وكيف كان لنا ان نتوقع حادثا كهذا ..

لقد فوجئنا به ... واعترانا الوجوم أياما ... ثم بدات جميع حواسنا المعنوية والمادية تعمل معا ، بصورة لم يسبق لها مثيل فى تشكيلنا ...

كنا نريد أن نتبين الطريق ، وان نعرف كيف نضرب ضربتنا ، بعد. وقوع هذا الحادث وما تبعه من سوء الموقف الدولى لمصر ، ومن خراب اقتصادى ، وذهول شعبى ، وانتكاس كامل ، وسيطرت الرجعية بصورة لامثيل لها على كل مرافق البلاد ...

وبدانا نلاحظ ونراقب ...

فاروق ينتابه الذعر

وكان أول ما استقرت عنده افكارنا فترة معينة هو ذلك الذعر الذى انتاب فاروق ، عقب الحادث مباشرة .. والتفكير المضطرب الذى كان ينساق به فى الصباح الى غير ماينساق به فى المساء

لقد ذعر فاروق ذعرا شديدا .. وفكر فى الهرب من البلاد ، وأعد نفسه للسفر فعلا .. ووجدنا نحن انفسنا فى

موقف من يجب أن يعد نفســـه للعمل فى أية لحظة ، ومهما كانت الظروف والعقبات

سنعمل وحدنا

واجتمعنا ، وحددنا موعدا تقريبيا لحركتنا شـــهر مارس ١٩٥٢ ، أى بعد أيام قليلة من موعد ذلك الاجتماع ..ووضعنا خطتنا كاملة .. وكنا قد راعينا فيها الاســـاس الاول الذى اتفقنا عليه من بدء التـــدابير الاولى للحركة ، وهو أن ينفرد الجيش بهـــذه الحركة انفرادا كاملا ، دون الاعتمـــاد على أية هيئة أو جماعة أو حزب فقد كانت اتصالات جمال عبدالناصر المتعددة مع جميع الهيئات ، قد أثبتت لنا بصورة قاطعة انه لاتوجد هيئة واحدة على استعداد للقيـــام بأى عمل جـــدى الى جانبنا ..

واتخذنا هذا الموقف لاكثر من أسبوع .. موقف التأهب الـــكامل للقيام بالحركة فى اى وقت ..

ولـــكن الاسبوع الذى مر بعد ذلك جدد أحداثا جديدة فى حياة البلاد ..

فقد اقيلت وزارة على ماهر .. أو استقالت مرغمة .. وجاء شهر مارس بوزارة الهلالى ، وباسلوب جديد.. وهدأت مخاوف فاروق ، وقرر البقاء فى البلاد ..ووجدنا أن فرصتنا تـــكون اكبر اذا انتظرنا قليلا حتى تتكشف الامور ، ويفيق الشـــعب من ذهوله الذى أوجدته الاحداث فيه

وهكذا قررنا تأجيل موعد الحركة الذى كنا قد حددنا له شهر مارس .. وكان هذا هو التأجيل الاخير ..

الثورة ليلة التنفيذ

- كمال الدين حسين يخرج بلا سلاح ..؟
- لماذا عينا رشاد مهنا وزيرا ووصيا على العرش
- مثل للسياسيين
- الخطأ الوحيد
- يوم مجيد ..
- ذكريات خالدة ..

كانت اللحظة الحاسمة تقترب بسرعة عظيمة .. وكانت هذه السرعة فى حد ذاتها خطرا مباشرا على كل من له صـــلة بمسرح الاحداث .. فالحوادث عندما تسرع وتتلاحق ، يخشى أن ينقلب زمامها ، بحيث تتحكم هى فى الذين يصنعونها ..

والحوادث أيضا عندما تسرع وتتلاحق ، تكشف مكنونات النفوس وتجلو جواهرها ..

وهكذا كانت أحداث شهر يوليو من عام ١٩٥٢ .. الاحداث التى سبقت يوم الثورة .. كانت سريعة متلاحقة ، وكانت تجرى فى أكثر من اتجاه ، وتجرف أمامها أكثر من تيار ، وتنتاب بدوارها كل الرؤوس ..

كان الملك فى حالة أقرب الى الجنون .. فمنذ جاءت نتائج انتخابات النادى تحديا صريحا له ، ومنذ وقف ضباط الجيش فى ناديهم ذلك الموقف المكشوف المعادى للملك ، ومنذ بدت فيهم روح الاستهتار الذى لاحدود له بالعرش ، وبالتالى بكل القوى التى كان العرش يستند اليها .. منذ وقعت كل هذه الاحداث ، والملك لا يقر له قرار ..

ولم يكن تأثير هـــذه الحـــالة فى الملك يقتصر على تصرفاته الشخصية فحسب ، ولا على علاقته بالجيش وقيادة الجيش فحسب ، وانما انعكست هذه الحالة على الموقف الســـياسى والموقف الوزارى

فأصبح بقاء الوزير فى وزارته رهنا بما لديه من حلول لهذا الموقف ، أو من آمال فى العثور على الحلول

ولم يكن فى مصر كلها من يستطيع حل ذلك الموقف . ولذلك لم يكن وزير يبقى فى منصبه ..

وفى هذه الدوامة الصاخبة ، كانت قيادتنا تعمل فى صمت وهدوء وصبر واتزان .. كانت تعد لليوم الذى عرفه العالم كله، وسجله التاريخ .. يوم الثورة ..

يوم الثورة ..

والايام التى سبقت يوم الثورة ..

قد لايكون مما يهم قراء هذه الصفحات أن أذكر لهم تفاصيل الخطة التنفيذية للثورة .. فهى تفاصيل عسكرية ، كأى خطة عسكرية بسيطة توضع لاحتلال مدينة ، أو اقرار وضع

ولكن ما قبل ذلك اليوم وما بعده يهم كثيرا ..

وملابسات التنفيذ فى تلك الليلة تهم أيضا كثيرا ..

لان ما مر بنا فى تلك الايام ، وما مر بنا فى تلك الليلة بالذات ، هو التاريخ الحقيقى للناس وللشعب ، وللاوضاع التى سيطرت على البلاد حقبة طويلة من الزمن ..

لكأن السنين جميعا كانت ترسب رواسبها مصفات الزمن ، لتتراكم هذه الرواسب كلها فى فترة قصيرة .. هى تلك التى سبقت يوم ٢٣ يوليو ..

وكان صراع الشعب وآماله قد تجمعت أيضا خلال الاعوام الطويلة الكئيبة ، لكى تقود خطى الجيش والشعب فى ذلك اليوم التاريخى المجيد -

وفى خلال كل ذلك تقع مفـــارقات ، وحوادث صـــغيرة ، وتصرفات شخصية ، قد نذكرها اليـوم فنبتسم ونضحك ، ونحمد الله .. ولكنها حين كانت تقع كانت تؤرق البال .. حتى تنتهى !

مع القصر وجها لوجه

ولقد كان القصر فى تلك الايام لايزال شاكا فى قدرتنا على القيام بحركة كاملة .. ولكنه كان يريد أن يبطش بنا ، استعادة

لمكانته التى راى أنها اهتزت اهتزازا شديدا . وقطعا الطـــريق علينا ، لانه كان يعتقد أننا وان كنا اضعف من أن نقوم بحركة كاملة ، فنحن على كل حال نستطيع أن نكون التمهيـــد الاول للحركة الكاملة . .

كان هو يعتقد هذا . . وكنا نحن نغذى فيه ذلك الاعتقاد بالاساليب الكثيرة التى اتخذناها ، لتضليله وتضليل رجاله فى القصر ، وفى الجيش . .

ولذلك كان يريد أن يفتك بنا ، وكان يدبر لهذا الفتك . . فى نفس الوقت الذى كنا نحن قد فرغنا تماما من وضع الخطة الحاسمة ، للفتك به ، بعرشه وحكم أسرته للبلاد . .

ماذا بعد الثورة

كنا قد انتهينا من ذلك تماما . . وكنا لهذا قد بدأنا نفكر فيما بعد الثورة أيضا . . وكنا ايضا قد انتهينا الى قرار . .

ففيما يتعلق بالثورة نفسها ، وبتنفيذ خطتنا ، كان قرارنا هو ان ينفرد الجيش بكل شيء . . فقد قام جمال باتصالات كافية مع جميع الهيئات التى كان يمكن أن تكون عاملا مساعدا فى الثورة ، واذا بالنتيجة الوحيدة التى يخرج بها ، هى أن الجيش يجب أن يتحمل وحده جميع اعباء التنفيذ . لان جميع الهيئات والاحزاب التى اتصل بها ، قد اثبتت أنها غير جديرة بالثورة ، ولا مستعدة لعمل اى شيء ، بل لعل ما فيها من رجعية أصيلة كان وحده خليقا بدفعها الى خيانة الثورة ، لو انهـــا استطاعت الى ذلك سبيلا . .

ومع ذلك فقد بقى علينا أن نفكر فيما بعد الثورة . . فيما يخلف التنفيذ . . ماذا نصنع ؟

هل نحكم ؟

هل نسلم الامر للشعب يصرفه كيف يشاء ؟

ومن الذى يتحمل مسئولية الحكم عندما نترك الامر للشعب، ريثما يختار الشعب ممثليه ؟

سؤال يقضى على السؤال الاول قضاء مبرما ؟

فهل نسلم الامر للسياسيين ..؟

وأى السياسيين جدير بقيادة البلاد بعد الثورة ؟

وعلى أى أساس يحكمون ؟

وجعلنا نقلب الامور .. نضع كل فرض ثم ندور حوله ، نتلمس اوجه القوة فيه وأوجه الضعف ..

وينهار الفرض الاول ، فنبحث عن الفرض الثانى ..

وهكذا دراسة طويلة خرجنا منها بنتيجة واحدة هى :

ان الجيش لايحكم ، وانما يقوم بالثورة ، ثم يسلم البلاد للمدنيين فى اللحظة التى يفرغ فيها من عمله الكبير ..

أما كيف .. وأى أنواع المدنيين .. فلم نستطع ان نقرر شيئا محددا معينا .. وانما اكتفينا بأن نقرر مبدئيا ، اعادة البرلمان المحلول ، وكان هو نفس برلمان سنة ١٩٥٠ ، الذى جاء بأغلبية وفدية ، وترك الحكم لحزب الاغلبية يصرفه ريثما تجرى أول انتخابات نظيفة فى مصر ..

مثل للسياسيين

هذا هو القرار الذى استرحنا اليه ، وشعرنا حياله بالعزة الكاملة ، وروعة المثل الاعلى ..

أليست ثورة على الاوضاع القديمة كلها ..

فماذا كان الطابع المميز للاوضاع القديمة ؟

كان شيئا واحدا ظاهرا .. الجهاد فى سبيل الحكم، لاالجهاد فى سبيل المثل العليا ، أو فى سبيل الصالح العام ..

الاحزاب كانت هكذا ..

والهيئات كانت هكذا ..

والمستقلون والافراد كانوا هكذا ..

كل كان يسعى الى الحكم ، ليحقق به مصالح شخصية وحزبية . وكل كان يجعل الصالح العام فى المرتبة الثانية على أقل تقدير ..

ولذلك أردنا ان نضرب للشعب مثلا جديدا ، أردنا أن نقدم له صورة جديدة يرى فيها وجوه ابنائه المخلصين ، لا وجوه حكامه المفسدين ..

أردنا أن نقول له ، لقد انجبت أفرادا يستطيعون ان يكافحوا فى سبيلك لافى سبيل أنفسهم .. وأن يصلوا الى الحكم فى سبيلك لافى سبيل انفسهم .. ولكنهم لايحكمون .. لايحكمون لانهم ــ حقيقة ــ لم يعملوا فى سبيل الحكم ، ولكن عملوا فى سبيلك ، ولك انت وحدك بعد ذلك أن تحكم ، وأن تختار ما يحكمون

لم يكن أحد يترك الحكم مختارا .. فأردنا أن نتركه مختارين .. أن نتركه والشعب يدمى أيديه تصفيقا لنا ، ودفعا بنا الى مقاعد الحكم .. أن نتركه وقد حققنا الامنية الاولى لكل مصرى عاش فى خلال القرن الاخير .. أمنية الخلاص من حكم أسرة محمد على وملوك أسرة محمد على

أردنا أن نضرب مثلا للسياسيين .. مثلا يقنعهم بالدليل الواقعى القاطع ، بأن الوضع كله قد تغير .. تغير من أساسه الى الحد الذى أصبح الحاكم يترك الحكم فيه فى يوم نصره الكبير

أردنا أن نقول له ، لقد انجبت افرادا يستطيعون أن يكافحوا فى سبيلك ، ما دام الحاكم لا يقصد به الا مصلحة الوطن ، واننا لذلك نترك الحكم ، أو نترفع عنه .. نأباه لانفسنا لاننا لا نريد أن نحكم ، وانما نريد لمصر ان تحكم حكما صالحا .. وأن نكون نحن بعض جنود هذا الحكم الصالح النزيه

واعتقدنا أننا اذا فعلنا ذلك ، فقد قضينا على كل أمل

للسياسيين فى أن ينظروا الى الحكم كوسيلة للكسب أو الاثراء او استغلال النفوذ .. فان وضع المثل الصالح امام أعينهم كفيل بدفعهم الى احتذائه او التمثيل به

الخطأ الوحيد

وكم كنا طيبين بسطاء .. وكم كنا متفائلين

لقد قدرنا كل شيء من اعمالنا العسكرية ، فأحسنا التقدير ولم نخطيء مرة واحدة

ولكننا قدرنا فى هذه المرة ، فأخفقنا الواقع .. وغلب فينا التفاؤل على ادارك حقيقة الواقع ..

عندما نصل الى الحديث عما تلا الثورة من الاحداث :سيأتى تفصيل الامر كاملا .. وسيعرف الناس لماذا حكم على ماهر شهرا ، ولماذا تولينا الحكم ، وكيف اردنا أن نعيد البرلمان القديم، وكيف قررنا اجراء الانتخابات العامة فى فبراير ١٩٥٣ ، أى بعد ستة اشهر فقط من الثورة ..

كنا نريد أن نغلب الواقع الكريه على أمره .. كنا نريد أن ننتصر على كل شيء حتى على خبث النفوس ..

ولكن أخيرا .. وضح لنا أن المستحيل له وجود .. وأن نابليون لم يكن على حق أبدا

ولكن هذا سنتركه اليوم .. نتركه كما تركناه يوم فكرنا فيه ، ثم لم نكد نستقر على رأى ، حتى أدرنا عيوننا وجهة اخرى .. بدأنا نعد للتنفيذ ، ونرقب الاحداث ..

يوم مجيد

وجاء يوم ٢٣ يوليو ، ليظهر لنا أشياء كثيرة .. ليظهر لنا ان تقديراتنا كانت صحيحة تماما .. وأن الله كان برقب حركتنا، ويقدر لها معنا كل مايكفل لها النجاح .. وان الشعب كان كله

فى انتظار القيادة التى تقوده الى النصر .. فينتصر ..

ولعلى لست مستطيعا أن أؤرخ تاريخ شاهد العيان للايام التى سبقت ٢٣ يوليو مباشرة .. فقد كنت اذ ذاك فى رفح .. وعندما وصلنى الامر من جمال بالعودة ، عدت مباشرة ، ولكنى لم اكن أفطن أن الحركة مدبرة فى الليلة نفسها .. ولعل القراء يدهشون اذ اروى لهم انى جئت من السفر ، وتوجهت مباشرة الى احدى دور السينما .. فما أن عدت فى منتصف الليل الى منزلى ، حتى وجدت اشارة التنفيذ ، فلم ألبث لحظة واحدة ، وانما مضيت من فورى الى القيادة

وهناك أصبحت نكتة تروى ، ونادرة يتندر بها الزملاء ..

فما أن يسأل واحد منهم فى أى اجتماعاتنا — حتى اليوم — أين أنور ، حتى يجد من يجيب : فى السينما ..

ولذلك اقتصر على ما رأيته ، وما شاركت فيه قبيل الحركة وأثناءها ..

تهديد نجيب

ولعل أخطر ما مر بنا قبيل الحركة ، هى المحاولة الاخيرة من القصر ، التى انتهت بقرار حل مجلس ادارة النادى ..

فقد ارسل القصر الى نجيب تهديدات كثيرة بنقله من القاهرة .. وكان مغزى هذا النقل ، هو اجباره على الاستقالة ، أودفعه اليها .. كما وجد من رؤساء الوزارات من حاول أن يغريه بكرسى الوزير ، وكان علينا أن نحافظ على بقائه ضابطا معنا ، بعد أن استقر رأينا على تكليفه بقيادة الثورة

واجتمعنا فى تلك الايام ، وبحثنا الامر ، ثم توجه جمال الى نجيب ، وطلب منه ألا يستقيل أبدا مهما هددوه ومهما صنعوا به ، وأن يعمل على المحافظة على نفسه ، وعلى مركزه فى الجيش ، بأى ثمن وبأية وسيلة .. وطلب منه طبعا فى حالة عرض الوزارة عليه أن يرفضها ..

ووافق نجيب على ذلك .. وفعلا لم يخضع لعوامل التهديد، ولا لعوامل الاغراء ، ولم يقبل شيئا مطلقا ..

وكان لهذا الرفض طبعا عواقبه .. اذ ترتب عليه صدور القرار بحل مجلس ادارة النادى ، وأن يقوم محمد نجيب بتسليم النادى لاخيه ، اللواء على نجيب .. على أن يتكون للنادى بعد ذلك مجلس ادارة مؤقت ..

وهذه طبعا كانت الشرارة المباشرة المؤذنة بالحركة ..

ذكريات

وفى يوم الحركة ، لكل منا ذكريات .. وذكريات ..

فى ذلك اليوم نفسه ، كان جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين — مثلا — لا يزالان يقومان بالتدريس فى كلية أركان الحرب فعلا .. ولم يبد عليهما للضباط أى شىء .. رغم أن خطة تنفيذ الحركة نفسها كانت مستقرة مطمئنة فى جيب سترة جمال ..

ويذكر كمال الدين حسين ، انه فى نفس يوم ٢٢ يوليو ظهرا، كان يناقش بعض طلبة الكلية .. وأخذ الطلبة يسألونه أسئلة ، واذا به يذكر أن هناك واجبا عليه ، أهم من مناقشة الطلبة ، والاجابة على أسئلتهم فى ذلك اليوم فأخذ يتهرب من اجاباتهم ، و «يكلفت» الشرح «كلفتة» ظاهرة ، وطلبته فى اندهاش .. لان الذين يعرفون كمال يعرفون مدى دقته واخلاصه لعمله وعنايته فيه بكل صغيرة وكبيرة ..

ولكن هؤلاء الطلاب ، رأوا كمال بعد الحركة لكى يحاسبوه على هذه «الكلفتة» التى لم تغب عنهم ، والتى لم يكونوا يدركون فى ظهر ذلك اليوم السبب فيها .. وكانوا يستغربون ..

ولا يكاد كمال يذكر هذه القصة ، حتى يذكر كيف خرج لاداء واجبه فى تلك الليلة .. وليس معه سلاح .. فهو يروى أنه اتفق مع جمال على أن يزوده ببعض الاسلحة ليخرج بها

حمر ورجاله .. وتأتى ساعة التنفيذ ، فيفاجأ كمال ، بأن جمالا لن يستطيع تزويده بالاسلحة لان المخزن الذى كان مفقا على أخذ السلاح منه كان مغلقا ..

وقال كمال الدين حسين..توكلت على الله وأخذت رجالى معى ، وليس معهم جميعا سوى طبنجة واحدة .. ومضوا الى سلاح المدفعية .. سلاح كمال .. ومن هناك أخذ كل ضابط سلاحه ، وخرجوا الى عمليتهم ..

ومثل هذه الذكريات يذكرها الآخرون ..

يذكر جمال سالم وصلاح سـالم ذكريات من رفح ومن العريش ..

موقف رشاد

فقد كان جمال فى العريش ، وكان صلاح فى رفح .. والى كليهما وكلت عمليات الثورة فى ذلك القطاع ..

وكان أدق ما يواجههم هناك ، هو وجود رشاد مهنا ، الذى كان بالعريش ، ولم يكن على علم بشىء عن الثـورة حتى تنفيذها فعلا ..

وكان على جمال سـالم أن يتولى هو قيادة العمليـة كلهـا هناك .. برغم انه طيار ، وأن صلته ليست وثيقة بضبـاط الجيش بطبيعة الحال ..

ويذكر جمال سالم انه طلب معونة رشاد مهنا ، فرفض أن يذهب فى تلك الليلة ، رفض أن يذهب الى قيادة القوة أو أن يظهر بأى صورة من الصور ..

ولقد كان رشاد مهنا فعلا مشكلة لنا .. فقد كان التشكيل قد قرر عدم تكليفه بأى عمل من أعمال الاحرار .. وكان رشاد نفسه متباعدا نائيا بنفسه عن الشبهات ، ولكنه مع ذلك ، كان قد اقنع عددا كبيرا من ضباط المدفعية ، بأنه وراء كل اصلاح يجرى فى داخل الجيش ، وكان قد كسب بذلك ثقتهم.. ولذلك

لم يكن سهلا علينا أن ننزع هذه الثقة ، لان ظروف الثورة نفسها لم تكن تحتمل مجادلات ، وكان هذا يعنى أن نحافظ على صلتنا برشاد ، ودية سليمة ، محافظة منا على القوة التى كانت تؤمن به ، وتثق فيه ..

وجاء .. فى موكب

وعندمانجحت الثورة فى القاهرة ، أصدرت قيادتنا اوامرها الى رشاد بأن يبقى فى العريش وأن يقوم بقيادة الفرقة هناك ..

ولكن رشاد لم يخضع لهذا الامر .. بل عاد الى القاهرة فى يوم ٢٥ يوليه ، ودخل الى القيـــادة فى موكب من الضبـــاط والحرس ، ثم سافر الى الاســـكندرية ، ليحضر خروج الملك باعتباره مشتركا فى العملية وفى قيادتها ..

وأتقن رشاد دوره حتى ظن أكثر الضباط أنه عمود كبير جدا من أعمدة الثورة ، وذهبوا يرددون ما كان يختلقه لنفســه من ادوار وهمية عظيمة ..

ولا شك أن هذا التصرف قد أثر فينا فى ذلك اليوم ، ولكن المهم هو أن تنجح الثورة فقط

.. أما جمال ، فقد دعا اليه رشاد ، وكلمه على انفراد ، ولامه كثيرا على هذا التصرف ، حتى اعتذر رشاد .. وبكى ..

وعيناه وصيا

وعند خروج الملك،وبحث مسألة الوصاية قررنا تعيين رشاد مهنا وصيا على العرش .. وكانت أسباب هذا التعيين هى : أولا تعيين أحد الضباط وصيا على الا يكون هذا الضابط من أعضاء مجلس القيادة حتى نحتفظ بجماعتنا كاملة داخل المجلس .. وثانيا لان رشاد كان بطبعه يحب المظهر الكبير،وكان هذا المنصب كفيلا بارضاء نزعاته ..

وفعلا ، عينا رشاد وزيرا للمواصلات تمهيدا لتعيينه وصيا ..

وذهب جمال سالم اليه ليبلغه بذلك .. فاذا به ـ أى رشاد ـ يبكى وينتحب .. ويقول وهو يشرق الدموع .. أنا لا استحق كل هذا .. أنا منذ الآن ، خادم المجلس .. وخادم الثورة ..

قال هذا .. ولكن

ولكن بينما كانت جماهير الشعب كلها تهتف بحياة الثورة ، وبينما انطلقت أصواتها الحبيسة تطالب بالاصلاح ، وتعلن عن فهمها لحقيقة الثورة الكبيرة ، وانها لا يمكن أن تكون مجرد عملية لاخراج فاروق .. وبينما كان الكادحون يبثون آلامهم للقادة ، والقادة يعلنون آمالهم للشعب .. كان رشاد مهنا ، وصعمة الاقطاعيين والسياسيين ، قد بدأوا فى نفس الوقت يتآمرون على الثورة .. وعلى حقوق الشعب ..

لقد نجحت الثورة .. ولهم هم أن يكسبوا مغانمها .. أليس لكل شىء ناجح أرباح ، وألم يكونوا هم وحدهم الذين يستولون على الارباح دون الشعب ؟..

وهذه قصة بدأنا بها المذكرات .. ولا باس من أن نختمها بها أيضا ...



فهرس

صفحة

صفحة



وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسي بطريق الملكي المتفرع من شارع بيكو في بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهي تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

العراق : السيد محمود حلمي ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن علي نحاس ـ ص.ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين

البرازيل : Dr. Michel H. Thomé,
Pateo Do Colegio N° 3,
3° Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

فى الشهر الماضى أصدرت سلسلة كتاب الهلال « قصة الثورة كاملة » فكشفت عن الأحداث الخطيرة التى وقعت منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، واليوم تنشر سلسلة كتاب الهلال هذا الكتاب النفيس عن « أسرار الثورة المصرية » بقلم القائمقام انور السادات ، وذلك بمناسبة مرور خمسة أعوام على قيام الثورة المصرية

وقد تناول هذا الكتاب العوامل الحقيقية والاسرار الخفية التى رسبت فى نفوس المصريين حقبا من الزمن ، ثم حركت كامن وطنيتهم ، وألهبت الثورة فى صدورهم ، وأوقدت الشعور حتى استفاض وانطلق فى قوة يحطم الملكية ، والاقطاع والاستعمار

« فهذا الكتاب ـ كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر ـ خلاصة البواعث الخفية والاسباب السيكولوجية لثورتنا السلمية »

آنه ليس مجرد كتاب أحداث وأسرار فحسب، ولكنه سجل لتاريخ حقبة من الزمن ، كان لها خطرها ، وكانت لها عواقبها ، فكان من أثر حوادثها تلك الثورة السلمية الرائعة التى كان لها الاثر الخطير ، فى مصر وفى العالم